جامعة الجزائر 1، يوسف بن خدّة

كلّيّة العلوم الإسلاميّة

قسم العقائد والأديان

المسائل الكلاميّة الخلافيّة في المذهب الإباضي

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميّة

تخصّص: عقيدة

تقديم الطّالب:

سليمان بن قاسم بكوش

السّنة الدّراسيّة:

1435هـ- 1436هـ /2014م – 2015م

جامعة الجزائر 1، يوسف بن خدّة

كلّيّة العلوم الإسلاميّة

قسم العقائد والأديان

المسائل الكلاميّة الخلافيّة في المذهب الإباضي

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميّة

تخصّص: عقيدة

تقديم الطّالب: سليمان بن قاسم بكوش

إشراف الدّكتور: حمّو بن عيسى الشّيهاني

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور:..**عبد الرّزاق دحمون**.....رئيسا.

الدّكتور:.. **حمو بن عيسى الشّيهاني**.....عضوا مقررا .

الدّكتور: **ميليّة شنتوح**.....عضوا مناقشا.

الإهداء

لسان الشّكـــر ليس يطيق شكرا ونبـــــع الضـاد لن يسقيـك قطرا

ونور الشّمس إن أحصيت وصفا سطع الكسوف لكي يعطيك صفرا

إذا ذكر المليـــــك فليس عيبا على قـول الفـــصيح عدمت حبرا

رضـــــــاك الله أغلى مـا أرجّـي فإهـــدائي إليك يفـــــيض عطـرا

بذكـــرك والتّـــــذلل مـع رجائي بقـربك إن غفـرت وزدت ســـترا

وأحيـــي النّفس قبل فراق روحي بمحمـــــــــود المقـام ينير ذكرا

مـحمد أحمـــــد الخير سـلام يمـيط عن القلـــوب أذى وإصـرا

وأوصـل بالهدى شكرا جزيـــلا جناح الحب منه يـــزف بـــشرى

بأنّ الـقلب لم يـــبرح هـــياما بمفخـــرة الـــمنار يبـــثّ شـعـرا

ولـــست أطيل في مدح وحمد ولكنـــــــي سأجـمع فيك سطـرا

وأقـبس من ذرا آي كـــــرام بأنـــــي لا أطيـــق عليك صبـرا

شكر

أهدي هذا العمل المتواضع إلى مولاي وخالقي فأقول:

«تعقم الأفواه وإن كانت عدد أوراق الأشجار، وتعجز الكلمات ولو بلغ مداها قطرات الأمطار، حين يقال: أوف حقّ الشكر لمولاك، ولكنّا نقول:

«عرفنا نعمك علينا يا ربّ، فأوفنا لسانا يلهج بذكرك ويحفل بشكرك، ويطرب بأنسك».

وأهديه إلى روح حبيبي وخليلي وقرّة عيني، وثلج صدري، نور الأنوار صلى الله عليه وسلّم.

وإلى توأم روحي، وعبير كياني، وهواء قلبي، ومداد عروقي، وسراج دربي.....

والداي الكريمان.....متّعني الله بهما ما حييت، وأطال الله في أعمارهما.....

فنصحهما لي، كان محرّكي.....

ونبرات صوتهما لي بالتّشجيع لم تفتأ دافعة لي قدما نحو الأمام.....

ولولا حرصهما على تثبيت عزيمتي، لم ير هذا العمل النور.....

إلى مشرفي الدكتور حمو الشّيهاني.....

الّذي جمع بين العلم الغزير، ومنبع الخلق النّمير.....

فكان يهديني الصّواب، ويصبر على أخطائي.....

بابتسامة لا تغادر محيّاه، وحرص يفوق حرص الوالد على ولده.....

كما لا أنسى علمائنا الأجلّاء.....

الّذي أدلوا إلى المجتمع بيد نافعة، علما وتعليما، وتأليفا.....

فشكرهم ممّا يعجز عنه اللّسان، وتعقم لديه الكلمات.....♥جزاكم الله عني كلّ خير♥

الفصل الأوّل:

المذهب الإباضي وأمّة الاعلامه

المبحث الأوّل: شرح عنوان البحث

ممّا يمكن عدّه من البدهيّ الّذي لا يماري فيه عاقلان، أنّ الاختلاف سنّة بشريّة غرست في أواصر النّفوس وكوامنها، تنبعث من إرادة حرّة وفكر مستقل، وتتطلُّعٍ نحو إدراك الحقيقة، ولعلّ هذا ما يؤكّده الخلاف الكائن داخل النسيج الفكري الواحد، الّذي يسمى بالمذهب، وبروز عدد لا يحصى فيه من الأقوال والروايات المؤيّدة والمخالفة، ممّا يجعل المسمّيات والألقاب التجميعيّة والتحزيبيّة مهما علا شعارها وارتفع أوارها لا تستطيع أن تحبس الفكر الإنساني في بوتقة الاتّفاق الدّائم، ولعلّ هذا هو أوّل غرض نلتمسه من هذه الدراسة المتواضعة، والموسومة بـ: (المسائل الكلاميّة الخلافيّة في المذهب الإباضي).

وقبل أن نلج في معطيات الخلاف ونتطرّق إلى مسائله، حريّ بنا أن نقوم بتجلية كاشفة لمصطلحات هذا العنوان حتى يتّضح المعنى ويصل المقصود، ونعرّف بعدها بالمذهب الإباضي مع ترجمة موجزة لأهمّ أعلامه.

المطلب الأوّل: تعريف المسألة وعلم الكلام

الفرع الأول: تعريف المسألة لغة: مصدر من سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالاً ومَسْأَلَةً وتَسْآلًا وسَأَلَةً، والرّجلان يتساءلان ويتسايلان، وجمع المِسْأَلَةُ مَسَائِلٌ بالهمز فإن حذفوا الهمزة قالوا مَسَلَةٌ.[1]

الفرع الثّاني: تعريف المسألة اصطلاحا: تعرّف المسألة بكونها القضيّة المطلوب بيانها في العلم، أي الّتي يبرهن عليها لأجل معرفتها، وهي أحد أجزاء العلم الثّلاثة وهي: الموضوعات والمبادئ والمسائل.[2]

---

[1]-لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، طبعة محقّقة، دت، ص1906.

[2]-موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون، محمّد علي التّهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، الطّبعة الأولى 1996م، ص1525.

الفرع الثالث: تعريف علم الكلام:

يعرّفه الإمام عضد الدّين الإيجي[1] بقوله: «هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدّينيّة على الغير بإيراد الحجج ودفع الشّبه»[2] ويسمّى بأصول الدّين والفقه الأكبر، وكذلك علم النّظر والاستدلال، ويطلق عليه علم التوحيد[3] والصّفات، ومن خلال التعريف، يدخل في مباحث علم الكلام الاعتقادات الباطلة للطّوائف الأخرى، وفروع العقيدة أو ما يسمّى بالقضايا الّتي تتوقّف عليها العقائد الدّينيّة، كتركّب الأجسام من الجواهر الفردة، جواز الخلاء وانتفاء الحال.

وفائدة علم الكلام كما قال الغزالي: «الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، وإرشاد المسترشدين، بإيضاح الحجّة لهم وإلزام المعاندين بإقامة الحجّة عليهم، وحفظ قواعد الدّين عن أن يزلزلها شبهة المبطلين» وأمّا مسائله فهي كلّ حكم نظري لمعلوم، أي هو ذلك الحكم النّظري من العقائد الدينيّة، فلو وجدت في الكتب الكلاميّة مسائل لا يتوقّف عليها إثبات العقائد أصلا ولا دفع الشّبه عنها، فذلك من خلط مسائل علم آخر به.[4]

ووجه تسميته بعلم الكلام فلأنّه يورث قدرة على الكلام في الشّرعيات، أو لأنّ أبوابه عنونت أوّلا بالكلام في كذا، أو لأنّ مسألة كلام الله أشهر أجزائه، حتى كثر فيها التقاتل، و أمّا تسميته بأصول الدّين فلكونه أصل العلوم الشّرعيّة لابتنائها عليه.[5]

---

[1]- عضد الدّين الإيجي، عبد الرّحمان بن أحمد (756هـ)، الأعلام، خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م، ج4، ص234.

[2]- المواقف في علم الكلام، عضد الدّين الإيجي، عالم الكتب، بيروت، دت، ص7.

[3]- يعرّف الشّيخ أطفيش علم التوحيد بقوله: «و التّوحيد إفراد الله تعالى بصفاته وأفعاله وأقواله، أو إثبات ذات غير مشابهة للذّوات ولا معطّلة عن الصّفات» وأمّا الشّيخ السّالمي فيقول:« والتوحيد لغة الحكم بأنّ الشّيء واحد والعلم بأنّه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذّات الإلهيّة عن كلّ ما يُتصوّر في الأفهام ويُتخيّل في الأوهام والأذهان»، شرح مقدّمة التّوحيد، أطفيش تحقيق مصطفى بن ناصر وينتن، نشر جمعيّة التراث، المطبعة العربيّة، الطّبعة الأولى، 2001م /1422هـ ،مشارق أنوار العقول، أبو حميد عبد الله بن حميد السّالمي، ت: أحمد بن حمد الخليلي، مكتبيّة الإمام نور الدّين السّالمي، ط2000م، ص206.

[4]- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون، محمّد علي التّهانوي، ص30.

[5]- المرجع نفسه، ص31.

وقد نجد بعض تعاريف العلماء الّتي تلصق علم الكلام بأصول العقيدة كتعريف ابن خلدون إذ يقول فيه هو: «علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السنّة»،[1] وهذا يصدق على التّوحيد أكثر وهو ما يتناول أصول الدّين وثوابت العقيدة القطعيّة، فيكون بذلك مناط تفعيل هذا العلم مع غير المسلمين أكثر منه مع المسلمين بمختلف فرقهم لأنّه ذَكَرَ الأدلّة العقليّة فقط وهذا النّوع من الأدلّة يستعمل بشكل رئيس مع منكري النّقل من الأديان الأخرى الّتي يكمن الخلاف معها في مباحث التّوحيد خصوصا، ولذلك قال ابن خلدون في شرحه لتعريفه: «وسرّ هذه العقائد الإيمانيّة هو التّوحيد»،[2] غير أنّ كلامه قد يحتمل المواضيع الّتي لها تداخل مع موضوعات التوحيد ولو بالتّبع، ولعلّ أبا القاسم البرادي[3] الإباضي يثبت ذلك بشكل جليّ وواضح حين يقول في تعريف علم الكلام: «هو النّظر في العقائد القطعيّات وما لا يحلّ الاختلاف فيه من الاستدلال بالأدلّة العقليّة والسّمعيّة في أصول الاعتقاد وتثبيتها»،[4] ولعلّ التعريف الأوّل هو أقرب إلى الواقعيّة لأنّ المتصفّح لكتب المتكلّمين يجدهم يناظرون بعضهم البعض في مسائل لا تصل موضوعاتها إلى درجة الأهميّة بأيّ حال فضلا عن أن يخرج المخالف فيها من دائرة الإسلام، كمسألة خلق الجنّة والنّار من عدمها، ومسألة أفضليّة الملائكة على المسلم من عدمها أو في المسائل العقليات كالجواهر والأعراض وغير ذلك، ولذا يوصف النّزاع

---

[1] –مقدّمة تاريخ ابن خلدون، عبد الرّحمان بن خلدون، تحقيق: خليل شحاذة، سهيل زكّار، دار الفكر، 2001م، ص580.

[2] – م، ن، عبد الرّحمان بن خلدون، ص580

[3] – أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرّادي الدمّري (حي في: 810)، ولد بجبل دمّر، ودرس في جربة، ثمّ انتقل إلى يفرن بجل نفوسة، تتلمذ فيها على يد أبي ساكن عمار الشمّاخي، له مؤلّفات كثيرة أشهرها: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص708، 709.

[4] –البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، جمعيّة التراث، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987، ص92.

هنا بأنّه في مسألة من مسائل العقيدة وليس في العقيدة، وقريب من هذا المعنى تعريف المستشرق جولد تسيهر: «المتكلّم هو الّذي يتولّى بالحجاج المنطقي مادّة من مواد الإيمان أو مسألة متنازعا عليها من مسائل العقيدة وذلك بإيراد البراهين النّظريّة على إثبات القضيّة الّتي يسوقها».[1]

المطلب الثّاني: التعريف بالمذهب الإباضي:

الفرع الأوّل: المذهب لغة: مَفْعَلٌ من ذَهَبَ يَذْهَبُ، أي ما يُذهب إليه، وفي الحديث "أنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم كان إذا أراد الغائط أبعد في المذهب[2]"، والمذهب: هو المعْتَقَدُ الّذي يُذهب إليه، ويطلق على أصل الإنسان مَذْهَبُهُ، ويقال: ذهب مذهبا حسنا.[3]

الفرع الثاني: المذهب اصطلاحا: اسم للطّريق الّذي بانت به كلّ فرقة في الفروع ومسائل الاستنباط والقياس.[4]

أمّا المذهب الكلامي: عند أهل البيان هو إيراد حجّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وهو أن يكون بعد تسليم المقدّمات مقدّمة مستلزمة للمطلوب نحو قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)[5] واللّازم هو فساد السّماوات والأرض باطل لأنّ المراد به خروجهما عن النظام الّذي هما عليه، فكذا الملزوم وهو تعدّد الآلهة.[6]

---

[1]–الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي، ألفرد بل، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي –بيروت لبنان–،الطبعة الثانية، 1981م، ص117.

[2]- رواه ابن ماجة، السّنن رقم: 331، كتاب الطّهارة وسننها، محمّد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الطّهارة، رقم 16، أحمد بن شعيب النّسائي ، السّنن، كتاب الطّهارة، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السّنن، كتاب الطّهارة، الحديث الأوّل، وأحمد بن حنبل، كتاب المسند، مسند الكوفيّن، الحاكم النيسابوري، المستدرك، كتب الطّهارة. 488.

[3]– لسان العرب، ابن منظور، ص1522.

[4]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف و الشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان –، الطّبعة الأولى ، 1429هـ/ 2008م، ص405، 404.

[5]– الأنبياء: 22.

[6]– موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون، محمّد علي التّهانوي، ج1، ص1504.

وليس في المذهب قطع عذر المخالف، ولا تفسيق ولا تكفير، والمصيب في تلك المسائل واحد غير معيّن.[1]

الإباضيّة: إباض لغة: حبل يشدّ به رسغ البعير إلى عضده، والإباض: عرق في الرّجل، وإباض اسم رجل.[2]

والإباضيّة بكسر الهمزة أو فتحها، قال القطب: «الإباضيّة بكسر الهمزة على الأصح» تسمية تطلق على أتباع الإمام أبي الشّعثاء جابر بن زيد الأزدي،[3] "وهو مذهب إسلامي أصيل، تصّدر المذاهب الإسلاميّة في نشأته، وينسب إلى الإمام عبد الله بن إباض التّميمي المقاعسي نسبة غير قياسيّة".[4]

ولعلّ تسمية أهل الحقّ كانت أقدم منه لكونها كانت تطلق على المحكّمة الأوائل، وهي فرقة رأت أنّها على حقٍّ بعد تحكيم الحكمين في معركة صفّين، وقد جاء في خطبة عبد الله بن

---

[1] – معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص405.

[2] – لسان العرب، ابن منظور، ص8.

[3] – جابر بن زيد اليحمدي الأزدي الجوفي البصري أبو الشعثاء، ولد سنة 18هـ بقرية الفرق ولاية نزوى بعمان وكان أبوه الّذي روى عنه جابر رواية في أحكام الجصاص، عالما، ولعله كان صحابيا، روى عن ثلّة من الصّحابة منهم عائشة وعبد الله بن عمر وابن عباس وابن مسعود وأنس و غيرهم، عُرف بالزّهد والورع، ومن تلامذته المعروفين: أبو عبيدة مسلم، ضمام السّائب، قتادة وحيان الأعرج، كان جابر إماما في التفسير والحديث والفقه وبقيت لنا رواياته وآرائه منتشرة في جلّ مصادر الشّريعة، وبقيت كذلك نصوص من تآليفه مخطوطة ككتاب الصّلاة وكتاب النّكاح، وفقه الإمام جابر بن زيد الّذي جمعه يحي بكوش، وتوفي جابر سنة 93هـ، وقيل سنة 103 في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ونُقل عن أحمد بن حنبل عند ابن سعد أنّه توفّي سنة 93هـ و دليله أنّ أنسا كان مريضا فبلغه موت جابر فقال: مات اليوم أعلم أهل الأرض، قال أبو عبيدة: فمات أنس وجابر في جمعة واحدة، منهج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الشّقصي الرّستاقي، وزارة التراث القومي والأوقاف، سلطنة عمان، 1979م، ص616، معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م ص79، 80.

[4] – معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين،ج1، ص5.

وهب الرّاسبي:[1] «إنّكم أهل الحقّ من بين أهل الأرض، إذ قلتم بالحقّ و صبرتم بالعدل»، والتزم سلف الإباضيّة بالتّسمية الأولى أهل الحقّ، ولما انحرف من انحرف بتطرّفه عند خروجه عن السّلطة كالأزارقة،[2] ظلّ الإباضيّة على خطّ أهل الحقّ الأوائل، وأضافوا إلى تسميتهم لفظة الاستقامة، وأطلقوا على أنفسهم مصطلح أهل الحقّ والاستقامة أي الّذين التزموا الحقّ واستقاموا في السّلوك، ولا يزال المصطلح متداولا إلى اليوم،[3] وقد وردت تسمية أهل الدّعوة والاستقامة في أوائل القرن الثّاني من الهجرة حيث وردت في كتاب الزّكاة لأبي عبيدة ومدوّنة أبي غانم الخرساني.[4]

وإنّما اشتهر المذهب بنسبته إلى عبد الله بن إباض لما كان له من المراسلات السياسيّة والدّينيّة مع الخليفة عبد الملك بن مروان، ونقده لأسلوب الحكم الأموي، الّذي ابتعد عن نهج الخلفاء الرّاشدين، ودعوته الحكام الأمويّين للعودة إلى سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم وخلفائه

---

[1]– عبد الله بن وهب بن ميدعان بن مالك بن نصر الأزدي العماني، ولد بعمان، من قبيلة الأزد، وأدرك الرّسول صلى الله عليه وسلّم، إذ كان في وفد عمان الّذي توجّه إلى المدينة عام 9هـ لإعلان إسلام عمان وقبائله، فهو صحابي جليل، عُرف بالعلم و الصّلاح والرّأي والعبادة، شارك في فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، كان في صف أمير المؤمنين عليّ، وشارك معه في حروبه، وفي صفّين سنة 37هـ/657م كان ممّن رفض التّحكيم، ولما انتبذت المحكّمة إلى مكان غير بعيد من حروراء و فكّروا في إعلان الإمامة وقع اختيارهم عليه فتولّاها وهو يقول: " فوالله ما أخذتها رغبة في الدّنيا، وأدعها فرقا من الموت"، وفي مقتلة النّهروان 38هـ حصدت رؤوس المحكّمة وقتل عبد الله بن وهب الرّاسبي، عُرف بالزّهد والعبادة حتى لقّب بذي الثفنات وله بعض الشّعر. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص293 ،294،295.

[2]– الأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي المكنّى بأبي راشد، أكثر الخوارج عددا وأشدّهم شوكة، امتازوا بعدّة مقالات مخالفة لجمهور المسلمين كقولهم بأنّ مخالفيهم من الأمّة مشركون وكذا استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم، و ادّعوا أنّهم خالدون في النّار، و أنّ دار مخالفيهم دار كفر، وأنكروا الرّجم، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها، أبو منصور عبد القاهر البغدادي، مكتبة ابن سينا، ص79.

[3]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج1، ص79.

[4]– م، ن، مجموعة من الباحثين، ص81.

الرّاشدين من بعده، وزاد في شهرته مشاركته مع عبد الله بن الزّبير في الذبّ عن الكعبة ومخالفته لنافع ابن الأزرق.[1]

إلّا أنّ مواقف عبد الله بن إباض لم تكن إنشاء للرّأي بل إبرازا له، لأنّ الإمام جابر بن زيد هو الّذي كان المؤصّل للمذهب وواضع أصوله الحقيقيّ.[2]

ولم يُستعمل مصطلح الإباضيّة على الأقلّ في القرنين الأوّل والثّاني من طرف أتباع جابر، ولعلّ بداياته كانت مع نهاية القرن الثّالث عند عمروس بن فتح النّفوسي[3]، في كتابه "الدّينونة الصّافية"، ثمّ في كتاب الجامع للكدمي[4]، ثمّ في الموازنة لابن بركة.[1]

---

[1]– الخوارج والحقيقة الغائبة، ناصر بن سليمان السابعي، الطبعة الخامسة 1432هـ/ 2012م، ص184، قال عبد الله بن إباض: «قاتله الله أي رأي رأى، صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النّبي صلى الله عليه وسلّم في المشركين، ولكنّه قد كذّب وكذّبنا فيما يقول، إنّ القوم كفّار بالنّعم والأحكام وهم براء من الشّرك ولا تحلّ لنا دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام»، الخوارج والحقيقة الغائبة، ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي، الطبعة الخامسة، 1432هـ/ 2011م، ص185.

[2]– يقال إنّ عبد الله ابن إباض أسنّ من جابر وتابع له في المذهب والرّأي. الإباضيّة ين الفرق الإسلاميّة ، علي يحي معمّر، جمعيّة التراث، الطبعة الثّالثة 1423هـ / 2003م، ص464.

[3]– عمروس بن فتح المساكني النفوسي أبو حفص، (ت283هـ) من أبناء جبل نفوسة بليبيا وُلِد في طريق الحجّ، ونشأ في قرية قطرس من أرض الرّحبيات بالجبل، عاصر الإمام أبا اليقظان بن أفلح، عُرف بالحفظ والاجتهاد تولّى القضاء بالجبل فكان مثال العادل الجريء في الحق، يرجع له الفضل في إنقاذ مدوّنة أبي غانم الخرساني حيث قام باستنساخها مستعينا بأخته وله عدّة تصانيف في العقيدة والفقه منها: الدّينونة الصّافية، رسالة في الردّ على الناكثة، معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، جمعيّة التراث، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م ج3، ص671، 672

[4]– أبو سعيد محمّد بن سعيد بن محمّد بن سعيد الناعبي قبيلة، (ت4هـ) الكدمي مسكنا، نسبة إلى كدم إحدى قرى بهلا، وُلِد في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرّابع، كان من كبار العلماء والمحقّقين بعمان تلقّى العلم على أشهر علماء زمانه أمثال الشّيخ: محمّد بن روح الكندي وأبو الحسن النزوي، أُعتبرت كتبه مرجعا في الفتوى والأحكام عند الإباضيّة ممّا جعل العمانيّين يطلقون عليه "إمام المذهب"، وكانت له عصا السبق والفضل في رتق الفتق المهول الّذي حصل في عمان بين النزوانيّين والرستاقيّين ، وأوضح المنهج الحقّ في كتابه الاستقامة في أحكام

ثمّ خلف أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي[2] جابر بن زيد في إمامة المذهب، فكان العامل الرّئيس على نشره في المشرق و المغرب انطلاقا من البصرة في العراق إلى عمان، و كذلك اليمن وخراسان وأسهمت التّجارة العمانيّة في إيصال الإسلام إلى بلاد الهند وماليزيا والصّين، وإلى بعض الجمهوريّات الإسلاميّة المحاذية لروسيا الاتّحاديّة حاليا، وإلى مناطق واسعة من إفريقيا الشّرقيّة، بخاصّة كينيا وتنزانيا ومدغشقر وجزيرة زنجبار.

الولاية والبراءة، وله كتاب المعتبر، والجامع المفيد، ومجموعة جوابات. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق) محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني: ص399، 400.

[1]– أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن بركة السليمي البهلوي ، الشّهير بابن بركة، من كبار علماء القرن الرّابع الهجري، كان فقيها أصوليا ومتكلّما، وذا معرفة كبيرة باللّغة العربيّة، يعتبر أوّل من كتب في أصول الفقه من الإباضية، حمل العلم عن أبي مالك الصلّاني وسعيد بن عبد الله، ترك آثارا جليلة، يقال أنّه ضاع منها الكثير، وصلنا منها "كتاب الجامع" المشهور، والكتاب المعروف بمنثورة أبي محمّد، والمبتدأ في خلق السّماوات والأرض، أنشأ مدرسة ببهلا تتلمذ فبها الكثيرون، ومن تلاميذه: أبو الحسن البسيوي، توفّي في القرن الرّابع الهجري (4هـ)، معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق) محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني: ص285.

[2]– أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي (ت حوالي 145هـ) مولى لعروة بن أديّة التّميمي، أصله من فارس، كان آية في الحفظ والذّكاء، أوتي المقدرة والكفاءة في التنظير وحسن التدبير عرفت الإباضيّة على يده إنجازاتها في المشرق والمغرب، أخذ العلم على يد جابر بن زيد، وروايته عنه رواية تابعي عن تابعي، مثله، وقد روى عن كثير من الصّحابة، منهم: جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، و أبو هريرة، كما أخذ العلم عن صحار بن العباس الصحابي، وعن جعفر بن السّماك، وطّن نفسه في طلب العلم، فمكث فيه أربعين سنة، ثمّ في التّعليم أربعين سنة أخرى، دخل السّجن في عهد الحجّاج بن يوسف، وتولّى الإمامة الإباضيّة بعد جابر، ومن أهمّ آثاره: مجموعة أحاديث رواها عن جابر بن زيد، كتاب مسائل أبي عبيدة، وكتاب في الزّكاة، معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني: ص445، 446.

انتقل المذهب الإباضي مع حملة العلم[1] إلى بلاد المغرب واعتنقه البربر في شمال إفريقيا: ليبيا، تونس، والجزائر ومنها انتقل إلى مصر والأندلس وبلاد السّودان الغربي كالسينغال ومالي والنيجر وتشاد وغانا[2].

المطلب الثّالث: مصادر التّشريع عند الإباضيّة:

يعتمد الإباضيّة في مصادر تشريعهم في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق على القرآن الكريم بشكل رئيس، ويرون المصدر الثّاني بعده إنّما هو السنّة الصّحيحة وهي على درجات، المتواتر منها قطعيّ الدّلالة يفيد العلم ويوجب العمل، ومنكره كمنكر القرآن، والمشهور من السنّة أو المستفيض هو أضعف من المتواتر وأقوى من الآحاد وهو لا يوجب العمل، واختلفوا هل حجّته قطعيّة أم ظنيّة على قولين، والآحادي من السنّة ظنّيّ الدّلالة يوجب العمل.[3]

ويرون المصدر الثّالث هو الإجماع، إذا استوفى الشّروط المعروفة عند الأصوليّين والخروج منه فسق وحجّيّته قطعيّة، ويرون أنّه وقع إجماع بقسميه القولي والسّكوتي، وأنّه من الممكن أن يقع في كلّ عصر.[4]

ويرون المصدر الرّابع هو القياس على الأسس المعروفة في كتب الأصول.

---

[1]- أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري، عبد الرّحمان بن رستم، عاصم السّدراتي، أبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داود القبلي، الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن ادريسو مصطفى بن محمّد، جمعيّة التراث، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، ص80.

[2]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج1، ص5.

[3]- الإباضيّة ين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص466.

[4]- م، ن، علي يحي معمّر، ص466.

ويرون المصدر الخامس هو الاستدلال بأنواعه المختلفة، ويهتمّون بالمصالح المرسلة اهتماما خاصّا، وربّما يكون الإباضيّة –بالنّسبة إلى اعتبار المصالح المرسلة– في الدّرجة الثّانية بعد المالكيّة.[1]

وقد مرّت الإباضيّة بمراحل ومحطّات عديدة أهمّها:

أوّلا: مرحلة التّأسيس في القرن الأوّل وبداية القرن الثّاني، وتشتمل مرحلة البصرة، وانتشار المذهب على يد حملة العلم في المشرق والمغرب.

ثانيا: مرحلة إقامة الإمامات في القرن 2هـ/8م، كإمامة طالب الحق باليمن، والإمامة الأولى والثانية في عمان الّتي استمرّت إلى القرن 14هـ /20م، وإمامة الرّستميّين في بلاد المغرب في القرنين 2 و3هـ/8 و9م.

ثالثا: مرحلة الأزمات والمواجهات مع أنظمة حاولت إزالة دولة الإباضيّة، كالفاطميّين في بلاد المغرب، والعبّاسيّين والبويهيّين في بلاد المشرق وكلّها كانت في القرن 3هـ/ 9م، وتحقّق للفاطمّيين إسقاط الدّولة الرستميّة، الأمر الّذي لم يتحقّق للعبّاسيين في شأن الإمامة بعمان، إلّا أنّ الإباضيّة هناك دخلت في أزمة ازدواجيّة السلطة.

رابعا: مرحلة التجمّعات في بلاد المغرب: انتقل الإباضيّة إلى تجمّعات تحت سلطة هيئة من المشايخ، أطلقوا عليها تسمية العزّابة، أشرفت على المجتمع في كلّ جوانبه الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسية إلى اليوم.

لقد أسهم الإباضيّة بتراثهم المكتوب في تطور الفكر الإسلامي، وفي الفكر السياسي ببناء كيانات الإمامة، وتطبيق السّياسة الشّرعيّة المقتفية آثار الخلفاء الرّاشدين، ولهم دور بارز في نشر الإسلام وحضارته وذلك في حقول التجارة، والعمران الري، والنظم الاجتماعية والتربوية.[2]

[1]– م، ن، علي يحي معمّر، ص466، 467.

[2]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج1، ص4– 5– 6.

المبحث الثّاني: التعريف بأهمّ شخصيّات المذهب

وسنحاول –إن شاء الله– في هذا المبحث أن نقوم بومضة تعريفيّة مختصرة لأهمّ أعلام هذا المذهب، إلّا أنّنا سوف نسلط الضّوء على العلماء الّذين كانت لهم آراء خاصّة أو كثرت مخالفاتهم لجمهور علماء الإباضيّة أو على الأقل للقول المشهور في المذهب، مراعين في ترتيب ذكرهم التسلسل الزّمني لسنوات وفياتهم.

المطلب الأوّل: أبو يعقوب الورجلاني[1]

واسمه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم[2] بن منّاد وقيل ميّاد،[3] السّدراتي من علماء ورجلان ترك بصمات بارزة في التّراث الإباضي خصوصا والمكتبة الإسلاميّة عموما.

ولد بسدراتة من قرى ورجلان –ورقلة حاليّا– لا تذكر المصادر سنة ولادته تحديدا، فقد جعله الدّرجيني ضمن الطّبقة الثّانية عشر، (550هـ- 600هـ) وذلك اعتبارا لسنة وفاته بينما جعله الباروني في الطّبقة (500هـ- 550هـ) تعويلا على سنة ولادته، والتحقيق يرجّح كون ميلاده سنة (500هـ/ 1106م)، نشأ في موطنه سدراتة، وأخذ مبادئ العلوم عن علماء ورجلان، وإن كانت المعلومات التاريخيّة لا تمدّنا بسيرة الشّيخ إبان صغره، إلّا أنّ الإطار العامّ لمجتمعه قد يعطي بعض الإشارات في كون الشّيخ قد انتسب أوّلا في بداية تحصيله إلى الكتّاب وذلك بغرض حفظ كتاب الله تعالى، والمبادئ الأولى لفقه العبادات من الطّهارات والصّلاة والصّيام ثمّ مرحلة الاستناد ويتمّ فيها التعمّق في دراسة العقيدة والفقه والأدب مع ملازمة الشّيوخ، والإقامة

---

[1]– يعتبر أقدم مرجع ترجم للإمام الورجلاني هو كتاب الإمام أبي العبّاس أحمد بن سعيد الدّرجيني (670هـ) والموسوم بـ:طبقات المشائخ بالمغرب ثمّ تبعه من جاء بعده كالشّمّاخي في سيره. أبو يعقوب الورجلاني أصوليًّا، مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث و الثّقافة سلطنة عمان، الطبعة الثّانية، 1428هـ/ 2007 م، ص103.

[2]– وهو النّسب المتّفق عليه: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو، ص106.

[3]– الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، مكتبة مسقط، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، ص42، وقيل: "ألطاق"

في مساكن خاصة بطلبة العلم الّتي توفّرها العزّابة، ثمّ ينتقلون إلى تعليم عال متخصّص للخوض في المسائل الصّعبة في مختلف أمور العقيدة والفقه والوقوف عند مسائل الخلاف بين المذاهب، والاجتهاد.[1]

ومن شيوخ الإمام أبي يعقوب: أبو عمّار عبد الكافي التناوتي،[2] وأبو زكريّا يحيى بن أبي زكريا و أبو سليمان أيوب بن إسماعيل، عرف بحبّه للعلم وحرصه على تحصيل أكبر قدر منه فتاقت نفسه إلى الاستزادة من معينه فشدّ الرّحال نحو بلاد الأندلس وأقام بقرطبة سنين عدّة، وحصّل مختلف العلوم العقليّة والنّقلية، وكان بين طلّابها مثالا في النّبوغ النادر والأدب الجمّ والاطّلاع الواسع حتّى لقبه الأندلسيّون بالجاحظ،[3] وكان أستاذه بقرطبة يشبّهه بأبي حامد الغزالي.[4]

ثمّ ارتحل بعدها إلى السّودان،[5] وظاهر أنّ هدف الرّحلة كان تجاريّا بالدرّجة الأولى، ثمّ استتبعه الفوائد العلميّة المتعلّقة بالظّواهر الجغرافيّة والاجتماعيّة الّتي لاحظها أبو يعقوب وسجّلها،[6] فدخل مجاهل إفريقيا حتّى اقترب من خطّ الاستواء الّذي كان من السّبّاقين إلى اكتشافه كما يقول عبد الرحمان الجيلالي،[7] ويقول الورجلاني في ذلك عن نفسه « وقد وصلت بنفسي إلى قريب من خطّ الاستواء، وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد يستوي اللّيل والنهار

---

[1]- م، ن، دليلة خبزي، ص47.

[2]-ويذهب بعض الباحثين إلى أنّه كان رفيقا له في الدراسة لا شيخا له، معجم أعلام الإباضية، لجنة البحث العلمي، ج4، ص1010.

[3]- معجم أعلام الإباضية، لجنة البحث العلمي، ج4 ، ص1011.

[4]- أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو: ص 130.

[5]- يرى كلّ من الباحث صالح بوسعيد و الدكتور إبراهيم فحّار إلى أنّ رحلة الورجلاني إلى السّودان كانت هي الأولى وقبل رحلته إلى الأندلس، بينما يرجّح الدكتور مصطفى باجو كونها الثانية، أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو، ص133.

[6]- أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو ،ص131.

[7]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4 ، ص1011.

فيه أبدا، وإنّما وصلت إلى قريب منه، وأطول يوم السّنة إنّما يفضل أقصر يوم منه بساعة واحدة، فالنّهار ثلاث عشرة ساعة، والنّهار القصير إحدى عشرة ساعة، ولياليها كذلك" [1] ثمّ رحل بعد ذلك إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ،[2] وهناك كتب قصيدته المعروفة بالحجازيّة ومطلعها:

غديـــر غدير من ذوات الـــمعاجـــر ذوات العيون السود بيض المحاجر

ذوات الشّفاه اللّسع بالظّلم و اللّمـــا غـــرائر خرق الصّنع سود الغدائر.

ثمّ زار عواصم المشرق واستفاد من مراكزها العلميّة،[3] والتقى ببعض مشايخ إباضيّة المشرق، مثل محمّد الحضرمي،[4] فبرع إضافة إلى علم الفلسفة والمنطق والرّياضيات في علوم اللّغة واللّسان، وكذا في علم التنجيم فتكلّم في كتابه "الدّليل والبرهان" عن العلوم الّتي تتفرّع عن الوحي والإلهام الّتي صدرت عن أصحاب الكرامات و الصّالحين.[5]

ولشدّة حرصه على العلم اعتكف في منزله سبع سنين ينسخ ويؤلّف ويدرّس لا يعدل عن ذلك إلى ما سواه إلّا إذا قام لأداء فريضة،[6] ترك آثارا عديدة منها:

الدّليل و البرهان: ومعظمه في أصول الدّين وعلم الكلام، يقع في ثلاثة أجزاء طبعته وزارة التّراث القومي غير محقّق، والعدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف يقع في ثلاثة أجزاء حقّقه

---

[1]- كتاب الدّليل والبرهان، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، تحقيق لسالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والأوقاف سلطنة عمان، دت، 1403هـ/ 1983م، ج3، ص216.

[2]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص1011.

[3]- يذهب علي يحيى معمّر إلى أنّ أبا يعقوب الورجلاني ذهب إلى عواصم الشّرق لاستكمال الدّراسة، وذهب مرّة ثانية لأداء الفريضة وإلى هذا الرّأي مال الدكتور مصطفى باجو بينما جنح عبد الرّحمان الجيلالي والباحثة دليلة خبزي إلى أنّ رحلة الورجلاني إلى المشرق هي رحلة واحدة طلب فيها العلم وأدّى مناسك الحجّ، انظر: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو، ص145. الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي ص56.

[4]- الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص56.

[5]- م، ن، دليلة خبزي، ص51.

[6]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني، الطّبعة الثّانية، دت، ج2، ص313.

الدكتور عمرو النّامي لكنّه لايزال مرقونا، ترتيب مسند الرّبيع بن الحبيب وقد طبع عدّة مرّات، وهذه هي الكتب المطبوعة حاليّا، وأما المخطوطات فله: القصيدة الحجازيّة، ومرج البحرين في علم المنطق، أجوبة فقهيّة،[1] تفسير للقرآن الكريم[2] وهو مفقود، توفيّ سنة (570هـ/ 1175م)،[3] ودُفِن بمقبرة الشّيخ أبي صالح جنون بن يمريان في سدراتة [4]، من أشهر تلاميذه: ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف، وأبو سليمان بن أيوب بن نوح.[5]

ونظرا لأهميّة مترجمنا العلميّة كان المؤرّخ التونسي حسن حسني عبد الوهّاب يقول لطلّابه في المدرسة الخلدونيّة: «إنّ أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني يعتبر عند علماء أوربا أكبر عالم رياضيات في شمال إفريقيا»،[6] وكذلك قال فيه المؤرّخ الدرجيني: «هو بحر العلم الزّاخر، المسخّر للنّفع فترى الفلك فيه مواخر، الرّفيع القدر والهمّة، الجامع لفضائل كل أمّة، المحتوي على علوم جمّة».[7]

وأمّا أخلاقه فبالإضافة إلى التقوى والزّهد والانصراف عمّا في أيدي الناس فقد روي في علمه الغزير مع تواضع الجمّ أنّه " كان إذا جاء إلى موضع في مسجد وارجلان انصرف كلّ من حول المتوضّئ، فيضع من يده سفرا أو مفتاحا ويضع عمامته وكساءه، ويقعد في ثوب واحد

---

[1]- يقول البدر الشمّاخي "ولا أحصي ما رأيته له من الأجوبة لكثرتها " ،الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص3.

[2]- قال فيه العلاّمة البرّادي: "كتاب عجيب رأيت منه في بلاد أريغ سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم منه ولا أكبر منه وحرزت أنّه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران وحرزت أنّه فسّر القرآن في ثمانية أسفار مثله". انظر: الدّليل والبرهان، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، ص3.

[3]- معجم أعلام الإباضية، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 1012، 1013، 1014.

[4]- الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص45.

[5]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 1014، أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، مصطفى بن صالح باجو، ص147.

[6]- الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص50.

[7]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني، ج2، ص312.

فيدخل المطهرة، فيتسارع الطّلبة إلى أعلاق الشّيخ، فيأخذ أحدهم ما والاه منها ويأخذ الآخر شيئا آخر فإذا خرج الشّيخ لم يجد شيئا فيقول: ردّوا عليّ علائقي، فيقول أحدهم: لا أردّ إلّا بعوض، فيسأل عن مسالة في النحو ثمّ يجيب فيردّ ما أخذ، ثمّ يسأل الآخر عن فريضة ويسأل الآخر عن مسألة فقهية ويسأل الآخر عن تأويل آية، ويسأل الآخر عن تأويل رؤيا وعن غير ذلك، فيجيبهم كلّهم فحينئذ يردّون عليه ما أخذوا، فكان هذا دأبه رحمه الله ".[1]

وبالنّسبة إلى خصائص الاجتهاد الكلامي عند الإمام أبي يعقوب الورجلاني فيمكن أن نجملها في:

1-التّحرر من ربقة التقليد والجمود إذ كان مجتهدا إباضيّا له آراؤه الخاصّة التّي يمتاز بها يوافق فيها غيره ويخالف فيها علماء مذهبه.

2- الاهتمام بعلم الفلسفة والمنطق، إذ يظهر ذلك واضحا في كتاباته التنظيريّة في علم الكلام والعقيدة والفرق.

3- بعده عن الاشتغال بعلم الحديث إذ يظهر ذلك واضحا في قلّة تعويله عليه في كتاباته العقديّة وكذا جنوحه إلى الضّعيف من الأحاديث.

4- نزعته التصوّفيّة البارزة بشكل لافت للانتباه سيما في كتابه الدّليل والبرهان، -حتى التّصوف الفلسفي- إذ بوّب فصلا كاملا يثني فيه على إخوان الصّفا ورسائلهم.

5- تعويله الكبير على الاستشهادات اللّغويّة في مباحثه الكلاميّة، وكذلك في الردّ على الخصوم.

6- بعده عن القذف والشّتم والتّعيير، بل تراه يحترم آراء المخالفين ويناقش أفكارهم وينابيهم بالأخوّة: "إخواننا القدريّة، إخواننا المرجئة".[2]

---

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني، ج2، ص314.

[2]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج1، ص44.

المطلب الثّاني: الإمام أبو الطّاهر الجيطالي

هو الإمام أبو الطّاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النّفوسي،[1] كنيته أبو الطّاهر، نسبته إلى قرية جيطال إحدى قرى جبل نفوسة،[2] تشحّ المصادر التاريخيّة بذكر معلومات مهمّة عن الحياة الاجتماعيّة للجيطالي إلّا أنّ المصدر الأساسي في معرفة هذا الجانب هو وصيّته المسمّاة "بتذكرة النّسيان وأمان حوادث الزّمان"، والّتي يستخلص منها:

1- أنّ الجيطالي كان صاحب أسرة، ومتزوّجا بامرأة من شروس، يجلّها ويرعى حقوقها.

2- له أخ أكبر يسمّى بأبي بكر، وهو خليفته في ماله وأهله بعد وفاته.

3- كانت تربطه بأقرابه علاقه وصل ومحبّة ولا أدلّ على ذلك من إيصائه لهم "بمائة درهم وأرض له بكلّ ما فيها".

4- كان يملك أراضي زراعيّة في عدّة نواح من جبل نفوسة، ويشتغل بالفلاحة وتربية المواشي، ويتاجر بما تنتجه أرضه من خيرات.

5- كان من ذوي اليسار والثّراء وكان سخيّ النّفس يعطي الفقير، ويقرض ذا الحاجة، وينفق على المتعلّمين، فقد استطاع أن يوفّق بمهارة بين التّجارة، والعلم والدّعوة فهو التاجر العالم الدّاعي.[3]

---

[1]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص112، الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، المطبعة العربيّة، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009، ص56، قواعد الإسلام، أبو الطّاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، صحّحه بكلّي عبد الرحمان بن عمر، مكتبة الاستقامة، الطبعة الرّابعة، 1422هـ/2001م، ص، هـ.

[2]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص 56 ، ويذكر عبد الرحمان بكلي: "أنّ جيطال مدينة فسيحة تقع بين أمسين وإينر على ربوتين متقابلين تحيط بها من جميع الجهات غابات كثيفة من الزّيتون والتّين .انظر مقدّمة كتاب قواعد الإسلام، أبو الطّاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي التي كتبها عبد الرحمان بن عمر بكلي، ص، هـ.

[3]- م، ن، خضير بن بكير بابا واعمر، ص 58، 59.

أخذ العلم من علّامة زمانه الشّيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطّرميسي (722هـ/1322م)،[1] وقد كانت له مدرسة في نفوسة تدرّس

فنون علم الشّريعة، وقد اعتبر علي يحي معمّر أنّ مدرسة الطّرميسي هي أعظم مدرسة بنفوسة وجّهت طلّابها إلى الاشتغال بفنّ التّأليف،[2] وقد رافقه في دراسته زميله الإمام أبو ساكن عامر الشّمّاخي –صاحب كتاب الإيضاح– فكانا كفرسي رهان في الذّكاء والتّلقّي من شيخهما.[3]

اشتهر الجيطالي بحافظته القويّة العجيبة، فكان شيخا حافظا، عالما، عاملا محافظا، شديدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتنقّل بين القرى والمدن لأجل الإصلاح والتدريس.[4]

تعرّض الإمام –كما هو سَنن الأئمّة الكبار– لمحن كان وقودها الأوّل ومذكيها الأوحد هو حسد الخصوم والمناوئين،[5] فولغ بعض الحاسدين في عرضه فقالوا إنّه يعلّم السّوقة مسائل الغش يعني ينهاهم عنها فتعلّموها.

ومن ذلك ما كان له مع علماء طرابلس الّذين كانوا يرون آراءه مخالفة لفتاويهم ودعوته مناهضة لنظام الحكم فرفعوا أمره إلى حاكم طرابلس محمّد بن ثابت وافتروا عليه.[6]

عقد حاكم طرابلس مجلسا يضمّ عددا من العلماء والفقهاء، وفيهم قاضي البلد ودعى الجيطالي إلى المناظرة والمناقشة، فوجدوه بحرا في العلوم و المعارف وضاقت صدورهم حرجا لما

---

[1]– معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص 112.

[2]– الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص60.

[3]– معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص 112.

[4]– م، ن، لجنة البحث العلمي،ج2، ص112 ، 113.

[5]– مقدّمة قواعد الإسلام، بكلّي عبد الرحمان بن عمر، ص، و.

[6]– الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص68.

يدعو إليه ، ولما قصرت مداركهم عن بلوغ مستواه العلمي تحدّاهم بقوله الساخر "هل عندكم من علم فتخرجوه لنا" فازدادت رغبتهم إثر هذا القول العنيف في إيذائه انتصارا لأنفسهم المنهزمة، وأجمعوا أن يجعلوه في قعر السّجن، ويسلبوا ما معه من أموال ظانّين أنّه السّبيل لإسكاته، وظلّ الجيطالي رهين محبسه مدّة يعذّب، ولم تشفع له أعوامه الستّون أو تزيد، فأنشد قصيدة يمدح فيها أحمد بن مكي (ت766هـ/1364م) سلطان قابس وجربة آنذاك ويستعطفه، وشفع له عند صاحب طرابلس فأطلق سراحه، فخرج من طرابلس ودعا عليها بقوله: «سلّط الله عليك عدّوا لا يخاف ربّا و لا يتّقي ذنبا».[1]

ومن ورع الشّيخ أنّه راسل أحمد بن مكّي بعد خروجه من السّجن يخبره أنّه لا يستحقّ ذلك المدح كلّه وذلك من تحفّظه حتّى لا يكون كاذبا في شعره.

انتقل الجيطالي إلى جربة وآواه أولاد أبي زكريا بن أبي مسور، ونزل الجامع الكبير واستقبله علماء جربة أحسن استقبال، واجتمعت عليه الطّلبة فكان يدرّس، ويصنّف في المجلس الواحد،[2] وقد درّس الفقه والآداب والشّعر في مزغورة بجربة، ولقّب بفيلسوف الإسلام تشبيها له بأبي حامد الغزالي.[3]

لم تحفظ كتب السّير من تلامذة الشّيخ إلّا اسما واحدا وهو: أيوب الجيطالي.

[1]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص69، وقيل إنّ استيلاء الفرنجة عليها سنة 795هـ / 1392م كان استجابة لهذه الدّعوة، معجم أعلام الإباضيّة: ج2، ص113.

[2]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص70.

[3]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص113.

ومن أهمّ مصنّفات الشّيخ: قناطر الخيرات في ثلاثة أجزاء وهي موسوعة فقهيّة أخلاقيّة، شرح نونيّة أبي نصر الملوشائي في أصول الدّين، قواعد الإسلام، عقيدة الشّيخ إسماعيل، كتاب الحساب وقسم الفرائض، الحجّ والمناسك مع مجموعة من الرّسائل العلميّة.[1]

وجربة الّتي احتفت بالشّيخ حيّا، آوت رفاته بعد وفاته، في المقبرة المجاورة للجامع الكبير وذلك سنة (750هـ / 1349م).[2]

عرف الإمام الجيطالي بحبّه للخير والإيصاء بالمعروف ونهيه عن المنكر في حلّه وترحاله، يعظ النّاس ويذكّرهم في المساجد والأسواق، لا يخاف في الله لومة لائم، وهو القائل: «لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحقّ ولا آمر ولا أنهى».[3]

تميّز الإمام الجيطالي في كتاباته العقديّة بـ:

1- موسوعيّة الاطّلاع على إنتاج الإباضية الفكري واختلافهم الكلامي.

2- التّأثر الواضح للشّيخ بمنهج الإمام أبي حامد الغزالي في: نظريّة المعرفة، والتّصوف.

3- محاولة التوفيق بين الآراء ما وجد إلى ذلك منفذا، ولذلك يمثّل الجيطالي ذروة الالتقاء بين الفكر الإباضي والفكر الأشعري[4].

---

[1]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص76، 77، 78، معجم أعلام الإباضيّة: ج2، ص114.

[2]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص114.

[3]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص64.

1- علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، (260هـ، 324هـ)، من نسل الصّحابي الجليل أبو موسى الأشعري، مؤسّس المذهب الأشعري، من الأئمّة المجتهدين المتكلّمين، ولد في البصرة، وتلقّى مذهب المعتزلة وتقدّم فيهم، ثمّ رجع وجاهر بخلافهم، توفّي ببغداد، له تصانيف كثيرة منها: مقالات الإسلاميّين، الإبانة عن أصول الدّيانة، استحسان الخوض في علم الكلام. الأعلام، الزّركلي، ج4، ص263.

4- اعتماده في الاستدلال على النقل الصّحيح والعقل الصّريح، وجنوحه إلى التأويل الموافق لمحكم النّصوص.

5- موافقته لمجمل الآراء العقديّة في المذهب الإباضي، وقلّة انفراداته عنه.

6- إعطاؤه للآراء الكلاميّة بعدا عمليّا، وإنزالها إلى مستوى الواقع وذلك من خلال مزجه بين أصول الدّين والأخلاق خاصّة في كتابه "قناطر الخيرات".[1]

المطلب الثّالث: الإمام ناصر بن أبي نبهان:

هو ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخليلي الخروصي، ويكنّى أبا محمّد،[2] على أنّ التاريخ لا يذكر له عقبا فلعلّه توفّي في حياته، وُلِد في قرية العلياء بوادي بني خروص (1192هـ/1778م)، يلتقي في نسبه بإمامين عادلين استويا على عمان قديما هما: الخليل بن شاذان (حكم من407هـ إلى425هـ- من1016م إلى 1033م)، والصّلت بن مالك[3] (237هـ إلى 273هـ -851م إلى885م)، كان أبوه مقدّما لدى النّاس بعلمه وحكمته، ومرجعا للعلماء بله طلبة العلم، تشد إليه الرّحال من أنحاء عمان، تعلّم ناصر مبادئ القراءة والكتابة وهو غلام صغير، وكانت ذاكرته قويّة جدّا، إذ كان يحفظ كلّ يوم جزءا من القرآن حتّى أتمّه في ثلاثين يوما، ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشّمس.[4]

ولما بلغ الحلم زوّجه أبوه، ومكث مع زوجه في العلياء، ثمّ أخذ مجموعة من كتب والده، وانتقل إلى العوابي، ليتفرّغ للقراءة والتحصيل، فلعلّه لم يجد من الوقت ما يكفي لريّ صداه

---

[1]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص 396 إلى 399.

[2]- معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص466، الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة ، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، مكتبة الجيل الواعد، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، ص14.

[3]- معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص466.

[4]- الشّيخ ابن أبي نبهان الخرّوصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص15.

الشّديد للكتب، فبعث إليه والده بالرّجوع فأجابه بالامتناع فكتب إليه «اعلم أنّ طاعة والديك مع طاعة مولاك ونحن لا نقهر الرّجال بالحديد ولا بالحبال، لأنّا نعلم أنّ من لم يقيّده الإحسان، لم تزده الإساءة إلّا فرارا ...»، فرجع إليهما وأرضاهما.[1]

كان ابن أبي نبهان عالما عاملا، لم تلهه زهرة الحياة الدّنيا إبان شبابه، يلبس لباس الفقراء، ويحبّ مجالسة الفقراء والمساكين،[2] وكان شجاعا مهيبا، يقال أنّ ثلاثة من أعدائه أرادوا قتله في نزوى في كمين نصبوه له وهو أعزل، فصرعهم جميعا، وتركهم على أسوء حال.[3]

قرّبه السيّد سعيد بن سلطان البوسعيدي (1273هـ/1856م) حين رأى حكمته شاخصة، فكان مهما مشى خطوة في حضر أو سفر، أخذه في صحبته واستشاره في أكثر أموره طول زمانه إلى أن توفّاه الله إلى رحمته.[4]

أمّا شيوخه فلا يذكر لنا من كتب عنه من المؤرخين أنّ له شيخا درس عليه غير والده أبو نبهان، بالإضافة إلى ما وجده من آلاف الكتب في مكتبته.

ومن أبرز تلاميذه: سعيد بن خلفان الخليلي (1231هـ - 1287هـ)، محمّد بن مسعود بن سعيد البوسعيدي (1320هـ-1902م)، ذو الغبراء خميس بن راشد العبري (1271هـ).

فاضت روحه في زنجبار – عاصمة الدّولة العمانيّة حينئذ – وهو في حجر السّلطان سعيد بن سلطان سنة (1262هـ)[5] كما في رواية المؤرّخ ابن زريق (توفي: بعد1287هـ)

---

[1] – الشّيخ ابن أبي نبهان الخرّوصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص16.

[2] – م، ن، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص17.

[3] – م، ن، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص18.

[4] – م، ن، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص18.

[5] – معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، ص466، وهناك رواية أخرى للإمام السّالمي ينقلها عن تلميذ الشّيخ ذو الغبراء أنّه توفّي سنة: (1263هـ)، الشّيخ ابن أبي نبهان الخرّوصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص22.

غزُر إنتاج ابن أبي نبهان غزارة شهدت له بسعة الاطّلاع، وبالاقتدار على التحقيق وكانت الكتب العقديّة التّي تهيمن على إنتاجه الفكري ومنها: الإخلاص بنور العلم، التوحيد لله المجيد، تنوير العقول.

تميّزت كتاباته العقديّة بـ:

1-القراءة النّاقدة للتّراث الإباضي.

2-خروجه الكثير على القول المشهور أو المجمع عليه في المذهب الإباضي، كمسألة "نبوة آدم، ونفي عذاب القبر، ونفي أشراط السّاعة جملة وتفصيلا " إذا استبان له الدّليل على ذلك.

3-ردّ الأحاديث جملة دون النّظر في تصحيحها أو تضعيفها ، إذا توهّم منها مخالفة لصريح القرآن.

4-اشتراطه في الرّواية الّتي تكون حجّة في المسائل العقديّة ثلاثة شروط: أن لا تتعارض مع كتاب الله، أن لا تختلف عليها المذاهب، أن لا تتعارض مع العقل.[1]

5-جنوحه في بعض الأحيان إلى التأويل البعيد للاحتجاج على آرائه، كما في تأويل قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ).[2]

6-ميله إلى المدرسة العقليّة أكثر من المدرسة النصيّة.

المطلب الرّابع :عبد الله بن حميد السّالمي:

هو عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السّالمي،[1] كنيته أبو محمّد،[2]من بني ضبّة،[3] من قبيلة تدعى بالسّوالم لها أتباع كثيرون ترجع إلى نزار بن معدّ بن

[1]- الشّيخ ابن أبي نبهان الخرّوصي و آراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص115.

[2]- النّمل 82، م، ن،، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص80.

عدنان،[4] ولد ببلدة الحوقين من أعمال الرّستاق عام 1286هـ[5] وكانت بها منازل قومه وموطن نشأته، اشتغل منذ صباه بحفظ القرآن الكريم على يد والده[6] ورحل إلى بلدة الرّستاق مع أبيه لظروف اجتماعيّة" تمثّلت في الفتنة الّتي اندلعت بين الهناوية والغافرية وكانت السّوالم مع الغافريّة فحين كانت الدّائرة عليهم خرجوا هاربين من الحوقين إلى الرّستاق دون أن يأخذوا معهم شيئا"،[7] فوجد الإمام السّالمي هذه البلدة تعجّ بالعلماء والمشائخ فتكوّنت عنده الرّغبة في التحصيل العلمي،[8] وفيها كفّ بصره وهو ابن اثنتي عشرة سنة وقيل وهو ابن ثمان سنين.[9]

كان آية في الذّكاء والحفظ[10] مما أهّله لأن يتصّدر للتّأليف في مستهلّ السابعة عشرة من العمر فألّف كتابه: بلوغ الأمل في المفردات والجمل، [1]كما شرع في التّدريس في مختلف العلوم

---

[1]– الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيّي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، جمعيّة التراث، دار الخلدونيّة، الطبعة الأولى، 1432هـ / 2011م، ص83، الإمام نور الدّين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، مكتبة الضّامري، ص58، مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ث.

[2]– نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص 86.

[3]– مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ت.

[4]– معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الاولى 1427هـ، 2006م، ص271.

[5]– مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ث، الإمام نور الدين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، ص60، تذكر المصادر ثلاث أقوال في تاريخ ولادته: 1–أنّه وُلد سنة 1286هـ، وهو قول جلّ المراجع، 2–أنّه وُلد سنة 1288هـ، 3– أنّه وُلِد سنة 1284هـ وهو الّذي رجّحه الباحث مصطفى بن محمّد. شريفي، نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص88.

[6]– نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة ،مصطفى بن محمّد شريفي، ص100.

[7]– الإمام نور الدين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، ص61.

[8]– الشيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص102.

[9]– م، ن، مصطفى بن محمّد شريفي، ص96.

[10]– مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ث.

الشّرعيّة، وكان للجانب الروحي من حياة الشّيخ تكوينه الخاص إذ يذكر ابنه أبو البشير أنّه نزل في نزوى عند الشّيخ محمّد بن خميس السّيفي وكان من علماء الأسرار فأعطاه طريقة مناسبة لمراده من طلب العلم، وأمره بالخلوة و الرّياضة حتى نال مراده من وهبيّات العلم اللّدني،[2] وبعد ذلك رحل إلى بلدة الحبوس من شرقيّة عمان وتنصّب للتّدريس فأفاد عددا كبيرا من النّاس حتّى أصبحوا من أفاضل عصرهم" ولا مغالاة إذا قيل إنّ أغلبيّة علماء وقضاة القرن الرّابع عشر هجري من ثمار غرس ذلك الحبر الجليل"[3].

لم يكن الإمام نور الدّين السّالمي محصورا في دور العلم والتعليم الّذي حقّقه باعتباره مفكّرا إسلاميّا، وعالما دينيّا أو صاحب مدرسة علميّة متميّزة فحسب، بل امتدّ نشاطه إلى الجانب العملي السّياسي، والإصلاح الاجتماعي، فكانت له مواقف جادّة وأعمال جريئة منذ شبابه المبكّر [4] ولعلّ أهمّ محطّة صقلت شخصيّته المناضلة باللّسان والأقلام هي رحلته إلى حضرة الشّيخ المجاهد صالح بن عليّ الحارثي وكان ذلك سنة 1308هـ[5] لما كان يسمعه من الأخبار عن هذا الشيخ، ومن اهتمامه بنشر دعوة الإسلام والصّدع بكلمة الحق حيث لازمه إلى وفاته آخذا عنه "التفسير، والحديث وأصول الدين وأصول الفقه والنّحو والصّرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق"،[6] وهناك صرف همّته لنشر العلم والتّأليف، وانتشر العلم في ربوع عمان بعد أن

---

[1]– م، ن، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ث، نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص96.

[2]– الإمام نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص104.

[3]– مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ج.

[4]– الإمام نور الدين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف الهاشمي، ص69.

[5]– الإمام نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص109.

[6]– نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص117.

كثر الجهل، وضربت إليه أكباد الإبل من شرق البلاد وغربها، حتّى انتهت إليه رئاسة العلم بعمان.[1]

ومن أهمّ نتائج دعوته وجهوده المضنية تأسيسه للإمامة في نزوى بعد أن لبّى نداءه العلماء والأعيان وساهم في إقناع سالم بن راشد الخروصي بتولّي زمامها بعد أن وقع الاختيار عليه، ثمّ تسابق بعد ذلك القبائل والعشائر أفرادا وجماعات لمبايعة الإمام ومناصرته والدّخول في طاعته، وبهذا الإنجاز العظيم رأى الشّيخ ثمرة جهاده وكفاحه المرير واقعا ملموسا ولذلك نجده يقول بعد ذلك: « خشيت معاجلة الموت قبل اجتماع العمانيين على إمام يجمع الشّمل، ويقيم العدل، فلمّا تمّ ذلك خشيت أن أموت قبل أن أشاهد الإمام يصلّي الجمعة بالمسلمين، ثمّ خشيت أن أموت قبل أن أرى الإمام يقيم حدّا من الحدود الواجبة، أمّا الآن فقد كان ذلك كلّه فالحمد لله على تمام النّعمة».[2]

لقد كان للشيخ علاقات كثيرة مع علماء عصره، منهم الشّيخ أطفيش الجزائري، وهو الذّي لقّب الشّيخ السّالمي بـ "نور الدّين"، كما أنّ السالمي هو الّذي لقّب الشّيخ أطفيش بـ "قطب الأئمّة".[3]

تميّز السالمي بشخصيّته القويّة وشدّة غيرته على الدين، فمواقفه لا تعرف الجبن أو المداهنة وكان همّه قيام الدّولة الإباضيّة والإمامة في عمان وكان شديد الورع وكثير التضرّع إلى الله تعالى فلا تراه في مجلس إلا رافعا يديه إلى السّماء قائلا:" لبّيك اللّهمّ لبيك " ثمّ يبسط يديه

---

[1]- مقدّمة مشارق أنوار العقول، خالد بن مهنّا البطّاشي، ص، ج.

[2]- الإمام نور الدين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف الهاشمي، ص79، 80.

[3]- معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص272، وقيل إنّها رواية شفوية وأنّ المصادر المكتوبة تعزو هذا الإطلاق إلى الشيخ أبي إسحاق أطفيش وابنه من بعده، الشيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص85.

فيقول "اللّهمّ اجمع الشّمل وألّف بين القلوب وأيّد المسلمين"، بالإضافة إلى تحلّيه بصفتي السّخاء والكرم، فقلّما تناول طعاما وحده لكثرة ازدحام الزّائرين والسّائلين والمتعلّمين في فنائه.[1]

من أهمّ شيوخه: والده حميد بن سلوم السّالمي (الّذي حفظ على يديه القرآن الكريم)،[2] راشد بن سيف اللّمكي، ماجد بن خميس الحمراوي، حمد بن سيف بن سعيد البوسعيدي، ومحمّد بن سيف الرّحيلي، عبد الله بن محمّد الهاشمي.[3]

ومن تلاميذه: سالم بن راشد الخروصي، الإمام محمّد بن عبد الله الخليلي، سعيد بن حمد بن عامر الرّاشدي، أحمد بن سليم الجنيبي، حمد بن عبد الله السّالمي أبو حميد (ابنه)، سالم بن حمد الرّاشدي.

توفّي رحمه الله في يوم 05 ربيع الأوّل 1332هـ/31جانفي 1914،[4] تاركا وراءه تراثا فكريّا غزيرا ومنوّعا في شتّى علوم الشّريعة نذكر منه: مشارق أنوار العقول وغاية المراد ومتن كشف الحقيقة في العقيدة، طلعة الشّمس في شرح منظومة شمس الأصول في أصول الفقه، معارج الآمال في شرح مدارج الكمال على نظم مختصر الخصال وجوابات السّالمي وجوهر النّظام والعقد الثّمين وبعض الرّسائل الفقهيّة[5] كلّ هذا في الفقه، وشرح الجامع الصّحيح (مسند الرّبيع بن الحبيب) في الحديث، وديوان شعر، وتحفة الأعيان بسيرة أهل عمان في التّاريخ[6]، وبلوغ الأمل في المفردات والجمل، وفاتح العروض والقوافي، والمواهب السنيّة على الدرّة البهيّة في النّحو والّشعر والعروض.

---

[1]- معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني: ص272 ، 278.

[2]- م، ن، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص271.

[3]- الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص102.

[4]- م، ن، مصطفى بن محمّد شريفي، ص414 وقيل في 28 رجب 1326هـ ينظر: الإمام نور الدين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف الهاشمي، ص86.

[5]- الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة، رسالة في الدّم المسفوح، إيضاح البيان في نكاح الصّبيان.

[6]- الشّيخ السّالمي مجدّد أمّة ومحيي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، من: ص222 إلى225.

ومن أقوال علماء عمان فيه: ما قاله شيخه اللمكي: «أخذ عني العلم عبد الله بن حميد فصار أوسع مني علما»، وقال صالح بن علي الحارثي: «شاهدت اليوم ولدا ساليّا من الحوقين، يكاد يلتهم العلم التهاما، ولئن بارك الله فيه ليكونن مجدّدا لهذا الدّين وقدوة للمسلمين».[1]

وتمتاز كتابات الإمام السّالمي العقدية واجتهاداته الكلاميّة بمجموعة خصائص نذكر منها:

1- حفظه وإتقانه لأدلّة المذهب وتمكّنه من ناصية الاستدلال العقلي والنّقلي فيه مع قلّة خروجه على الآراء الكلاميّة المنصوصة فيه.

2- محاولته الدّائمة في الجمع والتوفيق بين الآراء المختلفة والتّقليل من حدّة الخلاف بينها.

3- تفتّحه على علماء المذاهب الأخرى فتراه كثيرا ما ينقل عن علماء الأشاعرة بشكل كبير والماتوريديّة والمعتزلة استدلالاتهم المختلفة سيما فيما وافقوا فيه مذهبه، وعدم التحرّج في ذلك.

4- يعتمد في إيراد آراء كلّ فرقة على مصادرها غالبا، فكثيرا ما يحيل إلى كتاب المواقف للإيجي، وشرحه للجرجاني وعلى حواشي الجوهرة للبيجوري.[2]

5- طول نفسه في محاججة خصومه وتقرير آراء مذهبه إذ تجده يذكر مسألة كتأويل الصّراط والحوض فيستدلّ لها في كتابه المشارق، ويعيد الاستدلال عليها في منظومة غاية المراد، وكذلك في المنظومة الطّويلة جوهر النّظام.

[1]- معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص272.

[2]- الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيي الإمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص238.

6- القصد إلى الحقّ واعتماد المنهجيّة العلمية في ذلك، والرّجوع عن الرّأي إذا تبيّن ضعف دليله ومرجوحيّته كما في مسألة اللّوح المحفوظ، وتكليف أهل الفترة، وزيادة الأجل لمن يعمل بعض الصّالحات، الحكم في القائلين بفناء الدارين.[1]

المطلب الخامس: أمحمّد بن يوسف أطفيّش:

هو الإمام أمحمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرّحمان بن عيسى بن إسماعيل بن محمّد بن عبد العزيز[2] بن بكير أطفيّش الحفصي أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة،[3] وينتهي نسب الشّيخ إلى الحفصيّين العائلة المالكة بالمغرب، ثمّ يصله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[4] لانتهاء نسبه إلى بني عدي[5]كما صرّح به الشّيخ نفسه،[6] واشتهر الشّيخ أطفيّش بلقب القطب الّذي يقال أنّ الإمام السّالمي كان أوّل من أطلقه

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص70، 402، الإمام السّالمي مجدّد أمّة ومحيي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص181.

[2]- الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، محمّد بن يوسف أطفيّش، تعليق: أبو إسحاق أطفيّش، مكتبة البعث، الطبعة الثّانية، 1400هـ/ 1980م، ص، أ.

[3]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص836.

[4]- مقدّمة الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، أبو إسحاق أطفيّش، ص: أ.

[5]- وقد قال الشّيخ في ذلك:

وناظم الأبيات من بني عدي يتّصل اتّصال يوم بغد

مع اجتماع في عديّ بعمر وبالنّبيء في لؤي وزمر، ينظر: الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، أبو إسحاق أطفيّش، ص، ب.

[6]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، المطبعة العربيّة، دت، ص23، ويشير الباحث إلى أنّ هذه المعلومات ليست بالأكيدة لعدم توفّر الأدلّة الواضحة ولطول الأمد بين عصر الراشدين وعصر الشّيخ.

عليه[1] وليس لهذا اللّقب معنى من معاني المرتبة الصّوفيّة، ولكن يدلّ على مكانة الشّيخ وعلى كونه مرجعا للإباضيّة في وقته.[2]

ولد بغرداية سنة 1238هـ/ 1821م،[3] لما انتقل والده إليها بسبب نفي وجهاء بلدة بن يزجن له لخلافات بينهم،[4] وعاش بها طفولته الأولى، وفي الرّابعة من عمره توفّي والده وتركه يتيما تحت كفالة والدته، توسّمت فيه بوادر النّبوغ فعهدت به إلى أحد المرّبين لحفظ القرآن الكريم، فختمه وحفظه وهو ابن ثمان سنوات، ففتح له مجال العلم وسارع إلى دور العلماء وحِلق الدّروس بالمسجد، فأخذ مبادئ النّحو والفقه والحديث والصّرف والعروض على يد أخيه الأكبر: إبراهيم بن يوسف، وتلقّى مبادئ المنطق عن الشّيخ سعيد بن يوسف وينتن، وكان يحضر حلقة الشّيخ عمر بن سليمان نوح مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشّيخ الحاج سليمان بن عيسى في دار التّلاميذ اليسجنيين، كما كان يحضر دروس الشّيخ بابا يونس في مسجد غرداية.[5]

ولعلّ شقيقه الحاج إبراهيم أطفيّش (ت1310هـ) كان له الأثر الأكبر عليه، إذ إنّه يكثر من الإشادة به وبفضله عليه وبمآثره وضمّن كلّ ذلك قصيدة خاصّة في مدحه، وهو ما لم يفعله مع أحد من أساتذته.[6]

بعد أخذه للمبادئ، شمّر على ساعد الجدّ والتحصيل، بعزيمة لا تعرف الملل، يؤازره ذكاؤه الحاد وذاكرة وقّادة ورغبة في العلم لا تعرف الحدود، نشأ عصاميّا، لم يسافر للدّراسة خارج

---

[1]- الشيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص85.

[2]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص24.

[3]- وتشير بعض الدّراسات إلى أنّ ولادته كانت في 1236هـ وهو ما أثبته أبو إسحاق أطفيّش في مقدّمة الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، محمد بن يوسف أطفيّش، ب، وقيل 1237هـ. آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص24 ، 25.

[4]- م، ن، مصطفى وينتن، ص27.

[5]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص836.

[6]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص 46.

موطنه،[1] إلّا ما كان من رحلتيه الحجازيّتين اللّتين تعتبران من أهمّ محطّات حياته وقد ذكرهما في كثير من مؤلّفاته واصفا مراحل تلك الرّحلات والعلماء الّذين التقى بهم بين مكّة والمدينة،[2] وخلّد كلّ ذلك في قصيدته الحجازيّة،[3] وجعل دأبه الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها يجتهد في طلبها وشرائها من كلّ البلدان، رغم قلّة ذات اليد وصعوبة الاتّصال، فتجمّعت لديه مكتبة غنيّة تعتبر فريدة عصرها بالنّظر إلى ظروف صاحبها، وبعده عن مراكز العلوم والعمران.[4]

وما كاد يبلغ السّادسة عشر ربيعا حتّى جلس للتدريس والتأليف، ولما بلغ العشرين من العمر أصبح عالم وادي ميزاب، ثمّ بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما ذكر ذلك عن نفسه،[5] وهذا ما أهّله أن يسأل الله أن يكون هو مجدّد الدّين في عصره وقد عبّر عن هذا الشّعور بقوله: «قلت لقد بلي هذا الدّين فاسألوا الله تعالى أن يجعلني له مجدّدا ولأحواله مسدّدا ولما خفّ منه مشدّدا».[6]

كان الشّيخ مهتمّا بالوضع في بلاده فأعلن رفضه لدخول الاستعمار الفرنسي للجزائر وحين توغّل الجيش الفرنسي إلى وادي ميزاب سنة 1882م قاد الشّيخ ضدّه مقاومة سرعان ما استطاع الفرنسيّون قمعها، واعتقلوا الشّيخ حتّى لا تتّسع رقعتها كما حدث في الشّمال الجزائري، ولما أُطلق سراحه وُضع في إقامة جبريّة حتّى لا يتحرّك إلّا في محيط ضيّق جدّا، فلا ينتقل بين مدن ميزاب إلّا برخصة يطلبها من الحاكم الفرنسي،[7] وصار يبعث إلى الاستعمار برسائل

---

[1]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص837.

[2]- وكان من بينهم: عليش، رحمة الله بن خليل الرحمان الهندي، محمّد حقّي بن علي بن إبراهيم ... آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص50.

[3]- م، ن، مصطفى وينتن، ص29.

[4]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4 ، ص837.

[5]- م، ن، لجنة البحث العلمي، ج4 ، ص837.

[6]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص50.

[7]- م، ن، مصطفى وينتن، ص39.

احتجاجيّة يطالبه فيها بحقوق المواطنين ومنع الظّلم والتعسّف مثل فتح طريق الحجّ ، وتحريم المكس المفروض على التجار وتخفيض الغرامات [1]

أنشأ القطب معهدا للتدريس ببني يسجن، تخرّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون انبثّوا في أقطار المغرب والعالم الإسلامي،[2] ولم يشتغل الشّيخ طول حياته بغير التعليم، سوى الفترة القصيرة التّي تولّى فيها القضاء فوجده يشغله عن التدريس والتأليف فتركه، وذلك قبل سنة 1853م.[3]

ومن المحن الّتي تعرّض لها الشّيخ أطفيش في حياته أنّه نُفِي من بلدته بن يزجن فسكن البلدة المجاورة: بنورة، وكان في فترة النّفي يواصل التدريس والتأليف أيضا وكان سبب ذلك محاولة الشّيخ استعجال إصلاح بعض الأوضاع و تغييرها، وقد كان في أوّل عهده بالعمل الاجتماعي.

عرف القطب بتفانيه في نقل العلم والتدريس معروفا بطول النّفس، إذ كانت دروسه تستمرّ طيلة أيام الأسبوع من الضّحى إلى الزّوال إلا يوم الجمعة، يدرّس في اليوم الواحد أحد عشر درسا مختلفا، ولا يدرّس في اللّيل لأنّه كان يخصّصه للتأليف والإجابة عن الرّسائل والاستفتاءات المتهاطلة، إلّا أنّه قد يخصّ الغرباء والمتفوّقين والنّجباء بشيء من الدرس ليلا،[4] حتّى قيل إنّه كان يعمل في بعض الأحيان ستّ عشرة ساعة في اليوم.[5]

من أبرز تلاميذه: أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان، صالح بن عمر لعلي، النّاصر بن إبراهيم الدّاغور، يوسف حدبون.[6]

---

[1] – آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص40.

[2] – معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4 ، ص837.

[3] – آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص26.

[4] – معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص837.

[5] – آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص56.

[6] – معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 838.

ومن ليبيا: المجاهد سليمان باشا الباروني، ومن تونس: المؤرّخ سعيد بن تعاريت ومن المدينة المنورة: أحمد الرّفاعي وغيرهم ممّن بلغ المشيخة.[1]

انتقل إلى رحمة ربّه يوم السّبت 25 ربيع الثّاني 1332هـ/ 1914م.[2]

من أهمّ آثار الشّيخ أطفيّش تآليفه الّتي أغنى بها المكتبة الإسلاميّة كمّا ونوعا، فقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة مؤلّف[3]ما بين كتاب ورسالة، [4]من أبرزها:

ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم: داعي العمل ليوم الأمل،[5] هميان الزّاد إلى دار المعاد، تيسير التفسير، وفي الحديث ألّف: ترتيب الترتيب على مسند الرّبيع بن الحبيب، وجامع الشّمل من أحاديث سيّد الرّسل، وفاء الضّمانة بأداء الأمانة، وفي التوحيد ألّف: الذّخر الأسنى بشرح أسماء الله الحسنى، حاشية على كتاب السّؤالات لأبي عمرو السّوفي، حاشية على شرح النّونيّة لأبي نصر الملوشائي، حاشية على كتاب الموجز لأبي عمّار عبد الكافي، شرح أصول تيبغورين، وفي الفقه ألّف: كتاب شرح النّيل وشفاء العليل لضياء الدّين عبد العزيز الثميني، ترتيب المدوّنة الكبرى لأبي غانم الخرساني، الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، شامل الأصل والفرع، وفي اللّغة ألّف: شرح شرح الاستعارات لعصام الدّين، شرح لاميّة الأفعال، قصيدة الغريب: نظم متن مغني

---

[1] – معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 838.

[2] – م، ن، لجنة البحث العلمي، ج4، ص835.

[3] – آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص63.نقلا عن أبي إسحاق أطفيّش، الدّعاية إلى سبيل المومنين، ص108

[4] – معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 839.

[5] – قيل إنّه تفسير لم يتمّمه، بدأه من الخاتمة وانتهى به إلى سورة الرحمان، معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص839.

اللّبيب (وهي أرجوزة في خمسة آلاف بيت)،[1] وله ديوان شعر ومراسلات عديدة مع علماء وحكّام.[2]

ويقدّم أحد الباحثين ملحظا على مؤلّفات الشّيخ أنّها كانت في غالبها تبعا للمؤلّفات السّابقة، فبين شرح أو وضع حاشية أو اختصار أو إعادة ترتيب لكتب سابقة أو ردود أو تفاسير ...اتّسمت أغلب مؤلّفات الشّيخ و نستثني من ذلك مؤلّفين: «الحجّة في وضع المحجّة» وهو متن خاص بالعقيدة، وكتاب «شامل الأصل والفرع»: وهو كتاب جامع لفصول من العقيدة وأصول الفقه والآداب والأخلاق.[3]

شهد له بالرّسوخ في العلم كثيرون: منهم الشّيخ محمّد عبده، والشّيخ زيني دحلان، وبعض علماء الحجاز، ووصفه تلميذه أبو اليقظان بقوله: «لا يُعْرَفُ إلّا في تدريس علم أو تأليف كتب».[4]

كان الشّيخ عدوّا عنيدا لفرنسا، وممّن وقف بقوّة في وجه الاحتلال، ودعا إلى مقاطعة المستعمر، وعدم التعامل معه، وكان حريصا على وحدة المسلمين، يعصره الألم على ما آل إليه أمرهم من فرقة وهوان، كما لم يقتصر في إصلاحه على الجانب العلمي، بل تعدّاه إلى المجال الاجتماعي، ومحاربة الجهل والبدع.[5]

وتمتاز كتابات الشّيخ أطفيش في العقيدة بـ:

1- حفاظه على المناهج القديمة في طريقة العرض والاستدلال والتأليف.

2- استمراره في البحث وتطوّر آرائه تبعا لذلك، فهو لا يستقرّ على رأي واحد بل يغيّره متى توصّل إلى ما هو أحسن منه.

---

[1]- مقدّمة الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، أبو إسحاق أطفيّش، ص هـ.

[2]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص: من 839 إلى 846.

[3]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى وينتن، ص77.

[4]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص839.

[5]- م، ن، لجنة البحث العلمي، ج4، ص846، 847.

3- دقّته في اختيار الأدلّة وانتقائه الصّالح منها للاستشهاد دون غيره كما في مسألة تسمية مرتكب الكبيرة.

4- احترامه للرّأي الآخر والأمانة في النقل، والاستشهاد له والبحث عن المقصد الحقيقي للقائل واحتمال أوجه الصحّة له.

5- التّسرّع في الحكم على الحديث بالضّعف أو الوضع، دون الاستدلال ثمّ احتمال صحّة الأحاديث ومحاولة تأويلها، مما جعل بعض استدلالاته أقرب إلى التناقض.

6- الخوض المبالغ فيه في بعض القضايا الغيبيّة من غير دليل (كوقت قيام السّاعة).

الفصل الثّاني:

الافتراقات في المذهب الإباضي

لعلّ الصّعوبة الّتي تكمن في الدرس التأريخي للفرق هو نشدان العَرْضِ الدّقيق وسط الرّوايات المتضاربة، وأصعب من ذلك، تحديد المصطلحات وإطلاق الأحكام، وإذا كان بعض الباحثين يفرقون بين تسميتين متقاربتين في المفهوم والماصدق وهي الفرقة الدينيّة: والّتي يكون منشؤها فكريا عقديّا، والحزب الديني: الّذي يكون منشؤه سياسيّا ثم يتطوّر إلى الفكري،[1] فإنّ التسليم بوجود فرق فرعيّة منبثقة من الإباضيّة الأم ليس شيئا مسلّما به عند جميع الباحثين من نفس المذهب، ولذا وجدنا أنّ أقرب ما يكون إلى الصواب أن نتمسّك بما عنون به الدّرجيني هذه المواضع في كتابه بقوله: الافتراق الأوّل والافتراق الثاني .....، لأنّ هذه العنونة لا تدلّ بالضّرورة على مقتضى الافتراق الّذي هو الاستقلال بالفرقة أو الانعزال عن الجماعة، على الأقلّ من ناحية اللغة، بل كلّ ما في ذلك، الافصاح عن وجود خلاف ما في الرأي، أو ما يوسم بالافتراق المعنوي.

وقبل أن نعرض للافتراقات الّتي أرّخها الإباضيّة عن أنفسهم وعَرْضِ رأيهم فيها، جدير بالذّكر قبل ذلك، أن نشير إلى ما كتبه غير الإباضيّة في هذا الموضوع، وما عددّوه من افتراقات داخل هذا المذهب وقد اخترنا كتابين في الموضوع: وهما كتاب الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (330هـ)[2] –مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين– ويعتبر من أقدم التآليف، وكتاب الإمام أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشّهرستاني (548هـ) –الملل والنّحل– ويعدّ من أحدثها، ومنهجنا في ذلك أن نعرض مقالات الإمامين في الإباضيّة وفرقها، ثمّ ننتقل إلى إبداء وجهة نظر الإباضيّة من ذلك.

وبدأً بالكتاب الأوّل نرى الإمام الأشعري إبان إدراجه للإباضيّة كفرقة ضمن فرق الخوارج الكثيرة، نجده يقسّمها إلى أربع فرق، إذ يقول:

---

[1]– آراء الخوارج الكلاميّة، عمّار طالبي، ص187. نقلا عن عبد الحليم محمود، التّفكير الفلسفي في الإسلام، ص107

[2]–

1- «الحفصيّة: كان إمامهم حفص بن أبي مقدام زعم أنّ بين الشّرك والإيمان معرفة الله وحده، فمن عرف الله سبحانه ثمّ كفر بما سواه من رسول أو جنّة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل نفس واستحلال الزّنا وسائر ما حرّم الله من فروج النّساء فهو كافر بريء من الشّرك، وتأوّلوا في عثمان نحو ما تأوّلت الشّيعة في أبي بكر وعمر، وزعم أنّ عليّا هو الحيران الّذي ذكره الله تعالى في القرآن، وأنّ أصحابه الّذين يدعونه إلى الهدى هم أهل النّهروان وأنّ عبد الرحمان بن ملجم هو الذّي أنزل الله فيه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)[1] ....[2]

2- والفرقة الثّانية منهم يسمّون اليزيديّة: كان إمامهم يزيد بن أنيسة، زعم أنّ الله سيبعث رسولا من العجم، ويُنزّل عليه كتابا من السّماء، يكتب في السّماء، ويُنزّل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمّد ودان بشريعة غيره، وزعم أنّ ملّة ذلك النّبي الصّابئة، وليس هم الصّابئة الّذين ذُكروا في القرآن، وتولّى من شهد لمحمّد صلى الله عليه وسلّم، بالنّبوة من أهل الكتاب، وإن لم يدخلوا في دينه، ولم يعملوا بشريعته.[3]

3- والفرقة الثّالثة من الإباضيّة أصحاب «حارث الإباضي»، قالوا في القدر بقول المعتزلة، وخالفوا فيه سائر الإباضيّة، وزعموا أنّ الاستطاعة قبل الفعل.[4]

4- والفرقة الرّابعة منهم يقولون بطاعة لا يراد الله بها، على مذهب أبي هذيل، ومعنى ذلك أنّ الانسان يكون مطيعا لله، إذا فعل شيئا أمره الله تعالى به وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به[1].

---

[1]- البقرة 207

[2]- مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، دط، 1411هـ، 1990م، ص183.

[3]- مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، أبو الحسن الأشعري، ص183.

[4]- م، ن، أبو الحسن الأشعري، ص184.

وقال بعضهم من قال بلسانه «إنّ الله واحد» وعنى به المسيح، فهو صادق في قوله مشرك بقلبه، وقال بعضهم: ليس على النّاس المشي إلى الصّلاة والرّكوب إلى الحج، ولا شيء من أسباب الطّاعات الّتي يُتوصّل بها إليها، وإنّما عليهم فعلها بعينها فقط، وقالوا جميعا: إنّ الواجب أن يستتيبوا من خالفهم في تنزيل أو تأويل، فإن تاب، وإلّا قُتل، كان ذلك فيما يسع جهله أو فيما لا يسع جهله.[2]

وهذه أهمّ مقالات الإباضيّة وفرقها في العقيدة من خلال كتاب الأشعري، وكلمة علماء الإباضيّة قاطبة مجمعة على تخطئة هذا التقسيم وتفنيد ظهور فرق بهذا الاسم، ولعلّنا نستثني من ذلك التّشابه بين مقالة الحارث الإباضي المتبنّي نظريّة المعتزلة في القدر، والّذي جعله الإمام الأشعري زعيم فرقة والّذي ورد اسمه في طبقات الدّرجيني[3] مع أولئك الّذين تبرّأ منهم الإباضيّة لنفس المقالة المذكورة، وماعدا ذلك من الفرق لا يجد الباحث عنهم في كتب التاريخ وطبقات الإباضيّة لهم ذكرا، ولا حتى بالإشارة الخفيّة سواء احتملت مدحا أو ذمّا بله زعمائهم، كما أنّ غالبيّة الأحكام المنسوبة إلى الإباضيّة هنا هي من وجهة نظرهم مقالات كفريّة لا يجد المستقرئ لكتاباتهم العقديّة تأصيلا لذلك الكلام، وما ذكره الإمام الأشعري عن الإباضيّة قد كُرِّر عند كلٍّ من البغدادي –الفرق بين الفرق[4]–، وابن حزم –الفصل في الملل والأهواء والنّحل–. [5]

---

[1]– مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، أبو الحسن الأشعري، ص185 .

[2]– م، ن، أبو الحسن الأشعري، ص189.

[3]– طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص52.

[4]– الفرق بين الفرق وبيان الناجية منها، أبو منصور البغدادي (429هـ)، تحقيق محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، ط 1988م، ص72.

[5]– الفصل في الملل والأهواء والنّحل، أبو محمّد علي بن محمّد المعروف ابن حزم(456هـ)، تحقيق، محمّد إبراهيم نصر، عبد الرّحمان عميرة، دار الجيل، الطبعة الثّانية، 1416هـ/1996هـ، ج5، ص51.

يجدر التنويه إلى أنّ الإمام الأشعري حين نقل آراء الفرق الإباضيّة نقلها عن شخص يُدعى «اليمان بن الربّاب» الخارجي فظنّه إباضيّا فنقل عنه تلك الأحكام المغلوطة والحقيقة غير ذلك.[1]

وجدير بالذّكر كذلك الإشارة إلى ما افترضه الدكتور النّامي –وقد انفرد به– من احتماليّة كون تلك الفرق –غير المعروفة في المصادر الإباضيّة– تأسّست في المرحلة الأولى من الحركة في المشرق ثمّ تلاشت في وقت مبكّر.[2]

أمّا عند الإمام أبي الفتح الشهرستاني فأنّ ترجمته للفرقة الإباضيّة كانت أقرب إلى العلميّة، إذ لم يذكر للإباضيّة أيّة فرق، وعدّ كلّا من الحفصيّة والحارثيّة واليزيديّة من فرق الخوارج عموما شأنها شأن الإباضيّة، كما نلحظ في ترجمته اختصار شديد مقارنة بسابقه.

يقول: «الإباضيّة أتباع عبد الله بن إباض الّذي خرج على مروان بن محمّد... وقال إنّ مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من السّلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السرّ غيلة، إلّا بعد نصب القتال وإقامة الحجّة، وتوقّفوا في أطفال المشركين، وجوّزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنّة تفضّلا، وحكى الكعبي عنهم أنّه يقولون بطاعة لا يراد بها وجه الله ...وهم جماعة متفرّقون في مذاهبهم تفرّق الثّعالبة والعجاردة»،[3] إلى غير ذلك من الأقوال، ونلاحظ في بداية هذه الترجمة أنّ الشّهرستاني جعل عبد الله بن إباض معاصرا لمروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة المتوفّى سنة (132هـ)، وهذا على خلاف ما يقرّره المؤرّخون الإباضيّون، إذ يقول الشمّاخي في ترجمته لرئيس الإباضيّة: «وكان كثيرا ما يبدي النّصائح لعبد الملك بن مروان

---

[1]– مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، ص184، الخوارج والحقيقة الغائبة، ص50.

[2]– دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، مطبعة النّهضة، دت، ص219.

[3]– الملل والنّحل، الشهرستاني، صحّحه وعلّق عليه: أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلميّة، ط2. 1413هـ/1992م، ص131 – 132.

...»،[1] ومعروف أنّ عبد الملك بن مروان توفّي سنة (86هـ)، وجملة ما ذكره عن الإباضيّة من أحكام بعضها يحتاج إلى توضيح وبعضها صحيح النّسبة إليهم، وهذه الأحكام في جملتها منقولة عن رجل اسمه الكعبي، فنسبة تلك الاقوال وإن كانت تخرج من عهدة الشّهرستاني إلّا أنّ ذلك مخالف لما ذكره في بداية كتابه من الرّجوع إلى مصادر الفرق المترجم لها إذ يقول: «وشرطي على نفسي ان أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصّب لهم ولا كسر عليهم ...»،[2] وعلى العموم فالإمام الشهرستاني في إجلائه للآراء العقديّة الإباضيّة كان –مقارنة مع كتّاب المقالات الآخرين– أقلّ حدّة «متّسما بدقّة الملاحظة والمعرفة لآراء الفرق، ولذلك فقد نسب ما قيل له عن الإباضيّة إلى روّاته، وجعل بعض من كان يحسب على الإباضيّة وليس منهم فرقة مستقلّة، وهي خطوة تستحقّ الثّناء والتّقدير».[3]

المبحث الأوّل: (مخالفة غيلان وعطيّة وحمزة الكوفي لأبي عبيدة)

من العسير أن يحدّد الباحث الخلاف الأوّل عند الإباضيّة، أو المسألة الأولى الّتي اختلفوا فيها، ولكنّه يستطيع أن يجزم أنّ الخلاف داخل المذهب قد كان يقع،[4] وتلك جبلّة المولى تعالى في عباده أن يُخالف بين مدارك فقههم واستنباطهم للأشياء، فبين مصيب ومخطئ وبين قريب من المقصود وأقرب منه.

وقد كانت مسألة القدر في ذلك الحين هي مشغلة العقول والأفهام عند العلماء والمتكلّمين.[5]

---

[1]– كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ج1، ص189.

[2]– الملل والنّحل، الشهرستاني، ج1، ص6.

[3]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص73.

[4]– م، ن، علي يحي معمّر، ص324.

[5]– م، ن، علي يحي معمّر، ص324.

وأوّل من أخرج هذه المسألة إلى ردهة الفكر الإسلاميّ وبساطه –وقد سمّي كذلك مذهب الإرادة الحرّة– هو معبد بن خالد الجهني،[1] وقد نشأ في المدينة وانتقل إلى البصرة آخر حياته، وكان من تلاميذ أبي ذر الغفاري وكان يعلن «أن لا قدر وأنّ الأمر أنف»، و هذا نتيجة طبيعية سبقها إنكاره على ملوك بني أميّة مظالمهم، والدّعوة إلى تغيير منكرهم، فخرج مع محمد بن الأشعث في ثورته المشهورة، وقبض عليه بعدها وأودعه الحجّاج السّجن مقيّدا وكان يعذّبه عذابا شديدا، وكان قبل موته يعلن مذهب الإرادة الإنسانيّة الحرّة، ويفهم ذلك من حواره مع الحجّاج قبل قتله حين قال له: «ما رأيت أحداً قيّدني غيرك فأطلق قيدي، فإن أدخله الله رضيت به» وقُتل صبرا (بعد عام 80هـ).[2]

أمّا داخل المدرسة الإباضيّة فهذه المسألة قد وجدت منفذها مبكرا في عهد الإمام الثاني بعد جابر بن زيد وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (145هـ)،[3] وقد اعتنق بعض زملائه قول القدريّة كحمزة الكوفي والّذي تذكر المصادر أنّه ناظر أبا عبيدة وحاجبا الطّائي (بين 100– 150هـ)[4] في–القدر– ولكنّهما لم يتبرّآ منه حتى «بلغهم أنّه مشى إلى النّساء فكلّمهنّ في ذلك وإلى الضّعفاء فلّما بلغ ذلك أبا عبيدة وحاجبا، أمر أبو عبيدة حاجبا، أن يجمع له النّاس فمشى إليهم وأعلمهم، فاجتمعوا فتكلّم حاجبٌ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ حمزة

---

[1]– يذكر بعض الباحثين أنّ الإمام الحسن البصري أوّل من قال بالقدر، ويُنقل عن القاضي عبد الجبّار في طبقاته رسالة من الحسن إلى عبد الله بن مروان وقيل إلى الحجّاج، وقد سُئل عن القدر، فأجاب بما يوافق مذهب القدريّة، وأورد في ثنايا الرّسالة قولَه: « أنّ كلّ شيء بقضاء الله وقدره إلّا المعاصي ..» ، إلّا أنّ الشهرستاني قد دافع عن الحسن البصري ونزّه عن الانتساب لهذا المذهب وردّ تلك الرّسالة لواصل بن عطاء، وقيل إنّ الحسن اعتنق مذهب القدريّة أوّل الأمر ثمّ ما لبث أن تراجع عنه.نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، محمّد علي النّشار، دار السّلام، القاهرة –الإسكندريّة، الطّبعة الأولى، 1429هـ/2009م، ص359، 360.

[2]– نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، محمّد علي النّشّار، ص361، 362، 363.

[3]– معجم أعلام إباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص 873.

[4]– م، ن، لجنة البحث العلمي، ج2،ص 238.

وعطيّة والحارث أحدثوا علينا أحداثا فمن آواهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتّهم، فتفرّق النّاس وطردوهم من المجالس ولم يقرّبهم أحد»،[1] وانقطعت الصّلة بينهم وبين الإباضية منذ ذلك الحين، ولعلّهم انضمّوا إلى بعض فرق المعتزلة، ولم يعد يتحدّث عنهم أحدٌ من الإباضيّة كأفراد من الإباضيّة ولم يعتبروهم أئمّة لفرقة مستقلّة أو داخلة تحت فرق كبرى[2].

وردّة فعل أبي عبيدة وأصحابه على هؤلاء الثّلاثة مبرّرة بشيئين: 1-أنّ دخولهم على الضّعفاء والنّساء بغية نشر الفتنة وتفريق الكلمة يوجب البراءة منه من باب السّياسة الشّرعية، 2-ما صحّ عند الإباضيّة من الأثر المروي في مسند الرّبيع بن الحبيب قال صلى الله عليه وسلّم: «القدريّة مجوس الأمّة، إن مرِضوا فلا تعودوهم، و إن ماتوا فلا تصلّوا عليهم»،[3] وفي الوعيد المضروب لهؤلاء -إن صحّ-[4] ما يجعلهم أبعد عن الإسلام وأقرب إلى الكفر وأحوج إلى الرّدع والتّقويم وتصحيح المعتقد.

---

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص 52. السير، أبو العباس الشمّاخي، ج1، ص198.

[2]- الإباضيّة بين الفرق الإسلامية، علي يحي معمّر، ص 324.

[3]- كتاب الترتيب في الصّحيح من أحاديث الرّسول، أبو يعقوب الورجلاني، مكتبة مسقط، الطبعة الثّانية، 1429هـ /2008م، الحديث رقم: 349، ص350. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، بيت الأفكار الدّوليّة، كتاب القدر، رقم4691، ص511.

[4]- رويت أحاديث ذمّ القدرّية عند الحاكم في المستدرك، وكذلك أبو داود، والبخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجة، إلّا أنّ كثيرا من العلماء حكموا بوضعها، كالقزويني الذّي حكم على لفظ الحديث الّذي رواه الرّبيع بالوضع، ونفس الحكم أطلقه الصّاغاني على حديث: «صنفان من أمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب القدريّة والمرجئة»، وقد أدرك ابن تيميّة هذه المسألة فذكر أنّ الثابت في الأحاديث المرويّة في ذمّ القدريّة والمرجئة إنّما هو عن الصّحابة كابن عمر وابن عباس. آراء الخوارج الكلاميّة، عمّار طالبي، ص33، نقلا عن ابن تيميّة، مجموع الرّسائل الكبرى، ج1، ص26.

المبحث الثّاني: (افتراق ابن عبد العزيز[1] وأبو المؤرّج[2] ....)

بعد هذا الخلاف مع الإمام أبي عبيدة، خالفه جماعة من طلابه، هم: سهل بن صالح،[3] أبو المعروف شعيب بن المعروف،[4] عبد الله بن عبد العزيز، وأبو المؤرّج عمرو بن محمّد السّدوسي، فناقشهم في مقالاتهم واستطاع إقناعهم، ولما توفّي الإمام أبو عبيدة خالفوا الرّبيع بن الحبيب –وقد كان زميلهم في الدّراسة– وحاول الرّبيع إقناعهم بأنّهم أخطأوا فيما ذهبوا إليه، كما أقنعهم أستاذهم أبو عبيدة فلم يتمكّن، فأعلن الرّبيع –وهو إمام الإباضيّة في ذلك الحين ومرجعهم بعد أبي عبيدة– خلافهم للجمهور، فعوملوا بنوع من البرودة والهجران.[5]

ويلخّص الإمام أبو العبّاس الشمّاخي نقاط خلافهم في ثلاث مسائل:

1–قالوا صلاة الجمعة وراء الأئمّة الجورة لا تصح.

2–قالوا إنّ أهل القبلة المتأوّلون بما يوهم التّشبيه مشركون.

---

[1]– عبد الله بن عبد العزيز أبو سعيد، (ق :2هـ)، من علماء البصرة، وهو من طبقة الرّبيع الّذين أخذوا عن أبي عبيدة مسلم، روى عنه أبو غانم في مدوّنته، كان كثير القياس في المسائل الفقهيّة ممّا جعل الإباضيّة يعرضون عن آرائه. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص279..

[2]– عمر بن محمّد القدمي أبو المؤرّج، (ق:2هـ)، من أهل قدم باليمن، يعدّ من حملة العلم إلى مصر، أحد الفقهاء الكبار، ومن الّذين يأخذون بالرّأي في مسائل الاجتهاد، قدم إلى عمان فناظره فقهاؤها في المسائل التي خالف فيها فحاجّوه، فرجع، وطلبوا منه أن يبلّغ من أفتاهم في تلك المسائل في بلاد اليمن فخرج فمات في الطّريق قبل أن يصل. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص328.

[3]– سهل بن صالح، (ق: 2هـ)، من طبقة الرّبيع بن حبيب، ومن تلاميذ أبي عبيدة مسلم، وكان من المخالفين له في بعض المسائل. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص222.

[4]– شعيب بن معروف أبو معروف، (حي في 171هـ)، أحد علماء الإباضيّة في مصر، تتلمذ على يد أبي عبيدة مسلم، وخالفه في بعض القضايا ثمّ استتابه فتاب، ولما كان عهد الرّبيع كان أحد المنشقّين عنه أيضا، كانت له اليد الطولاء في إذكاء الخلاف بين يزيد بن فندين، و عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم –الخليفة الرّستمي– والّذي نتج عنه حركة النّكار، معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص235. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص458.

[5]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص325.

3–قالوا المرأة الّتي يعبث بها خارج المحلّين لا تكون بذلك كافرة –كفر نعمة–.[1]

وقد اختلفت مصيرهم بعد ذلك، فأمّا شعيب فقد انتقل إلى مصر وكوّن لنفسه شهرة داوية بين الإباضيّة، وسيكون له دور رئيس في حركة النّكار بعد ذلك، وأمّا سهل بن صالح فقد اختفى في زحمة التّاريخ فلم يُعرف عنه شيء، وأمّا ابن عبد العزيز وأبو المؤرّج فقد استطاعا –رغم العلاقات الّتي يشوبها البرودة والتوّتر بينهما وبين أهل الدّعوة – أن يحتفظا بمركز علمي مرموق، وأن يحتفظا بثقة الإباضية فيهما رغم خلافهما.[2]

وقد ذكر الإمام السّالمي أنّ ما خالفوا فيه جمهور الإباضيّة «لم يكن في العقيدة ولا من أمور الدّين، وإنّما خالفوا فيها قول المسلمين ولهم في الفقه أقوال وأسانيد يأخذ بها أصحابنا».[3]

وقول الإمام السّالمي هذا يشكل علينا ويجعلنا نضع ثلاثة احتمالات:

1– أن قول الأئمّة المخالفين بأنّ «أهل القبلة المتأوّلون بما يوهم التّشبيه مشركون» ممّا لم يصحّ عنهم ولم يثبت صحّة نسبة هذا القول إليهم.

2– أنّ هذا القول صحيح النّسبة، لكنّه لا يدخل ضمن المخالفات العقديّة، وهذا إشكال جلّي، لأنّنا نرى هذه المسألة تندرج ضمن مبحث «الأسماء والأحكام » والّذي هو من المسائل المهمّة المطروحة في الدرس العقدي، وقد بوّب لها عمرو بن جميع في مقدّمة التّوحيد بـ:

---

[1]– كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ج1، ص119، يُذكر كذلك أنّ هارون بن اليمان قد تبنى هذه الآراء بعد هذه الفترة وخالف بها محبوب بن الرّحيل، الّذي توافق ورأيا إمامي الإباضيّة قبله، كما اختلف هارون كذلك مع محبوب في جواز الوقوف حيال بعض المعاصي دون إصدار حكم فيها، ممّا جعل نسبة إباضيّة المشرق إلى المحبوبيّة، دون الهارونيّة، وقد وردت بعض المخطوطات تحت عنوان: السّير المحبوبيّة، إقرارا بصحّة آراء محبوب بن الرّحيل .معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج1، ص227.

[2]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص325.

[3]– شرح الجامع الصّحيح، عبد الله بن حميد السّالمي، مكتبة نور الدّين السّالمي، الطبعة العاشرة، 2004م، ص5.

«فرز الدّين»،[1] بل نرى الإمام أبو عمّار عبد الكافي قد عقد فصلا كاملا في كتابه ذي الصّبغة العقديّة الكلاميّة–الموجز– في الردّ عليهم في هذه المسألة بأعيانهم إذ يقول: «ويقال لأصحاب عبد الله بن يزيد، وعبد الله بن عبد العزيز، وأبو المؤرّج السّدوسي، وجماعتهم، من أين علمتم عصيانها بدين، ولم تعلموا تفسيقها بدين...».[2]

3– أنّ المقصود بالمشركين هنا إنّما هو اصطلاح إباضيّ يطلق على مرتكب كبيرة في العقيدة وهو الشّرك الأصغر، وهذا الرّأي بعيد لأنّ هذا المصطلح لم يتبلور محتواه في تلك الحقبة بعد، وإنّما هو اصطلاح بعض إباضيّة المغرب كما عند الورجلاني إذ يقول: «وقال أهل الدّعوة إنّ الشّرك يتعلّق بذات الباري، سبحانه، وصفاته وأفعاله، ما لم يقع تأويل محتمل»،[3] وكالجيطالي الّذي يطلق على «من لم يفرز بين كبائر الشّرك والنّفاق فهو مشرك والشّاك في شركه مشرك ...»، والقصد في ذلك هو كبيرة في الاعتقاديّات أي لا تترتّب عليه أحكام الشّرك الاكبر، ولا مشاحة في الاصطلاح.[4]

ولذا تبقى صورة طرد هؤلاء التّلاميذ الثّلاثة غير واضحة المعالم إلا إذا افترضنا، جلبهم للقلاقل ونشر للخلافات الكلاميّة داخل المعسكر الإباضي، أو أنّ اقتحامهم لساحة التكفير غير المسوّغ ممّا يعدّ ذنبا لا يُتسامح معه أو الاعتقاد بأنّ المسائل الّتي اختلفوا فيها كانت أكثر من تلك الثّلاثة كما قال الشّيخ علي يحيى معمّر.[5]

---

[1]– مقدّمة التّوحيد وشروحها، بدر الدّين الشمّاخي، أبي سليمان داود التّلاتي، دط، دت، ص48.

[2]– الموجز، أبو عمّار عبد الكافي، ج2، ص213.

[3]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص313.

[4]– قواعد الإسلام، أبو الطّاهر الجيطالي، ص38.

[5]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحيى معمّر، ص327.

وعلى العموم فإنّ فضل الإمامين: ابن عبد العزيز، وأبو المؤرّج على المذهب عموما لا ينكر إذ يُعدّان من أهمّ مصادر أبي غانم الخرساني[1] في مدوّنته في الفقه الإباضي، إذ ورد اسم عبد الله بن عبد العزيز فيها أكثر من 1133 مرّة، ويصفه صاحب المدوّنة –وهو من تلاميذه– «أكثر الله فينا مثل ابن عبد العزيز، إنّه لطالب العلم لا يريد أن يفوته شيء»،[2] وقال عنه حاتم بن منصور: «لا نزال بخير ما دام فينا أبو سعيد فلا نَأَتْ عنّا داره ولا أوحشنا الله بفقده».[3]

وفي جواب الإمام أفلح:[4] –وقد سُئل عن أبي المؤرّج وابن عبد العزيز؟ فقال: «وقعت منهم مسائل معروفة، فلم يُؤخذ بقولهم في تلك المسائل، وأمّا غيرها، فما فيه اختلاف من رأي أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلّم، واختلاف فقهائنا، فلا يُدفع إسنادهم، وهم بمنزلة من سواهم من المسلمين».[5]

المبحث الثّالث: افتراق النّكار

تعتمد معظم الكتب التّاريخيّة الإباضيّة الّتي ترجمت لفرقة النّكار كالطّبقات للدّرجيني والسّير للشّماخي وكذلك الحال مع الوسياني والبغطوري، على أقدم كتاب في ذلك وهو كتاب «السيرة وأخبار الأئمة» للإمام يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني المتوفّى ما بين:

---

[1]–أبو غانم بشر بن غانم الخرساني (ت:أوائل ق3)، إمام حافظ فقيه، من أهل خرسان، قدم البصرة لتلقي العلم على يد أئمّة الإباضيّة وخاصّة أبو عبيدة مسلم، ولم يدرك من حياته إلا القليل وكذا تتلمذ على يد الرّبيع بن الحبيب، وابن عبد العزيز، عن عن الإمام أفلح أحاديث، من آثاره: المدوّنة، والّتي تعدّ من أوّل وأهمّ مصادر الفقه عند الإباضيّة. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص69.

[2]– المدوّنة الكبرى، أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، بتعليق محمّد بن يوسف أطفيّش، وزارة التراث والثّقافة سلطنة عمان، الطّبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م، ج2، ص502.

[3]– م، ن، أبو غانم الخرساني، ج3، ص166.

[4]– أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم (ت258هـ) ثالث الأيمّة الرّستميّين، كان عالما فقيها وشاعرا، انفرد بآراء في علم الكلام، بلغت الدّولة الرّستميّة في عهده من الرّقيّ مبلغا كبيرا عمرّ في الإمارة خمسين سنة، (208هـ–258هـ)، معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص120.

[5]– كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ج1، ص236.

(471هـ-أو بعد 474هـ)،[1] ولذا يقول الوسياني فيه: «له فضل السّبق في هذا، لم يأل خيرا برأفته»،[2] وهذا ما جعلنا نتوقّف في كثير ممّا نسب إلى هذه الفرقة من آراء عقديّة ومسائل فقهيّة والسّبب في ذلك هو بعد المسافة الزّمنيّة والمقدّرة بقرنين بين أوّل منظّر لهذه الفرقة وهو عبد الله بن يزيد الفزاري في القرن الثّالث،[3] وأوّل مترجم لها ومعرّف بها في القرن الخامس، وسبب هذا التّحري كون هذه الفرقة من أخطر الفرق الإباضيّة إذ أثبتت وجودها علميّا وعسكريّا،[4] وهي من أبرز الفرق أثرا إذ يقول ابن حزم «كان غالبيّة الخوارج في الأندلس ينتسبون إلى الفرع النّكاري من الإباضيّة»،[5] ومن أطولها وجودا واستمرارا كذلك، إذ يشير الأستاذ عمرو خليفة النّامي إلى أنّ بقايا هذه الفرقة مازالت موجودة إلى مطلع القرن العشرين.[6]

ومختصر نشأة هذه الفرقة -تاريخيّا- تعود إلى سنة 171هـ حين أحسّ الإمام عبد الرحمان بن رستم[7] بدنوّ أجله جعل الخلافة بعده شورى بين سبعة من النّاس ومن بينهم: أبو

---

[1]- معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص948.

[2]- م، ن، لجنة البحث العلمي، ج4، ص948-949.

[3]- عبد الله بن يزيد الفزاري(3هـ)، عالم مغربي من المتقدّمين، له كتاب في علم الكلام بعنوان "الردّ على الرّوافض"، اعتبر المستند العقدي لفكر النّكّار، وله كتب تعدّ مصادرهم الأولى في دراسة العقيدة وعلم الكلام. الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى، ص241. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج3، ص589.

[4]- ينسب إلى عبد الله بن يزيد الفزاري كتب كـ« الرّد على الروافض »، و«التّوحيد الكبير» و«الرّدود » و«الاستطاعة» :معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ص589، دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، ص203.

[5]- الفصل في الملل والأهواء والنّحل، ابن حزم، ج4، ص189.

[6]- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، ص219.

[7]- عبد الرّحمان بن رستم، علم من أكبر أعلام الإباضيّة ولد بالعراق في العقد الأوّل من القرن الثّاني يرجع نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس ، انتقل إلى البصرة وقضى خمس سنوات في مدرسة أبي عبيدة مسلم، ثمّ عاد مع حملة العلم وأقاموا إمامة الظّهور، حكم الدّولة 11سنة من(160هـ-171هـ)، سار في أهلها بسيرة أهل العدل ولم ينقموا عليه في سياسته بل فشا الرّخاء بين العباد وانتشر الأمن، يُذكر أنّه ألّف كتابين تفسير كتاب الله العزيز،

قدامة يزيد بن فندين[1] وعبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم (208هـ)،[2] ومسعود الأندلسي (أواخر2هـ)،[3] وهذا الأخير الّذي وقع اختيار النّاس عليه، لكنّه هرب واختبأ لما همّوا بمبايعته لمدّة شهر كامل وبعد مشاورات ثانية انعقد الاتّفاق على بيعة عبد الوهّاب، فبايعه يزيد مشترطا عليه عدم القضاء والحكم في شيء دون الرّجوع إلى المشورة ورأي المسلمين، فلقي طلبه الرّفض من طرف مسعود الّذي كان أوّل المبايعين وبقيّة أهل الحلّ والعقد، وتمّت البيعة، وكان أبو قدامة يعتقد في نفسه الكفاءة والقدرة على تولّي الأعمال، فانتظر فترة من الزّمن لعلّه يستشار في شيء من ذلك، أو يكلّف بعمل ما نظرا لأنّه يفريٌّ، وأمّ عبد الوهاب يفرنيّة كذلك ولذلك قال: «هو منّا أقرب رحما من غيره، فلعلّ ذلك يعطفه علينا»،[4] فلمّا لم يحصل شيء من ذلك، بدأ يزيد وأتباعه بالشّغب وزعم أنّ الإمامة باطلة لأنّ الإمام يُصدر أحكامه من غير مشورة النّاس وزعم كذلك أنّ إمامة المفضول غير جائزة مع وجود الفاضل فبدأ بالشّغب وإثارة القلاقل ووقع الخلاف بين النّاس، فاقترح المقترحون أن ترسل رسائل استفسار في الموضوع إلى أئمّة الإباضيّة في

ولكنّه لم يصلنا، وآخر جمعت فيه خطبه، ويعتبر من العلماء الّذين جازت عليهم سلسلة نسب الدّين. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص515.

[1]- يزيد بن فندين، إحدى الشّخصيّات القلقة في التّاريخ الإباضي، وهو مؤسّس فرقة النّكّار، لا تذكر المصادر سنة لولادته أو وفاته والرّاجح أنّه عاش إلى نهاية القرن 2هـ، طبقات المشايخ بالمغرب، أبو العباس أحمد الدّرجيني، ج1، ص47.

[2]- عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم، ثاني الأئمّة الرّستميّين تلقّى العلم بالقيروان ثمّ بتيهرت عن أبيه، عرف بتضلّعه في العلوم تصدّر للتدريس فكانت له حلقات تخرّج على يديه خلق كثير منهم ابنه أفلح، ترك كتابا وصفه البرّادي بأنّه ضخم وهو سفر تامٌّ كان جوابا لأهل نفوسة في مسائل ونوازل استفتوه فيها دام عهده سبعا وثلاثين سنة (171هـ-208هـ)، عرفت فيها الدّولة قمّة مجدها الحضاري في الدّاخل والخارج. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص591.

[3]- مسعود الأندلسي، (أواخر القرن 2هـ)، قال فيه أبو زكريا في سيره «كان رجلا فاضلا فقيها ورعا من شيوخ المسلمين»، اختفاء ذكره من كتب السّير يعطي انطباعا واضحا عن ورعه وبعده عن الواجهة السّياسيّة، معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص866.

[4]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص45.

المشرق آنذاك وعلى رأسهم الإمام الرّبيع بن الحبيب الفراهيدي، وكان أبو المعروف شعيب بن المعروف في مصر فمرّ به حملة الاستفتاء وأخبروه بخلاف يزيد بن فندين وما عليه الوضع هناك، فطمع أن تتّجه الأنظار إليه ويكون له المركز الأوّل في تيهرت.[1]

فشدّ الرّحال إلى الإمام عبد الوهّاب وهنا تختلف الرّوايات، فبين قائل بأنّه أبدى مؤازرته للإمام في البداية وأفتاه بأنّ الإمامة صحيحة والشّرط باطل، وبجواز تولية رجل وفي المسلمين من هو أعلم منه، وهذه الأحكام هي نفسها التي أفتى بها أئمة المشرق بعد ذلك في ردّهم على المختلِفَين، ثمّ توجّه أبو المعروف بعد ذلك نحو ابن فندين، وأصحابه فأطمعوه في الإمارة، فندم على فتياه للإمام رحمه الله، فوازر ابن فندين وأصحابه وصار عونا لهم،[2] ورواية أخرى فتنصّ على توجّهه المباشر إلى المعارضة وإعلان الولاء لها مباشرة وهنا تحوّلت المعارضة من سياسيّة إلى سياسيّة ودينيّة.[3]

وفكّر الرّجلان بمحاولة عسكريّة لقلب نّظام الحكم واغتيال الإمام وحرّضوا المعارضين على النّفير، لكنّ محاولتهم باءت بالفشل وذهب ضحيّتها ابن فندين نفسه وتفرّق أغلب اتباعه، أمّا شعيب بن المعروف فقد ارتحل إلى ليبيا يريد مددا من الأنصار هناك، وبدأ يكوّن ما يسمّى بحركة دينيّة تتميّز بها فرقته عن الإباضيّة الأمّ، وكانت البداية في رسم هذه الايديولوجيّة من تبنّي المسائل الّتي اشترك بالخلاف بها مع عبد الله بن عبد العزيز وأبي المؤرّج على الرّبيع بن الحبيب بالإضافة إلى مسائل أخرى يرفضها سلف الإباضيّة، ومع ذلك بقيت تطلق على نفسها اسم الإباضيّة، فوقعت مشاكل وشَبهٌ بين التّسميتين فأضاف الإباضيّة الأصيلون إلى اسمهم كلمة "الوهبيّة" تمييزا لهم عن النّكار[4] الّذين وُسموا بذلك لإنكارهم إمامة عبد الوهّاب وبـ: «النّجويّة»

---

[1]- الإباضية بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص330.

[2]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العبّاس الدّرجيني، ص49.

[3]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص239.

[4]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص332.

لاجتماعهم سرّا على حلّ إمامة عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم، و«الشّغبيّة» لإحداثهم شغبا في الإسلام، و«الملحدة» لأنّهم ألحدوا في أسماء الله، و«النّكاث» لنكثهم البيعة بغير حدث،[1] وباليزيديّة نسبة إلى عبد الله بن يزيد الفزاري.[2]

وبعد أقلّ من قرن رُزِقت هذه الحركة دفعتين قويّتين جدّا، إحداهما من الجانب الديني على يد عبد الله بن يزيد الفزاري، وأما الثّانية فكانت على يد القائد العسكري أبي يزيد مخلّد بن كيداد اليفرني، الّذي اشتهر بـ"صاحب الحمار" والّذي قاد حملته العسكريّة في أواخر القرن الثّالث، وقد كانت هذه الفترة أزهى عصور النّكار قبل أن يقتل ويُشرّد من طرف العبيديّين الّذين قضّوا أركان هذه الدّولة ودحروا خيامها وشرّدوا أتباعها في كلّ مكان[3].

وأمّا آراء هذه الفرقة الّتي خالفوا بها الإباضيّة الأمّ من النّاحية العقديّة فيجملها مؤرّخوا الإباضيّة في:

1- أسماء الله مخلوقة.

2- ولاية الله للمسلمين متقلّبة.

3- المسلمون الّذين يؤمنون بالتّشبيه في حقّ الله هم مشركون.

4- حجّة الله ليست ملزمة.

5- الوقوف بالنّسبة لجميع الاطفال.

6-لا يلزم العلم بالفرائض عدا التّوحيد، ولكن يلزم العمل بتلك الفرائض.[4]

---

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ص50.

[2]- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، ص169

[3]- الإباضيّة بين الفرق الإسلامية، علي يحي معمّر، ص334.

[4]- دراسات عن الإباضية، عمرو خليفة النّامي، ص201، 203،207.

وغيرها من مسائل الفروع، إلّا أنّ هذه الآراء –كما ذكرنا آنفا– تبقى محطّ عرض أوّلي يحتاج إلى التثبّت وعدم القطعيّة، وأهمّ سبب يحملنا على ذلك هو فقدان كتب القوم ومؤلّفاتهم، ممّا جعل عرضنا لهذه الفرقة مجرّد نقل من كتب الخصوم وهذا لا يجعل هذه الدّراسة تتّسم بالموضوعيّة البحتة.

ونرى –والله أعلم– أنّ أخطر رأي كان له الدّور الأكبر في إذكاء التفرقة بين النكار والإباضيّة وقبله بين الإمام أبي عبيدة ومخالفيه الثّلاثة هو البند الثّالث من أقوالهم النّاصُّ على تكفير أصحاب المقالات القريبة من التشبيه –في نظرهم–، أو المتأوّلون بما يوهم التشبيه في حقّ الباري عزّ وجلّ، والمقصود بهم الّذين لا يؤوّلون الصّفات الخبريّة الواردة في حقّه عزّ وجلّ في نصوص القرآن والسنّة، ونظرا لنفور أئمّة الإباضيّة من تكفير المخالفين سيما السّلف منهم لأنّه كان السّبب الرّئيس في فراقهم مع فرق المحكّمة الأخرى (65هـ)،[1] القائلة بتكفير أهل القبلة المخالفين لهم كالأزارقة، ولذلك كان احتواء هذا الرّأي من طرف أئمّة الإباضيّة الأمّ أمرًا، غير سائغ تماما لاندراجه تحت خلفيات عقديّة واجتماعيّة وتاريخيّة عميقة، لا يمكن استيعابها تحت غطاء ما يسمّى "خلافا في الرأي" .

وإذا كان الإمام الشهرستاني قد وضع ضوابط معيّنة للفرق تمثّلت في خلافها في أحد المسائل الأربع: 1– التوحيد والصّفات، 2– القدر والعدل، 3– الوعد والوعيد، 4 – السّمع والعقل.[2]

فإنّ عدّ النّكار فرقة مستقلّة، فيه إيماء من رؤساء الإباضيّة الأوائل، أنّ عدم تكفير المخالفين كان من بين الأصول الأولى الّتي تبنّتها هذه الفرقة فجعلتها عَلَمًا لها وقاعدة مهمّة لبنائها الفكري والأيديولوجي بعد ذلك.

---

[1]– الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص63.

[2]– الملل والنّحل، الشّهرستاني، ص5، 6.

وقبل ختم هذا المبحث جدير بالّذكر الإشارةُ إلى نقطتين مهمّتين:

1- أنّ لهجة علماء الكلام الإباضيّين في ردّهم على النّكار لم تكن على درجة واحدة من الشدّة فنجد الإمام أبا يعقوب الورجلاني (570هـ) يهوّن من الخلافات بينهم كونها لا تصل إلى درجة التكفير ولا تقاربه فيصفهم بقوله: (وأمّا النكار فجاهلهم عالم وعالمهم ظالم ولهم مسائل في الأسماء والصّفات والإمام والوقوف والحجّة والسّماع والمتبرّجة وإنّما انقطع عذرهم في مخالفة الإمام العدل السّامي الفضل ... وليس في مسائلهم مسألة معنويّة إلا المغالطة في الألفاظ، واللّفظ قشر والمعنى لباب)،[1] بل ويصفهم بقوله «وليس في جميع المذاهب من أقرب إلينا – يقصد النّكار–»[2] ويصفهم بالأخوّة في مواضع بقوله «ومن قال من إخواننا النّكّار»،[3] بل ويخفّف من هول تلك الشدّة في الخلاف مع الإباضيّة الأمّ فيقول: «اعلم أخي أنّ مسائل ما بيننا وبينهم لا تُجدي نفعا، ولا تغني، ولا تعدّ مما لا يعني، فمن جهلها منا ومنهم سلم، ومن خاض فيها ولم يصب ندم، ومن أصاب ولم يعتدّ غنم، والمعذر إلى الله»،[4] بخلاف بعض الكتّاب الأخرين كأبي عمرو عثمان بن خليفة السّوفي[5] إذ يصفهم بقوله: «هم فئة بعيدة جدّا عن الحق، بطبيعة مريبة وآراء ذميمة».[6]

---

[1]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص35.

[2] - م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ص35.

[3]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص314.

[4]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص324.

[5]- عثمان بن خليفة أبو عمرو السّوفي المارغني (ق 6هـ)، أحد أعلام الإباضيّة البارزين، أصله من بلاد سوف، امتاز بمقدرته العلميّة الجدليّة في الدّفاع عن المذهب، من شيوخه: أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن بكر وأبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي، كان كثير الرّحلات في طلب العلم، من تلاميذه: ميمون التنكنيصي، المعز بن جناو بن الفتوح. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص601.

[6]- دراسات عن الإباضية، عمرو خليفة النامي، ص207.

2- أنّما ذهب إليه الشّيخ علي يحيى معمّر من جعل هذه الفرقة بما أصبح لها من الخصائص والمميّزات فرقة مستقلّة شأنها شأن غيرها من الفرق الإسلاميّة الأخرى، وأنّ علاقتها مع الإباضيّة الأمّ هي علاقة الإسلام فقط كما هو الحال مع المذاهب الأخرى،[1] بدليل استقلالها في كلّ الميادين الّتي تحتاجها فرقة لاستقلالها عن أصلها، فالصّورة السياسيّة تتمثّل في مخالفة عبد الوهاب بن عبد الرّحمان، ومن جاء بعده، والصّورة العسكريّة في جيش مستقلٍ كوّنه ابن فندين ثمّ طوّره أبو يزيد مخلّد بن كيداد المدعو بصاحب الحمار، والصّورة الفقهيّة المتمثّلة في آراء شعيب بن المعروف، والصّورة العقديّة في الالتزام بما رود في محتويات كتب الفزاري وشروحها أمّا الصّورة الغائبة عن هذه الفرقة فتتمثّل في الجانب الحديثي لقول الفزاري: «إنّما غلبنا أصحاب الرّبيع بالآثار»[2] فبتظافر هذه العوامل أضحت النكّاريّة فرقة مستقلّة بنسق تفكيري متميّز، ولها كتبها ومرجعيّاتها الخاصّة، الّتي لا تمتّ إلى الإباضيّة الوهبيّة بصلة بل وبالعكس قد سخط عليها علماء الإباضيّة الأمّ من القديم والحديث، ولكنّ هذا الرأي على وجاهته، يعروه إشكال، مفاده، سبب إطلاق تسمية «الوهبيّة» كصفة إضافيّة للمنتسبين إلى المذهب الأصيل، فلو عُدّ النّكار فرقة مستقلّة عن الإباضيّة لما كان من داع إلى إضافة قيود لفظية أخرى تقسيميّة وفرزيّة، إلّا إذا افترضنا أنّ ذلك التمييز مقصود لذاته بهدف ديني وهو المحافظة على تطبيق مبادئ الولاية والبراءة بين المحقّين والمبطلين.

وتبقى هذه القضيّة على كلّ حال محتاجة إلى أن تغذّى بالبحث، سيما وسبق اختلاف الإباضّية المحدثين خصوصا في المقصود من الوهبيّة هل هي نسبة إلى عبد الله بن وهب الرّاسبي وهو قول أطفيّش وسليمان الباروني، أم إلى الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرحمان وهو قول ابن الرّقيق القيرواني وابن الصّغير.[3]

---

[1]- الإباضيّة بين الفرق الإسلامية، علي يحيى معمّر، ص334.

[2]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو محمّد بن مصطفى، ص241، 242.

[3]- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، ص195.

المبحث الرابع : افتراق خلف بن السّمح[1]

ويسمّيه الدّرجيني بالافتراق الثاني في الإباضيّة[2].

والخلفيّة نسبة إلى خلف بن السّمح بن أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري، كان جدّه أوّل إمام للإباضيّة بالمغرب، ويروي لنا الدّرجيني قصّة هذا الافتراق وقد كانت بدايته: "من توّجه الإمام عبد الوهّاب إلى نفوسة إبان عزمه على الخروج الى الحج، فاجتمع عليه أهلها مانعين إياه من ذلك، خوفا عليه من سطوة العبّاسيين وغدرهم به إما بالقتل أو السّجن، مع الخوف من الفتن وضياع الحقوق بغيابه، فرضخ لهم أخيرًا بعد أن أفتى له علماء المشرق من الإباضية بجواز استخلاف من يحجّ عنه وهو ما فعله الإمام، وبعد أن مكث عندهم سبع ليال يعلّمهم أمور دينهم قفل راجعا إلى عاصمة الدّولة " تيهرت" وفي طريقه حاصر طرابلس، وقد كانت فيها الواصليّة من المعتزلة ثمّ رأى الصّواب بأن يرتحل عنها، فأقبلت إليه جموع من أهلها يسألونه أن يولّيَ عليهم وزيره السّمح بن عبد الأعلى،[3] فآثرهم به مع شدّة تعلّقه بصحبة هذا الرّجل والاسترشاد بآرائه فلمّا وَلي حيّز طرابلس أحسن فيهم السّيرة، وعدل في أحكامه فصلحت معه أحوالهم فلم يزل مقرًّا بإمامة عبد الوهّاب وناصحا له في رعيّته حتّى حضرته الوفاة،[4] وكان

---

[1]- خلف بن السّمح بن أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري، تلقى العلم عن أبيه وعن حملة العلم الخمسة (حي في: 221هـ). معجم أعلام الإباضيّة، ج2، ص273.

[2]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ص65.

[3]- السّمح بن عبد الأعلى أبي الخطّاب بن السّمح المعافري (ت بعد:204هـ)، أصله عربي من قبيلة معافر اليمنيّة، أخذ العلم عن والده وعن حملة العلم الآخرين، اكتسب ثقة معاصريه وخاصّة الإمام عبد الوهاب الرّستمي، عيّن واليا على طرابلس، ونفوسة وقابس فأحسن فيهم السّيرة وعدل، فحسنت سيرته وعظمت درجته. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج3، ص450.

[4]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ص66.

قد ترك ولدا اسمه "خلف" فلشدّة محبّة الناس في السّمح وعِظم منزلته فيهم ولّوا عليهم ابنه من دون مشورة الإمام، وحصل ذلك على رفض من أهلِ البصائر والعقول.[1]

ولما بلغت الأحداث إلى تيهرت وفهم الإمام مجرى الأمور رأى أن لا يقرّ هذه الخطوة، فبعث برسالة إلى خلفٍ يلومه فيها على تسرّعه ويأمره باعتزال أمور النّاس ووّلى غيره بعد ذلك، لكنّ والي طرابلس غير الشّرعي رفض الاستجابة إلى الإمام، وزاد عن ذلك بأن أعلن استقلال الجبل وأنّه حوزة مستقلّة عن حوزة الإمام، وانضمّ إليه عدد كبير من النّاس، وأصبحت له جيوش وكانت بينهما مناوشات لم تلبث أن تحوّلت إلى معارك، ثمّ إلى حروب استمرّت لعهد أفلح بن عبد الوهّاب، الإمام الثّالث للدّولة الرّستميّة، والتّي قاد حروبه مع الخلفيّة أبو عبيدة عبد الحميد بن مغطير الجنّاوني والّتي استمرّت إلى غاية (211هـ) أين دحرت جيوش خلف بن السّمح وقُضيَ على قوّاته وانتهى ذكره وفني ملكه.[2]

إنّ المتأمّل لأغوار هذه الأحداث يجد أنّ خلف بن السّمح لم يكن صاحب فرقة أو مذهب بقدر ما كان قائدا تَصدر عنه الأحكام العسكريّة فقط، ولذا لا يمكن أن نعُدّ الخلفيّة فرقة إباضيّة ولا خلف بن السّمح رئيس مذهب ديني بل كلّ ما في الأمر «أنّه ثار على الحكم طمعا فيه، كما ثار الآلاف من النّاس من أجل هذا الغرض وليست الخلفيّة فرقة أصلا ، فلا هي داخلة تحت العنوان العامّ ولا تحت العنوان الخاصّ، ولا لها أي وجود، وأمّا خلف فقد يكون زعيما سياسيّا أو ثائرا خارجيّا أو ما شابه ذلك، ولكنّه ليس إماما أو رئيسا لفرقة من فرق الإباضية».[3]

---

[1]- م، ن، أبو العباس الدرجيني، ص66، 67.

[2]- م، ن، أبو العباس الدرجيني، ص74، الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص347.

[3]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص347.

المبحث الخامس: افتراق فرج بن نصر النفوسي (نفّاث)[1]

وهو الافتراق الثّالث على حدّ قول الدّرجيني،[2] والنّفّاثيّة نسبة إلى فرج بن نصر الّذي لقّبه الإمام أفلح بن عبد الوهّاب بـ: «نفّاث»، لأنّه كان ينفث آراءه ويوحي بالأفكار الفاسدة للنّاس.[3]

تبدأ قصّة نفّاث مع رفيق دربه في طلب العلم "سعد" ابن أبي يونس وسيم الويغوي،[4] حاكم قنطرارة،[5] في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهّاب، إذ سارا إلى تيهرت يطلبان العلم معا ويحضران مجالس الإمام رحمه الله، يقرآن عليه، فكان كلّ واحد منهما يجتهدّ ويجهد نفسه في دراسة العلم، حتّى حصّلا ما رأيا فيه مقنعا، وتشوّقا إلى بلادهما، وذلك بعد وفاة وسيم، فخرجا متوجّهين إلى بلادهما، وكان الإمام لما بلغه موت أبي يونس عازما على استعمال عامل يلي جهات قنطرار، فعزم على تولية سعد،[6] وكان نفاث يعتقد من نفسه أنّه أعلم من سعد وأقدر على إدارة الشّؤون، فغاظه من الإمام هذا التّصرّف وأثار في نفسه الحقد والغيرة وبدأ يطعن في الإمام أفلح متّهما إيّاه بإهمال الرّعيّة والحكم، وكذا لم يرض نفّاث بما كان يصنعه الإمام أفلح من

---

[1]- فرج بن نصر النّفوسي، الشّهير بنفّاث، (النّصف الأوّل ق:3هـ/9م)، من علماء الدّولة الرّستميّة أخذ العلم عن الإمام أفلح، الّذي انشقّ عنه فيم بعد، توجّه إلى المشرق فلقي حظوة عند الخلفاء العبّاسيّين. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج4، ص704.

[2]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ص75.

[3]- دراسات عن الإباضية، عمرو خليفة النّامي، ص210.

[4]- سعد بن أبي يونس وسيم الويغوي النّفوسي الطّمزيني، من أعلام جبل نفوسة، تلقّى العلم على يد، الإمامين عبد الوهّاب وأفلح، عيّن واليا على قنطرارة، بعد وفاة أبيه وسيم، تخرّج على يده الكثير من التّلاميذ منهم: سحنون بن أيوب، عاش حتّى معركة مانو (283هـ-896م). معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص353.

[5]- تذكر المصادر منطقتين يطلق عليه ما هذا الاسم 1- بجبل نفوسة على بعد 15 ميلا شمال مدينة كباو، أنّها منطقة في بلاد الجريد التونسي، طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص75 .

[6]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص76.

إغداق المال على الرعيّة حين عمرت خزائن الدّولة، إذ كان المجتمع حينها يعيش تغيّرا سريعا وجذريّا من فقر البداوة إلى ثراء الحضارة،[1] وما أثار حفيظته اكتفاء الإمام أفلح بالرّقعة الجغرافيّة الواسعة الّتي اجتهد والده في توسيعها، فلم يشأ أن يدخل في نزاع مع الأغالبة على الحدود الشّرقيّة لدولته ممّا أداه إلى معاتبة الإمام على ذلك،[2] لكنّ مكانة الإمام في رعيّته كانت من أعظم الأسباب الّتي حالت دون أن تُوقد نار كسالفتيها مع يزيد وخلف، وقد تولّى الإمام نفسه نصيحته برسائل طويلة، وأنذره على لسان ولّاته بإنزال العقوبة الصّارمة إن لم يرتدع عن غيّه فخاف وتوقّع شرّا وتوجّه إلى الدّيار الشّرقيّة ثمّ قصد بغداد، عاصمة بني العباس، فما لبث أن حظي في حكومتها بمنزلة مرموقة بسبب حلّه لمعضلة استعصت على علماء بغداد ، ممّا مكّنه من نسخ ديوان جابر بن زيد الموجود بمكتبة بغداد.[3]

فلمّا رجع إلى طرابلس وجد أصحابه قد قلّوا وضعفوا فساء ظنّه وخشِيَ إن هو أظهر الدّيوان أن تكون جماعة أهل الدّعوة هم المنتفعون به، فحفر حفرة ودفن فيها الدّيوان بحيث لا يعلم موضعه أحد.[4]

ولم يظهر لنفّاث أثر بعد رجوعه من الشرق وكأنّه لما وجد الدّولة قويّة الجانب هاب الخلاف وجنح إلى الكمون إلى أن مات وقيل تاب قبل موته،[5] تكاد تجمع الكتب على أنّ نفّاث كان ذا ذكاء حادّ إذ يقول سليمان الباروني «وقد كان عالما ذكيّ الفؤاد ..»،[6] ويقول الدّرجيني: «وبلغنا أنّه بلغ مبلغا عظيما في تحصيل العلوم وأوتي فهما»،[7] ثمّ يسوق أمثلة على

---

[1]- الدولة الرّستميّة، بحاز، ص254 ، الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص245.

[2]-كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ص194.

[3]- مختصر تاريخ الإباضيّة، أبو الرّبيع سليمان الباروني، دت، دط، ص43.

[4]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص81.

[5]- مختصر تاريخ الإباضيّة، أبو الرّبيع سليمان الباروني، ص43.

[6]- م، ن، أبو الرّبيع سليمان الباروني، ص43.

[7]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص78.

فتاويه الدّالة على اقتداره العلمي وبعد نظره، وكذلك ما كان من حلّه لمعضلات المسائل الّتي أتعبت قرناءه من علماء بغداد في بلاط الخليفة العباسي (يقال إنّه كان المأمون).[1]

وإرادتنا من تبيين ذلك كلّه أن نبدي استغرابنا في كيفيّة الجمع بين هذا الذّكاء والعلم وبين ما نسب إلى الرّجل من مقالات غريبة مجموعةٍ في عشر مسائل في الفقه وواحدة في العقيدة[2]، نُمثّل لها بـــ:

1- إنّ الله هو الدّهر فلمّا سُئِل عن ذلك قال هكذا وجدته في الدّفتر.

2- أنكر الخطبة في الجمعة وقال إنّها بدعة.

3- أنّ ابن الأخ الشّقيق أحقّ بالميراث من الأخ لأب.

4- إنكاره على الإمام استعمال العمّال والسّعاة لجباية الحقوق الشّرعيّة ....وغيرها من المسائل.[3]

وهذا ما حدا ببعض الباحثين كالشّيخ على يحي معمّر إلى التّشكيك فيها والميل إلى ترجيح ردّها إذ يقول رحمه الله تعالى -في تعليقه على مقولة نفّاث "إن الله هو الدّهر"-: «فهل في الإمكان أن تصدّق أنّ شخصا في ذكاء نفّاث وسعة اطّلاعه وتعرّضه لمناقشة خصوم أشدّاء أقوياء يعلن عن عقيدة تتعلّق بأهمّ أصول التّوحيد وهو لا يعرف معناها؟، ثمّ لا يقف عند هذا الحدّ و إنّما يرفعها شعارا للخلاف والتّحدّي ،فإذا نوقش فيها لم يجد ما يقول غير نسبتها إلى مصدرها المجهول ....لأنّك ترى أنّ أجزاء الصّورة غير متماسكة لأنّ نفّاث حسبما تصفه كتب التّاريخ ليس من النّوع الّذي يعرّض نفسه للجدل في مقام لا يملك فيه حجّة، أو تكون الحجّة

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص79.

[2]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص247.

[3]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص340.

عليه، ولذلك فأنا قبل أن أنسب إليه هذه المقالة هكذا أضع بين عينيّ مجموعة من التّحفّظات والاحتمالات، وأعتقد أنّ إلغاء هذه المقالة المنسوبة إليه أقرب من إثباتها عليه».[1]

وعلى العموم نصل إلى أنْ لا وجود لفرقة –بالمعنى الدّيني أو السياسي– اسمها النّفّاثيّة، وكلّ ما حصل مع فرج بن نصر النّفوسي هو طمعه في الوَلاية وحسده لقرينه في الدّراسة ثمّ انتقاده غير العادل للإمام أفلح ثمّ اختفى ذكره بعد ذلك دون أن يخلّف أثرا علميّا أو عمليّا إلا سخط المؤرّخين الإباضيّين عليه كما يقول الدّرجيني «وكان بدء أمره نفاقا وكفرا وعاقبته حسدا»[2].

المبحث السّادس: افتراق أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح.[3]

هكذا ثبت اسمه في المصادر الإباضيّة واثبته الدكتور النّامي بـ: "يعقوب بن محمّد بن أفلح"، ولعلّه خطأ في الطبّاعة فقط، لأنّه أحال في ذلك على كتاب الدّرجيني الّذي أثبته بالاسم الّذي ذكرناه في العنوان[4] وقد وسِمه الشمّاخي بـ: «سليمان بن يعقوب بن أفلح »، وكذا أبو زكريّا الورجلاني في سيرته.[5]

نشأ هذا الأخير في بيت علم وتقوى وسيادة ، فصار عالما واسع الاطّلاع كثير الدّراسة ويبدو أنّ أباه كان يريد أن يقتصر في دراسته على المصادر الأساسيّة في الشّريعة الإسلاميّة من

---

[1]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص341، 342.

[2]– م، ن، علي يحي معمّر، ص81.

[3]– أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم (حي بعد: 311هـ–923م)، نشأ على يد علماء عصره أمثال أبي صالح جنون بن يمريان، نسبت إليه الفرقة الفرثيّة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص448.

[4]– دراسات عن الإباضية، عمرو خليفة النامي، ص218، طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص107.

[5]–كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ص546.

مؤلّفات أهل الدّعوة دون تعدّيها إلى كتب المخالفين،[1] ولكنّه في الواقع أدمن قراءة كتب أهل الخلاف ومنها ديوان أحمد بن الحسين –الّذي سنتحدّث عنه بعد قليل–، وكان أبوه قد حذّر منه، فانتحل مسائل غير مرضيّة وأشهرها: أنّ فرث الانعام المذكّية نجس وإلى هذه المسألة ينسب فيقال له الفرثي[2] ولذلك نقم عليه جمهور الإباضيّة وكان أشدّهم نقمة عليه هو صديق والده أبو صالح جنون بن يمريان الّذي دعاه إلى المباهلة، وفعلا اتّفقا على الزّمان والمكان، وتواجها كل مع أتباعه ودعا كلّ منهما على المبطل ،فما هي إلا لحظات –كما تروي كتب التّاريخ– حتّى أرسل الله تعالى ريحا صرصرا وحجارة ترميهم، وظلمة، فضلّوا الطّريق وتفرّقوا ولم يهتدوا، ولم يَطُل على المسلمين شغبهم، ولم يبق منهم أحد.[3]

وكسابقتيها لسنا نرى من داع إلى اعتبار أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح صاحب مذهب ولا داعيا إلى فرقة، خصوصا وقد عرفنا أنّه خالف في مسائل في الفروع الفقهيّة الّتي امتلأت بمثيلاتها كتب المذاهب جميعا، «ولو جرينا على هذا الأسلوب لما وقف عدد الفرق عند حدٍّ، ويستطيع المتنطّع أن يسمّي الصّالحيّة والطفيشيّة والحمويّة والبيّوضيّة وغيرها كثير، لأنّ كلّ واحدٍ من هؤلاء اجتهادات في مسائل خالف فيها الآخرين، وهذا منطق غير مقبول».[4]

المبحث السّابع: افتراق عبد الله السّكّاك[5] :

وهو آخر افتراق يذكره الدّرجيني في كتاب الطّبقات تحت عنوان الافتراق الخامس.[1]

---

[1]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص352.

[2]– طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص107، 108.

[3]– م، ن، أبو العباس الدّرجيني، ص108، 109.

[4]– الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص345.

[5]– عبد الله بن السّكّاك (4هـ)، اللّوّاتي نسبا القنطاريُّ مسكنا، لقّب بأبد الله كان أبوه من أهل الصّلاح، فدفعه إلى المؤدّب فقرأ القرآن وحفظه ولما اشتدّ وبلغ الحلم أخذ في طلب العلم، فنال منه دقائق، وخالف فيها جمهور العلماء فحكم الإباضيّة عليه وعلى أصحابه بالشّرك. الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص350. طبقات المشايخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص120.

خالف عبد الله السّكاك المذهب الإباضيّ في سبع مسائل رئيسة أهمّها:

1- أبطل السنّة ورأي المسلمين وقال إنّ الله أغنى عنهما أولى العقول والألباب بكتابه العزيز.

2- صلاة الجماعة بدعة.

3- الأذان بدعة فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: نهيق حمار.

4- لا تجوز الصّلاة عندهم بما لا يُعرف معناه وتفسيره من القرآن.[2]

وغير ذلك من الفقهيّات الّتي لا تغذّي بحثنا، ولا تسجّل لهم المصادر موقفا إزاء أحد الأئمّة الرستميّين ممّا يحمل بعض الباحثين على افتراض وجودها بعد سقوط الدّولة الرّستميّة، وبخاصّة وأنّ المصادر حين تتحدّث عن السكّاكيّة تقرنها بالفرثيّة الّتي ظهرت في القرن (4هـ)،[3] والمتفحّص لهذه الآراء يجدها أقرب إلى الكفر منها إلى الإيمان ولذلك تتقارب أقوال مشائخ الإباضيّة في الحكم على السكّاك وأتباعه فقائل بشركهم وقائل بنفاقهم، ولهذا ضمّ فرقة مثلِ هذه إلى المذهب الإباضي ليس من العلميّة ولا الأمانة التّاريخيّة في شيء، فإذا اعتبرناها خارجة عن الإسلام فهي ليست من فرق المسلمين، وإذا اعتبرنا رأي من حكم عليها بالنّفاق فهي داخلت تحت العنوان العامّ للإسلام وليس تحت عنوان الإباضيّة[4]، وهذا المذهب قد فنيَ أصحابه، فلم تبق لهم بقيّة، ولم يتجاوز مذهبهم قنطرارة[5].

ويشير أحد الباحثين إلى أنّ ما يذكر في متون العقيدة الإباضيّة -كعقيدة التّوحيد لعمرو بن جميع- مِن أنّ مجارِيَ الدّين ثلاثة: القرآن والسنّة والرّأي فيه إشارة إلى الردّ على بدعة

---

[1]- طبقات المشايخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص119.

[2]- م، ن، أبو العباس الدّرجيني، ص120.

[3]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص249.

[4]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحي معمّر، ص353.

[5]- طبقات المشايخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص120، 121.

السكاكيّة الرافضة للرأي والمنكرة للسنّة ولذلك يعلن الشّيخ محمّد بن يوسف أطفيش «وندين بتكفير من أنكر الرّأي».[1]

المبحث الثّامن: افتراق أحمد بن الحسين وعيسى بن عمير

لم يشر صاحب الطّبقات إلى هاتين الفرقتين، وقد ذكر الشّيخ علي يحيى معمّر أنّ الحسينيّة نسبة إلى أبي زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي، عاش في القرن الثّالث الهجري[2] أو إلى نهاية القرن الثّالث[3] وألّف مجموعة من الكتب لم يصلنا منها شيء، وتُرجع غالبيّة المصادر الّتي تعالج هذا الموضوع انبثاق الحسينيّة من العميريّة اتباع عيسى بن عمير، وقد عرفوا بكثرة أخذهم من القياس، والأحكام العقليّة، ونضرب مثالا لذلك من كتاب -الموجز- لأبي عمّار عبد الكافي[4] إذ يقول: «وقال المعتزلة أنّ حجة الله على عباده ما ركّب فيهم من العقول الصّحيحة السّالمة من الآفات وأنّهم غير مأمورين بشيء من الواجبات ولا منهيّين على شيء من المحرّمات إذ كانوا لا يجدون في عقولهم المعرفة لذلك الشّيء ووافقهم على ما وصفنا من مقالتهم من الإباضيّة عيسى بن عمير»،[5] ويذكر أبو زكريّا الورجلاني أنّ هذه الفرقة لا علاقة لها بالمذهب

---

[1]- مدخل إلى دراسة الإباضيّة و عقيدتها، بيير كوبرلي، ترجمة: عمّار الجلاصي، مكتبة الضّامري، الطّبعة الأولى، 1431هـ / 2010 م، ص 79، 80.

[2]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحيى معمّر، ص348.

[3]- دراسات عن الإباضية ، عمرو خليفة النامي، ص214.

[4]- عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل التناوتي الورجلاني أبو عمّار (ت قبل: 570هـ)، عالم شهير، من علماء ورجلان، تتلمذ في موطنه على يد مشائخ أهمّهم: أبو زكريّا يحيى بن أبي زكريا، ارتحل إلى تونس لاستكمال معارفه في معاهدها الزّاهرة، عُرِف بالكرم ودماثة الأخلاق، من مؤلّفاته: الموجز، شرح الجهالات وكتاب الاستطاعة، توفّي في أعلى جبل بامنديل من ضواحي ورجلان. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج3،ص539، 540.

[5]- آراء الخوارج الكلاميّة (الموجز لأبي عمّار عبد الكافي)، عمار طالبي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، دط، 1978، ج2، ص139

الإباضي ولو أنّهم يدّعون خلاف ذلك، وأنّهم يُسندون مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود،[1] وأمّا بالنّسبة إلى عيسى بن عمير فقد ذكر الشمّاخي أنّ خلافه وقع في زمن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[2].

ومن أهمّ ما اختلفت فيه المجموعتان عن الحركة الإباضيّة:

1- من أنكر ما سوى الله فليس بمشرك.

2- يسع النّاس جهل معرفة محمّد صلى الله عليه وسلّم وليس على النّاس إلّا معرفة المعبّر.

3- المتأوّلون المخطؤون مشركون، واليهود منافقون.

4- لم يأمر الله المشركين بغير التّوحيد، ولم يمنعهم عن أي شيء غير الشّرك، فإذا ما آمنوا به لزمتهم جميع الفرائض و نُهوا عن جميع المعاصي.

5- إنّ سكان الجنّة يعيشون في خوف أبدي ورجاء أبدي.

يقول الشّيخ علي يحيى معمّر: «وبالتأمّل فيما نُسب إليهم من مقالات يتبيّن أنّ فيها ما يخرجهم عن الاسلام، ولذلك فلست أدري لماذا يحشرها كتّاب المقالات ضمن فرق الإباضيّة، إنّما يبدو لي – إذا لم تكن خارجة عن الإسلام، وإذا كان ما ينسب إليها صحيحا – فهي فرقة مستقلّة داخلة تحت العنوان العامّ».[3]

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى شيء مهمّ: وهو ما يلاحظ من تضارب في ما ينقل عن هتين الفرقتين، فمن جهة ينقل الشمّاخي –وعنه ينقل كلٌّ من النّامي وعلي يحيى معمّر– أنّ من آرائهم "الحرام المجهول العين معاقب عليه"، ثمّ ينقل بعدها مباشرة قولهم إنّ "الحرام المجهول العين

---

[1]- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، ص215.

[2]- كتاب السّير، أبو العباس الشمّاخي، ص105.

[3]- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحيى معمّر، ص349.

مباح ما لم يثبت تحريمه بالعقل"، وواضح من هذه النّقول نسبة قولين متضادين لنفس الفرقة، ولذلك إذا شكّكنا في نسبة هذين القولين إلى كلٍّ من العمريّة والحسينيّة ، فلابدّ من أن يسرِيَ الشكّ إلى بقيّة الأقوال المنسوبة إليهما، "وخصوصا وأنّ أحمد بن الحسين الطرابلسي يذكر عنه المؤرّخ الشمّاخي أنّه رأى له عددا من الكتب وأضاف أنّ أفضلها جميعا: «كتاب المختصر» في الفقه، و«كتاب المقالات» في علم الكلام، وهذا الأخير قد نقل عنه أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي في كتابه «قواعد الإسلام»، ويُذكر عن أحد أقدم علماء الإباضيّة أنّه قال: "لولا عمروس بن فتح وأفلح بن عبد الوهّاب اللّذان رفضا آراء نفّاث وأحمد بن الحسين ،لتبعتهم المذاهب".[1]

المبحث التّاسع: افتراق هارون بن اليمان[2]

نسبة إلى هارون بن اليمان في الاختلاف الواقع مع محبوب بن الرّحيل[3] حول تكفير المرأة الّتي أتت بشبهة الزّنى وتشريك أهل القبلة وعدم تجويز صلاة الجمعة مع غير الإباضيّة، وتأتي آراء هارون بن اليمان موافقة لآراء التّلاميذ المنشقّين عن إمامي الإباضيّة أبي عبيدة مسلم والرّبيع بن الحبيب: وهم شعيب بن معروف، وعبد الله بن عبد العزيز، وأبو المؤرّج السّدوسي.

وخالف كذلك هارون الإباضيّة في تقسيم الذّنوب، فذهب إلى وجود بعض المعاصي الّتي ينبغي على المسلم أن يتّخذ حيالها الوقوف ولا يحكم بمصير صاحبها، وسمّاها صغائر مشبّهة

---

[1]- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النّامي، ص214، 215.

[2]- هارون بن اليمان (حي في: 226هـ)، عالم فقيه متكلّم، له مسائل خالف بها جمهور الإباضيّة، له سيرة وافية كتاب السّير و الجوابات. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق) ، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص484.

[3]- محبوب بن الرّحيل بن سيف أبو سفيان (ت: أواخر القرن 2هـ)، الإمام الفقيه الحافظ والمؤرّخ، ولد في أوائل القون الثّاني، يعتبر من حملة العلم إلى عمان، طلب العلم على يد أبي عبيدة مسلم، ثمّ لازم الرّبيع بن الحبيب، وهو ممّن روى عنهم أبو غانم في مدوّنته، من آثاره: كتاب في السّير، وله آراء مبثوثة في كتب الفقه والسّير. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص368.

بالكبائر لم يأت فيها حكم معلوم، فالوقوف عمّن أصابها، وينقل قوله «وممّا لم يجيء فيه وعيد من الله في كتابه، ولا حدّ في الدنيا ولا سنّة من النّبي صلى الله عليه وسلّم يجتمع عليها، وقفنا عليه وقلنا الله أعلم قولنا فيه» ،وقد ردّ محبوب بن الرّحيل عليه في رسالتين الأولى إلى أهل عمان والثّانية إلى أهل حضر موت.[1]

ويظهر من هذا العالم أنّه لم يشكّل فرقة ولم يكن له أتباع ، إذ لا نجد له ذكرا في كتب السّير إلّا في كتاب الشمّاخي، وأنّ خلافه لأئمّة المذهب لم يكن بتلك الخطورة بحيث يوجب البراءة منه.

وبعد هذا النّبذة حول الافتراقات التّسع، نستنتج أنّ ما يسمّى فِرقا بالمفهوم الديني – الحامل لمعنى الاستقلاليّة بالأصول والقواعد المساعِدة على فهم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم والتشريع– منبثقةً من المذهب الإباضي شيء لا وجود له ولا تسعفنا كتب العقيدة ولا التاريخ بإثبات هذه الحقيقة وكلّ ما في الأمر أنّ الخلاف نشأ منشأً سياسيّا وبقِي كذلك أو أنّه اجتهاد في فروع العقيدة أو الفقه ولّد أزمة اجتماعيّة أشعل نارها وأذكى أوارها مخالفته للسّائد والمعروف ممّا عمّت به البلوى وانتشر علمه وعمله بين النّاس ، فكان افتراقا في البيئة والعرف لا في المذهب، إلّا أنّنا نستثني من ذلك فرقة النّكّار الّتي كانت ومازالت تحتاج إلى دراسات أعمق لتركها تراثا ونَتاجًا علميّا يعرّف بها ويبيّن حقيقتها للدّارسين.

ويطرح أحد الباحثين ملاحظات مهمّة، حول الإمامات الإباضيّة الثلاثة في كلٍّ من اليمن، وعمان، والمغرب ويُبيّن أنّ هذا الأخير «كان له الحظّ الأوفر في ظهور الفرق –الأصحّ قولنا الافتراقات– بخلاف اليمن حيث لم تظهر فيها الفرق لأنّ الإمامة لم تدم بها طويلا

[1] – الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص445، 446، معجم مصطلحات الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص1037 .

(16شهرًا)، أمّا إقليم عمان فكانت له ظروف خاصّة حالت دون بروز هذه الفرق على السّاحة الفكريّة أو السياسيّة، ويمكن إجمال هذه الظّروف في:

1- قرب عمان من مركز الإمامة الإباضيّة في البصرة.

2- نفي الحجّاج بن يوسف الثّقفي للإمام جابر بن زيد إلى عمان، كان له أثره في إذكاء روح التّعلّق بالمذهب

الإباضي.

3- انتقال عدّة أئمّة من البصرة واستقرارهم في عمان مثل: حاجب الطّائي، محبوب بن الرّحيل وغيرهما.

4- تشديد عامل الإمام المهنّا في صحار على المخالفين، الّذين ينشرون مبادئهم في الرعيّة.

5- مبالغة هذا الإمام في التشدّدّ على معارضيه، حيث لا يسمح بوجود مخالفين له يسعون إلى تأليب النّاس ضدّه، حتّى تضجّر منه علماء عمان.

6- كون عاصمة الإمامة في عمان هي غير العاصمة العلميّة الّتي ينتشر فيها العلم وتستقبل التيّارات الفكريّة، ممّا جعل الخلاف الفكريّ حبيس أوراق العلماء ومجالسهم، ولا يتعدّى إلى تشكيل خطر على الإمام في مكان سلطته.

7- تمتّع علماء الإباضيّة في عمان بتكوين إباضيٍّ محصّن لا يسمح لهم بالخروج عن دائرته.

8- الالتزام الصّارم في تطبيق نظام الوَلاية والبراءة كان حصنا منيعا أمام ظهور من ينادي بغير ما عُرف في المذهب الإباضي عقيدة وفقها.

فهذه بعض العوامل الّتي كانت سببا في عدم انتشار الفرق في عمان مع العلم بوجود اختلاف بين علمائها، لكنّه بقِي خلافا كلاميّا لا يتعدّى إلى تحشيد الرعيّة والسّعي إلى إسقاط الإمام، وذلك على عكس ما حصل في المغرب، وبالخصوص في الإمامة الرّستميّة بتيهرت، حيث كثرت الانشقاقات الّتي كانت وليدة عوامل منها:

1- نشاط الحياة الفكريّة في تيهرت حتّى لقّبت بـ: «عراق المغرب».

2- تفشّي العلم وكثرة التآليف في الإمامة الرستميّة، وبخاصّة في أقصى حدود الدولة الرّستميّة في جبل نفوسة، والّتي يصعُب على الإمام الاتّصال بها وتتبّع أخبارها.

3- إحاطة عاصمة الدّولة الإباضيّة في المغرب بعدة دول مجاورة تخالفها عقديّا كالأغالبة والأدارسة ثمّ الفاطميّين.

4- البعد عن مركز القيادة الإباضيّة في البصرة، وعدم زيارة أيمّة البصرة للمغرب، ومجيء علماء كانوا في صراع مع القيادة في البصرة كشعيب بن معروف.

5- انتهاج الأئمّة الرستميّين أسلوب التسامح مع المخالفين لهم في المذهب».[1]

[1]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص231، 232، 233، 234.

الفصل الثّالث:

المسائل الخلافيّة في الإلهيّات

المبحث الأوّل: خلق القرآن:

تعدّ هذه القضيّة الفكرية من بواكير ما أنتج العقل الإسلامي استفهاما واستدلالا ومحاججة، إذ إنّها من أوائل ما ناقشته الفرق بعد مسألتي الإمامة والإيمان والقدر[1] كجدال داخلي بين طوائف المسلمين وفرقهم، والّذي وصل بهم إلى حدّ الصراع العنيف الّذي تزاوجت فيه سلطتا الدّين والسّياسة

وكان الجدال قائما أوّل الأمر بين المعتزلة «الذّين ذهبوا إلى أن الله لم يكلّم ولم يتكلّم، إنّما كوّن شيئا فعبّر عن الله وخلق صوتا فأسمعه، ذلك لأنّ الكلام لا يكون إلّا بجارحة، من جوف ولسان وشفتين، والجوارح عن الله منفيّة ومن هنا أثبتوا أنّ القرآن مخلوق محدث، وبين الإمام أحمد بن حنبل الّذي رفض ذلك وأقرّ بأنّ القرآن غير مخلوق وبأنّ الله لم يزل متكلّما في الأزل وأنّ هذه الصّفة قديمة له تعالى كباقي الصّفات كالقدرة والعلم وغيرها».[2]

وقد دلفت هذه المسألة إلى الفكر الإباضيّ باكرا وانقسمت الآراء فيها إلى ثلاثة على سبيل الإجمال: يوردها الورجلاني بقوله: «وكذلك القرآن من قال: إنّه غير مخلوق بالرأي فالرّأي عجز، وهو قول أهل عمان، ويقولون أنّه غير مخلوق، وأهل الشّرف الإباض يقولون: إنّه مخلوق، وأهل حضرموت بين بين لا يطلقون القول: إنّه مخلوق ولا غير مخلوق وكذلك في أسماء الله عزّ وجلّ، وسألت محمّدا الحضرمي[3] بمكّة عن القرآن فقال: أهل عمان يقولون: إنّه غير مخلوق وأهل الشّرف الإباض يقولون: مخلوق، ونحن أهل حضرموت بين بين، ليس عندنا قطع العذر بين هؤلاء وهؤلاء».[4]

---

[1]- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، محمّد علي النشّار، ص253، 256.

[2]- م، ن، محمّد علي النشّار، ص285، 286.

[3]- لم نعثر على ترجمة له.

[4]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص195.

وقبل التعرّض إلى آراء المذهب بالتّفصيل تجدر الإشارة إلى نقطتين أساسيّتين:

1-أنّ سلف الإباضيّة الأوائل من الأئمّة المؤسّسين للمذهب لم يتعرّضوا لهذه المسألة نفيا أو إثباتا، إذ لم يؤثر عن أئمّة المذهب وأبي عبيدة والرّبيع ووائل بن أيوب[1] شيوخ الإباضية رأي في هذا الموضوع، وأوّل من تعرّض لهذه القضيّة في المحيط الإباضي هو عبد الله بن يزيد الفزاري.[2]

2- أن هذه المسألة—خلق القرآن—لم تنتج صراعات تدافعيّة وفتن باطنيّة على المدى الواسع للوجود الإباضي والسّبب الرّئيس لذلك هو الأمر القضائي الملزم الذّي كان سيّد الموقف في أقاليم الوجود الإباضي بغض النّظر عن الرّأي المتّبع، فأما في المشرق، فيورد الإمام الشمّاخي أنّ الزّمن الّذي احتدّت فيه القضيّة هو زمن المهنّا بن جيفر[3] أحد أئمّة عمان الّتي وصلت الفتنة فثار الخلاف بين العلماء، ولكنّهم اصطلحوا بسرعة، على الوقوف في الإجمال وهو أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء وما سوى الله مخلوق، وأنّ القرآن كلام الله ووحيه هو كتابه وتنزيله على الرسول صلى الله عليه وسلّم،[4] ويروي صاحب المنهاج الرّستاقي الشّقصي قائلا: «وقال الفضل بن

---

[1]- وائل بن أيوب الحضرمي، أبو أيوب، من أهل حضرموت باليمن، عاش في القرن الثّاني للهجرة، درس على يد أبي عبيدة مسلم، خلف الإمام الرّبيع في إمامته للمذهب، توفّي في البصرة، من آثاره مناظرة مع رجل من المعتزلة، وسيرة مشهورة ضمن سير علماء الإباضيّة. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص493.

[2]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص349.

[3]- المهنّا بن جيفر اليحمدي الفجحي(237هـ)، كان أعظم إمام في آل اليحمد بعد وفاة الإمام عبد الملك، اتّسمت عمان في عهده بالاستقرار والأمن والرّخاء، أُثير في زمنه موضوع خلق القرآن، من قِبل يهودي متظاهر بالإسلام، فأمر بالشّد على من يتكلّم فيها بشيء مخافة الفتنة. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص458.

[4]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص349.

الحواري[1]: اجتمع الأشياخ–بدما– في منزل، وتذاكروا في القرآن، فقال محمّد بن محبوب بن الرّحيل[2]: أنا أقول إنّ القرآن مخلوق، فغضب محمّد بن هاشم بن غيلان[3] وقال: أنا أخرج من عمان ولا أقيم بها، ...ثمّ اجتمعوا بعد ذلك فرجع محمّد بن محبوب عن قوله، واجتمع من قولهم "إنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، وما سوى الله مخلوق، وأنّ القرآن كلام الله ووحيه، وكتابه، وتنزيله على محمّد صلى الله عليه وسلّم"، وأمروا الإمام المهنّا بالشّدّ على من قال: إنّ القرآن مخلوق».[4]

وأمّا في المغرب فقد حسمت القضيّة مع الإمام أبي اليقظان محمّد بن أفلح[5] الّذي يُذكر أنّه ألّف رسالة أثناء سجنه ببغداد بعد اقتناعه بعقيدة خلق القرآن في عهد أحد الخلفاء

---

[1]– الفضل بن الحواري السّامي أبو محمّد (278هـ)، عالم فقيه، من بني سامة بن لؤي، من مشايخه محمّد بن محبوب، ذكر فيه أنّه والإمام عزان بن الصّقر "كالعينين في الجبين"، مات مقتولا، من أهمّ آثاره: كتاب الجامع. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص345.

[2]– محمّد بن محبوب بن الرّحيل، أبو عبد الله (260هـ)، كان جدّه هبيرة بن سيف من فرسان النّبي صلى الله عليه وسلّم، وهو المقصود بكنية "أبي عبد الله" في كتب المشارقة، من شيوخه: أبو صفرة وموسى بن علي الإزكوي، ومن تلاميذه: عزان بن الصقر، وأبو المؤثر، ومن آثاره: سيرته إلى أهل المغرب، مختصر من السنّة (وهو جزء من الكتاب الذّي يذكر عنه من سبعين جزءا). معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص426.

[3]– محمّد بن هاشم بن غيلان السيجاني (226هـ)، من علماء الطّبقة الثّالثة الإباضيّة، من شيوخه: أبوه هاشم بن غيلان، وعمّه عبد الملك. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص432.

[4]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الرّستاقي، ص204.

[5]– محمّد بن أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم (أبو اليقظان)، (ت:281هـ)، خامس الأيمة الرّستميّين، ولد بتيهرت ونشأ بها، تلقّى العلم على يد والده أفلح، وجدّه عبد الوهّاب، كان من المكثرين في التّأليف، له رسالة في خلق القرآن، وألّف في "الاستطاعة" وحدها أربعين كتابا، تولّى الإمامة سنة: 261هـ، تعرّض للسّجن في بغداد وبقي فيه سنين، تعلّم خلالها السياسة والكياسة، عُرفَ عهده بالعدل واتّفاق الكلمة والانفتاح على العلم حيث اهتمّ الفقهاء بالمناظرات وكثرت المجالس والحلقات. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج4، ص753، 754.

العباسيّين[1] واستمرّ الإجماع بعد ذلك،[2] على الرّغم من خلّو الجوّ العام من خلاف كلامي بين علماء هذه المنطقة حول هذه المسألة.

ويظهر من خلال جلّ الكتابات الإباضيّة في هذه المسألة بغضّ النّظر عن توجّهها، أنّ القول بخلق القرآن أو عدمه ما هو في حقيقة الأمر إلا نتيجة وفرع لمسألة الأمّ، والّتي مفادها: هل المقصود من كلام الله تعالى أنّه صفة ذات أم أنّه صفة فعل؟ فهذه هي المسألة الخلافيّة الحقيقيّة وما القول بخلق القرآن أو عدمه إلّا نتيجة حتميّة لما قُرّر في المسألة الأصليّة لا مسألة خلافيّة أخرى.

ويشرح عبد الله بن حميد السّالمي هذه الجزئيّة بقوله: «اعلم أنّ أصحابنا اختلفوا في إثبات الكلام الذّاتي، فمن أثبته جعله عبارة عن نفي الخرس عنه تعالى، وهم الجمهور، ونفاه البعض كالإمامين: ابن النّظر وأبو ساكن،[3] وغيرهما، واكتفوا في نفي الخرس عنه تعالى بصفة القدرة، فإذا عرفت هذا وقد تقدّم لك أنّ صفات الذّات عين الذّات فاعلم أنّ الكلام الذّاتي ليس هو شيء غير الذّات العليّة، وإنّما هو عبارة عن اتّصافها بصفة كماليّة ليست هي غيرها، بمعنى أنّ الذّات العليّة كاملة وعبّر عن ذلك الكمال بألفاظ دالة على أنواع الكمال، فليس هناك غير الله المتّصف بالكمال الذّاتي حتى يوصف ذلك الغير بأنّه قديم .....فإذا عرفت هذا فاعلم أنّه لا وجه لقول من قال من أهل المذهب إنّ القرآن قديم إلّا أن يريدوا أنّ الله ليس بأخرس».[4]

---

[1]- الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص231.

[2]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص351.

[3]- عامر بن علي بن عامر الشماخي أبو ساكن (792هـ)، أحد أكبر مشائخ الإباضيّة في جبل نفوسة بليبيا، أخذ علمه عن الّشيخ أبي موسى الطّرميسي، وملازما لأبي عزيز بن إبراهيم بن أبي يحي، أنشأ مدرسة خاصّة اشتهرت في عهده في بلدة يفرن، تخرّج على يديه نوابغ العلماء، منهم: ولده موسى، محمّد بن الشّيخ، أيوب الجيطالي، أبو الضّياء الطّرميسي، من مؤلّفاته: كتاب في العقيدة، "كتاب الإيضاح" في الفقه. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص501، 502.

[4]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص323، 324.

فرأي الجمهور من الإباضيّة –حسب كلام السالمي– أنّ الكلام إذا نُسب إلى الله تعالى فيُراد به إثبات صفة قديمة غير زائدة عن الذّات. وإلى مثل ذلك يشير الإمام أبو زكريّا الجناوني[1] بقوله: «وقيل الله اسم لمن لا يستحقّ العبادة إلّا هو، وقيل اسم الله تبنى عليه الصّفات، وصفاته هي: العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسّمع والبصر،....ومعنى متكلّم ليس بأخرس».[2]

ولكنّ هذا يخالف ما «ذهب إليه الإمام الورجلاني من القول بأنّ كلام الله أمره ونهيه وهو ليس بصفة لله تعالى ذاتيّة وهو قول الإمام الثّميني[3] وهو قول إباضيّة المغرب ودليلهم في ذلك أنّ الخرس ليس ضداً للكلام ولكنّه نقيض له، فالضّدان لا يجتمعان ولا يفترقان والنّقيضان لا يجتمعان ولكن يجوز ارتفاعهما فالخرس ضدّه القدرة على الكلام، والكلام عكسه الصّمت فقد يكون الشّخص ساكتا لا أخرسا ولا متكلّما فكلّ خرس سكوت وليس كلّ سكوت خرس».[4]

ولكنّ القول بكون الكلام صفة ذات لا يعني تبني الرأي القائل بالكلام النفسي إذ يظهر جليّا عدم اعتماد الإباضيّة على ما يسمّى بالكلام النفسي، فهو مرفوض عندهم وأبدلوه بصفة

---

[1]– يحي بن الخير الجنّاوني أبو زكريا (ق: 5هـ)، من أعلام جبل نفوسة، من قرية إجنّاون، أخذ العلم عن أبي الرّبيع سليمان بن هارون، وغيره من المشايخ، مكث في التعلّم اثنين وثلاثين سنة فصار شيخا عالما فقيها، درس على يديه كثير من العلماء: أبو الرّبيع سليمان بن يخلف، أبو سليمان داود، من آثاره العلميّة: كتاب الأحكام، عقيدة نفوسة، كتاب الوضع. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج4، ص957.

[2]– كتاب الوضع، أبو زكريا ابن أبي الخير الجنّاوني، مطبعة الفجالة الجديدة، الطّبعة الأولى، دت، ص11.

[3]– عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز التّميني، (1130هـ_1718م، ت: السّبت 11 رجب 1223هـ– 1808م) الملقّب بضياء الدّين، من أعظم أعلام الإباضيّة، من بني يسجن بمزاب، لازم الإمام أبا زكريا يحي بن صالح الأفضلي(ت:1202)، إلى أن نبغ في علوم اللّغة والعربيّة والشّريعة والمنطق وغيرها، لازم العمل الاجتماعي، وخاض معركة الإصلاح في المجتمع، ثمّ اعتزل النّاس ليشتغل بالتّدريس والفتوى، وممّن تخرّج على يديه، إبراهيم بن بيحمان، والشّيخ يوسف بن حمو بن عدّون، من أهمّ مؤلّفاته: تعاظم الموجين شرح مرج البحرين، معالم الدّين، النيل شفاء العليل. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج3، ص532، 533، 534.

[4]– الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص221.

العلم،[1] ويستدلّ الشّيخ أطفيّش على ذلك بأنّ «الأمّة اجتمعت على تسمية هذه الألفاظ المكتوبة في المصاحف قرآنا، فمن ادّعى بعد ذلك أنّ القرآن كلام نفسي ثابت لله، وأنّ هذه الألفاظ ترجمته احتاج إلى دليل، ولا دليل له من القرآن ولا من السنّة ولا من الإجماع ولا من العقل، ولو كانت هذه الألفاظ المكتوبة في المصاحف ليست قرآنا بل ترجمة عن القرآن الّذي هو كلام نفسي لم تقبل النّسخ، وقد أجمعوا أنّ النسخ واقع في القرآن، ولا نسلّم ثبوت الكلام النفسي إذ لا مأمور ولا منهي في الأزل، وإن قيل كلام حادث بطل لأنّ القديم –جلّ وعلا– لا يقوم به حادث، وإن قيل أمر ونهي بلا لفظ لم يؤدّ شيئا».[2]

من جهة ثانيّة يرى البعض الآخر من علماء الإباضيّة أنّ صفة الكلام يجوز إطلاقها على الباري عز وجلّ باعتبارين، باعتبار ذاتيّ ويراد به نفي الخرس وباعتبار فعلي وهو الخلق والإيجاد للكلام، وهذا هو المفهوم من كلام الإمام الجيطالي إذ يفرّق بين الكلام الّذي هو عبارة على نفي الخرس، وبين كلامه الّذي هو القرآن وسائر الكتب، فهو فعل من أفعاله لقوله تعالى: (حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ)[3] وكلامه حادث لاستعمال المضارع الّذي يدلّ على التجديد والاستقبال[4]، وإلى مثل هذا القول ذهب أبو ستّة[5] من إباضيّة المغرب.[1]

---

[1]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات، الجعبيري، ص414.

[2]– شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص533.

[3]– التوبة 6.

[4]– الإمام إسماعيل الجيطالي و فكره العقدي، ص164.

[5]– لعلّه يقصد ابن أبي ستّة، محمّد بن عمر بن محمّد بن أحمد بن أبي القاسم بن ابي ستّة القصبي، أبو عبد الله، الّشهير بـ: المحشّي،(ت: 1088هـ/1677م)، عالم جليل من أشهر علماء جربة، أخذ العلم عن والده وعن عمّه الشّيخ أحمد بن محمّد ، وبعد حفظه للقرآن الكريم، وتمكّنه من أساسيّات العلوم، انتقل إلى جامع الأزهر سنة 1040هـ/1631م، استقرّ بها ثمان وعشرين سنة، متعلّما ومعلّما، وعُرف بين العلماء بالبدر، ترك آثارا علميّة كثيرة جلّها من الحواشي منها، حاشية على كتاب قواعد الإسلام للشّيخ الجيطالي، حاشية على كتاب المسند للإمام الرّبيع، حاشية على شرح مختصر العدل والانصاف. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج4، ص815، 816.

والّذي يُفهم من كلام السّالمي رحمه الله تعالى أنّ الإباضيّة جمهورهم يقولون بالقولين معا ولكن باعتبارين مختلفين فالقول بأنّ الكلام صفة ذات فقط في مقابل من يكتفي بوصف القدرة، ومن جهة أخرى يطلقون عليه –أي الكلام– صفة ذات وفعل معا في مقابل من اعتبره داخلا في دائرة الأفعال فقط أو ردّا على القائلين بالكلام النفسي.[2]

أما بالنّسبة للمدرسة المشرقيّة فإنّها اعتزمت التّوقّف في هذه المسألة باكرا –منذ عهد المهنّا كما سبقت الإشارة إليه– أو ما يشبه التّوقّف الّذي لا يؤدّي إلى قطع عذر المخالف أو تكفيره، وهذا الموقف استمرّت آثاره إلى غاية عهد المحقّق الخليلي[3] الّذي يجيب عمّن سأله عن مخلوقيّة القرآن من عدمها قائلا: «القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وهذا الاعتقاد كافٍ إن شاء الله»،[4] ويقول كذلك في هذه المسألة «وإنّما ارتبك بعض الأكابر كالشّيخ ابن النّضر العماني وعدّت مسألة رأي لا دين وهي مسألة خلافيّة سائغ الخلاف فيها ...»،[5] وكذلك الإمام الشّقصي[6] الّذي أتى بعده إذ يقول: «والّذي نقوله إنّ الله كلّم موسى عليه السّلام حقّا كما

---

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص233.

[2]– م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص233، ص323.

[3]– سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي، المعروف بالمحقّق الخليلي، (ت: 1287هـ)، من أشهر الشّخصيّات العمانيّة، في القرن 13، ترأّس المجلس الدّيني الّذي رشّح الإمام عزان بن قيس للإمامة، وكان يسعى لإقامة إمامة مماثلة لإمامة الجلندي، كان كثير الخلوة والتّبتّل إلى الله تعالى، له مؤلّفات قيّمة جمع فيها بين الشّعر والعلم، منها: أرجوزة في علم الصّرف، وقصيدة في العروض اسمها "المظهر الخافي في العروض والقوافي"، "النّواميس الرّحمانيّة في تسهيل الطّرق إلى العلوم الرّبّانيّة"، ومجموعة من الفتاوى الشّرعيّة. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني،ص188.

[4]– تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان الخليلي، تحقيق حارث بن محمّد البطّاشي، مكتبة محمّد بن شامس البطّاشي، الطبعة الأولى، 1431هـ/2012م، ج1، ص216.

[5]– م، ن، سعيد بن خلفان الخليلي، ص225.

[6]– خميس بن سعيد بن علي الشّقصي، (توفي بين : 1059هـ– 1090هـ)، أحد أقطاب العلم والسّياسة في النّصف الثاني من القرن العاشر، ولد بنزوى، ثمّ انتقل إلى الرّستاق، له مؤلّفات جليلة أشهرها: منهج الطّالبين

أخبر في كتابه ونقول: إنّه كلّمه كما شاء، وعلى ما شاء من ذلك، وخصّه بذلك»،[1] وينقل كذلك عن أبي معاويّة[2] قوله: «سمعت أشياخنا يقولون –وقولنا لهم تبع–: إنّ القرآن كلام الله، ونوره وبيانه ..ويقولون: إنّ الله خالق كلّ شيء وما سواه مخلوق».[3]

والإمام ابن النّضر المشار إليه –في جواب المحقّق– صاحب ديوان الدّعائم قد نظم قصيدة في الردّ على من يقول بأنّ القرآن مخلوق وأتى بقول جديد في المذهب ممّا جعل علماء الإباضيّة يقفون منه موقفين:

1 – قسم شكّك في صحّة نسبة هذه القصيدة إليه كالسّالمي الّذي يغلّب إحسان الظنّ بهذا العالم على اتّهامه بتلك التّهمة ويفضّل القول بأنّ نسبة القصيدة إلى الإمام ابن النّضر العماني نسبة منتحلة عارية عن الحقيقة ويؤكّد قوله: «ومن نسب إليه ذلك فقد رماه بكبيرة لأنّه زعم أنّ ابن النّظر يقول إنّ الكلام الفعلي قديم ....فمن نسب إليه النّونيّة بعد ذلك فقد عزاه إلى الجهل»،[4] ويضيف: «ولا بدّ من حسن الظنّ بعلماء الإباضية وأنّهم لا يقولون شيئا إلا حرصا على الدّين واجتهادا في طلب الحق»،[5] وقريب منه صنيع الشّيخ أطفيش حيث أطال الردّ على قصيدة ابن النّضر العماني ثمّ شكّك في صحّة نسبتها إليه.[6]

وبلاغ الرّاغبين، وهو موسوعة علميّة من عشرين مجلّدا، توفّي أيّام دولة الإمام سلطان بن سيف الأوّل. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص134.

[1]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الشقصي،ج1، ص419.

[2]– عزان بن الصّقر، أبو معاوية، (ت: 268هـ)، عالم وفقيه أزدي يحمدي خروصي، من مشايخه محمّد بن محبوب، قيل عنه أنّه في العلم كالعين في الجبين، له آثار كثيرة يرويها عن شيخه ابن محبوب وجوابات معه. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص305، 306.

[3]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الشّقصي،ج1، ص213

[4]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص325.

[5]– الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيّي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص245.

[6]–مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بيير كوبرلي، ص299.

2- قسم أثبت نسبتها إلى ابن النّضر ووافقه عليها وهو القلهاتي[1] صاحب –الكشف والبيان– وردّ على من قال بأنّ القرآن مخلوق.[2]

ومن هنا يمكن أن نصل إلى أنّ المشارقة قد احتوت مدرستهم على ثلاثة أقوال: قول بالتّوقّف دون الإنكار على المخالفين دينا، وقول بعدم خلق القرآن جزما –وهذا قول مشكوك فيه– وقول بخلق القرآن وهو الّذي استقرّ عليه الأمر منذ الإمام ابن أبي نبهان الخروصي الّذي أدخل هذا القول إلى عمان وسار عليه تلامذته، وكُتب له الانتشار على يد الإمام السّالمي كما يشير إلى ذلك أحد الباحثين،[3] وقريب من هذا ما يذكره الإمام البرّادي من وجود ثلاث مواقف في عمان: 1-القرآن كلام الله وليس بصفة، 2-القرآن كلام الله ووحيه لرسوله وهو ممّا يسع جهله، 3-رفض القول بخلق القرآن مع التوقّف فيمن يقول بذلك.[4]

ومن المهمّ أن نذكر قبل ختم هذا المبحث أنّ تعامل علماء الإباضيّة مع هذه القضيّة الخلافيّة قد اتّسم بالتباين والاختلاف، فبين من كانت عباراته شديدة كالشّيخ أطفيش إذ يقول: «إنّ التلفّظ بعدم خلقه لا يجوز ومن قال بعدم الإنكار على سائر أصحابنا الّذين يقولون بقدمه فضعيف إذ المسألة من الأصول عند التّحقيق».[5]

---

[1]- محمّد بن سعيد الأزدي القلهاتي، أبو عبد الله، من أبرز علماء القرن السّادس، شيخ وعالم أصولي، و شاعر، من شيوخه سليمان بن أبي سعيد، من أشهر مؤلّفاته المنتشرة كتاب "الكشف والبيان في الأصول وبيان فرق الأمّة الكلاميّة". معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص398.

[2]- الخوارج والحقيقة الغائبة، ناصر السّابعي، ص36، واختلفوا في أي قرن كان ،فقال عوض خليفات أنّ في القرن 11هـ، وتذهب إسماعيل كاشف إلى أنّه في القرن الرابع الهجري ،ويرى البطّاشي في إتحاف الأعيان أنّه في النّصف الثّاني من القرن السّادس.

[3]- الشّيخ ابن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص56.

[4]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص350.

[5]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص414.

بينما نرى من العلماء من هوّن من وطء هذه المسألة كالورجلاني إذ يعذر المخالفين في هذه المسألة من علماء المشرق فيقول: «وعلى هذا عوّل أصحابنا من أهل عمان، الّذين لم يقولوا بخلق القرآن، فإذا لم يعتقدوه دينا، ولم يقطعوا عليه عذر أحد من المسلمين الّذين خالفوهم عليه، فلا بأس عليهم بذلك، وذلك خطأ محمول عليهم».[1]

وطائفة أخرى من العلماء هوّنوا من شدّة وطأة الخلاف في هذه المسألة ولم يتجاوزوا فيها الألفاظ دون المعاني وأنّ الخلاف مصطلحاتيّ فقط، ومثال ذلك ما ذكره الإمام سالم بن حمد الحارثي في حاشيته على المنهاج: «وعند التحقيق فإنّ الخلاف لفظي، فالمختلفون متّفقون أنّ علم الله قديم ذاتي ولكن اختلافهم في القرآن هل هو علم الله أم معلومه».[2]

وإلى مثيله يشير السالمي بأنّ سبب الخلاف في المسألة في الصّفة الذّاتيّة المسمّاة بالكلام «هل يجوز إطلاق لفظ القرآن عليها أم لا فمن المشارقة من اصطلح عليها قرآنا ولم يقم على ذلك دليل فيكون الخلاف لفظيّا حاصله هل يسمّى الكلام الذّاتي قرآنا أم لا».[3]

إنّ مسألة خلق القرآن، أو حقيقة كلام الله تعالى من المسائل الكلاميّة الّتي لا ينبني تحتها عمل يتقرّب به العبد إلى مولاه، لنفع نفسه أو غيره، فلو ركّز المتكلّمون على تفعيل كتاب الله في العلم والعمل والتدبّر لكان أولى من الخوض في قضايا كانت المفرّقات فيها أكثر من الجامعات، ولم يكن الحامل على الولوج في أغوارها إلا محض الترف الفكري والتعصّب السياسي، إلّا أنّ هذه المسألة قد ذوى عودها في أعصر سابقة وأضحى ذكرها اليوم لأجل الاستقصاء والسرد التاريخي لا أكثر.

المبحث الثّاني: الكسب والجبل:

[1]- الدّليل و البرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص112.

[2]- منهاج الطالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الرستاقي، ص203.

[3]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص323.

لم تتبلور كلٌّ من كلمتي الكسب والجبل في الرّعيل الأوّل من الصّحابة كفكرتين معبّرتين عن كيفيّة مفسّرة لصدور الأفعال من الإنسان المختار على الرّغم من ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)،[1] وقوله تعالى: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)،[2] وقد كان المصطلح الشرعي لهذه المسألة مشارًا إليه باسم القدر، في حديث جبريل قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره و شرّه ...»[3] وكذلك قوله صلى الله عليه وسلّم لعبادة بن الصّامت: « إنّك لن تجد و لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره و شرّه أنّه من الله تعالى، قال يا رسول الله وكيف أعلم خير القدر وشرّه، قال أن تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك فإن متّ على غير ذلك دخلت النّار»،[4] وقال جابر بن زيد رضي الله عنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: «كلّ شيء بقضاء الله وقدره حتى العجز والكيس».[5]

وأمّا ما ورد من أحاديث للمصطفى صلى الله عليه وسلّم –إن صحّت– من الإخبار على القدريّة والحكم عليهم كحديث: «لكلّ أمّة مجوس ومجوس هذه الأمّة القدريّة»[6] وقوله: «المرجئة يهود هذه الأمّة والقدريّة مجوسها»، وحديث: «لُعِنت القدريّة على لسان سبعين نبيا قبلي»[7]

---

[1]– البقرة 286.

[2]– الشعراء 184.

[3]– رواه محمّد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصّحيح، دار إشبيليا، ط1، 1423/2002، كتاب الإيمان، رقم: 45، رواه مسلم بن الحجّاج، الجامع الصّحيح، دار ابن حزم، ط1، 2010م/1430هـ، كتاب الإيمان، رقم: 8.

[4]– رواه أبو داود، السّنن، كتاب السنّة، رقم:4699، موقوفا عن أبي بن كعب، ورواه الترمذي، السّنن، دار المعارف، ط1، دت، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشرّه، رقم: 2144، مرفوعا دون زيادة "إن متّ على غير ذلك ....".

[5]– كتاب التّرتيب، أبو يعقوب الورجلاني، ج1، ص25.

[6]– سبق تخريجه بلفظ، "القدريّة مجوس هذه الأمّة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم".

[7]– لم نعثر على هذا الحديث في كتب السنّة.

فقد تعامل معها الإباضيّة على وفق ما قرّره الإمام السالمي من أنّ مفاهيم هذه الأحاديث تنصرف إلى صنفين من الناس: «صنف أنكروا أن تكون أفعالهم خلقا لله تعالى، ونسبوا خلقها لنفسهم وهو مذهب المعتزلة بجميع فرقهم، وصنف نفوا الكسب عنهم وأضافوا جميع أفعالهم إلى الله عزّ وجلّ على سبيل الجبر منه لهم على فعلها، ورفع الاختيار عنهم فيها وجعلوا أنفسهم كالميّت في يد المغسل، وكالخيط في الهواء تقلّبه الرّياح لا يستطيع امتناعا».[1]

ويعدّ الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة من سلف الإباضيّة الأوائل الذّين أدلوا برأيهم في هذا الموضوع من خلال بعض الرّوايات:

أنّه «اجتمع ابن أبي الشّيخ البصري وأبو عبيدة بمنى فقال: هل أجبر الله أحدا على طاعة أو معصية؟ قال: لا، ولو قلت ذلك لكان تخويفه وترهيبه لهم، قال: فالعلم هو الذّي قاد العباد إلى ما عملوا؟ قال: لا، ولكن سوّلت لهم أنفسهم، وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فكان منهم ما علم الله».[2]

وجوابه لواصل بن عطاء[3] حين سأله أنّه بلغه عنه قوله إن الله يعاقب على القدر فكان جوابه بل أقول إن الله يعاقب على المقدور، ولكنّ أبا عبيدة بادر واصلا بالسّؤال قائلا وبلغني عنك أنّك تقول إنّ الله يعصى بالاستكراه فنكّس واصل رأسه».[4]

وقول أبي عبيدة في الاستطاعة: «لا أقول إنّ من يستطيع أن يأتي بحزمة حطب من حلٍّ إلى حرم لا يستطيع أن يصلّي ركعتين، ولا أقول إنّه يستطيع ذلك إلا أن يوفّقه الله تعالى».[1]

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص405.

[2]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص231، 232.

[3]- واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، (80هـ-131هـ)، من بني ضبّة أو بني مخزوم، ولد بالمدينة، وانتقل للبصرة، رأس المعتزلة، سمّي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة الحسن البصري، له تصانيف منها: أصناف المرجئة، المنزلة بين المنزلتين، معاني القرآن. الأعلام، الزّركلي، ج8، ص108، 109.

[4]- طبقات المشائخ المغرب، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص246.

ورُوي كذلك «عن أبي عبيدة مسلم حين بلغه أنّ صالح بن عبد القدّوس[2] عظّم أمر القدر وكرّه الخوض فيه فقال مهوّنا من أمر القدر: والله ما فيه نكاح ذات بعل، ولا انتحال هجرة، ولا حكم بغير ما أنزل الله، إنّما هو رأي أحدثه النّاس فيما بينهم، فمن أقرّ بأنّ الله علم الأشياء قبل أن تكون فقد أقرّ بالقدر».[3]

وليست القضيّة سهلة لهذا الحدّ كما يدلّ عليه ظاهر كلام الإمام، إذ قد كانت سبب افتراق عطيّة وحمزة الكوفي اللذان هما من تلاميذ الإمام، وتحوّلهما إلى المذهب المعتزلي وبراءة علماء الإباضيّة[4] بأمر من أبي عبيدة نفسه منهم في تلك الحقبة،[5] ولذا يفسّر الشّقصي مقولة أبي عبيدة بقوله: «إنّما قال ذلك لترك البحث عنه وإلا فهو عظيم عنده لأنّ الإنسان يخرج من دين الله بأقلّ شيء منه».[6]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمام أبا عبيدة يصوّر القدر في كلامه بأنّه علم الله السّابق للأحداث دون الإشارة إلى قدرة الله تعالى في فعل الإنسان.[7]

إذًا لم يكن علماء الإباضيّة بمنأى عمّا كان يتداول من إشكالات وأسئلة في عصرهم خصوصا قضيّة القدر الّتي كانت محور بحث عميق في ذلك الوقت، وبتطوّر المذهب وآرائه وانفتاح متكلّمي الإباضيّة على المذاهب الأخرى، تبنّى الإباضيّة نظريّة الكسب: «و إنّما ألجأهم

---

[1]- م، ن، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص241.

[2]- صالح بن عبد القدّوس بن عبد الله بن عبد القدّوس، (ت: 160)، شاعر حكيم، كان متكلّما، يعظ النّاس في البصرة، له مع أبي هذيل مناظرات، اتّهم عند المهدي بالزّندقة، فقتله ببغداد. الأعلام، الزّركلي، ج3، ص192.

[3]- طبقات المشائخ المغرب، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص233.

[4]- م، ن، أبو العباس الدرجيني، ج2، ص 241.

[5]- انظر الفصل الثاني.

[6]- منهاج الطّالبين و بلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الرستاقي، ص430.

[7]- مدخل إلى دراسة الإباضيّة وعقيدتها، بيير كوبرلي، ص359.

إلى القول به –أي الكسب– تأثّرهم بالأشعري الّذي حاول أن يقدّم تفسيرا عقليّا لاجتماع قدرتين في فعل واحد، بينما كان الإباضيّة الأوائل ينفون الجبر والاختيار بإثبات العلم الأزلي والعدل الإلهي والتسليم في ذلك»،[1] وكذلك باعتبارها موقفا وسطا بين الجبريّة المطلقة والقدريّة المطلقة كما جاء عند أبي خزر يغلى بن زلتاف[2] في رسالته،[3] ولذلك أتت البراءة ممن تبنّى أحدهما كما جاء –في عقيدة عمان– في كتاب كشف الغمّة: «والبراءة ممّن زعم أن ليس لله مشيئة في أعمال العباد وأنّهم عملوا خلاف ما شاء الله وهم المعتزلة والقدريّة، والبراءة ممّن زعم أن الله جبر العباد وهم الجهميّة».[4]

والكسب في اللغة: «كَسَبَهُ يَكْسِبُهُ كَسْبًا بالفتح وكِسبا بالكسر، وتكسّب واكتسب: طلب الرّزق، وأصاب واجتهد ....وفي الأساس للزّمخشري: كسب خيرا و اكتسب شرًّا قال:

يعاتبني في الدّين قومي وإنّما ديوني في أشياء تَكسبهم حمدا ،والكواسب: الجوارح».[5]

وأمّا تحليل علماء الإباضيّة لمصطلح الكسب، فقد قال الشّقصي «وحقيقة الكسب كلّ فعل وقع باستطاعة محدثة مع الفعل، فأمّا من فُعل بقدرة قديمة فهو غير مكتسب»[1]، ويشرح

---

[1]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص914.

[2]– يغلا بن زلتاف، أبو خزر، (380هـ)، من كبار علماء الإباضيّة، برع في علم الكلام وانفرد فيه بآراء، وهو من بلاد الجريد بالجنوب التونسي، درس على سليمان بن زرقون، وسحنون بن أيوب، من تلاميذه: سعيد بن زنغيل، أبو زكريا فصيل بن أبي مسور اليهراسني، قاد ثورة ضدّ جور العبيديّين، ولكنّ المعزّ الفاطمي أخمد ثورته ثمّ هرب فاستقدمه المعزّ وأعطاه الأمان، ولما رحل إلى مصر سنة 362هـ أخذه معه ليأمن جانبه ترك كتابا بعنوان " الرّد على جميع المخالفين"و لعلّه أقدم كتاب في علم الكلام بعد الدّينونة الصّافيّة. معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ج4، 1002، 1003.

[3]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص449.

[4]– البعد الحضاري عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص442.

[5]– تاج العروس، الزّبيدي، تحقيق: عبد العليم طحاوي، مطبعة حكومة بيروت، طبعة ثانية، 1407هـ/ 1987م، ج4، ص146.

السالمي ذلك فيقول: «إنّ للفعل جهتين جهة خلق أي إيجاد واختراع، وهي لله تعالى وبها تعلّقت قدرته وجهة كسب وهي للعبد وبها تعلّقت قدرته وليس فيما يفعله الحكيم قبح وإنّما القبح في أفعالنا إذا خالفت أوامره»،[2] وقريب منه تفسير الجيطالي من المغاربة إذ يقول: «ليس في إضافة الأفعال إلى العباد بالتّحرّك والسّكون ما يزيل عليه من الله الخلق والتكوين، كما أنّه ليس في تكوين الله تعالى وخلقه للأفعال على ما هي عليها ما يخرجها من أن تكون كسبا للعباد، فهي من الله خلق وجعل ومن العباد اكتساب وفعل»،[3] وشبيه باستدلال الإمام الجيطالي، ما صنعه أبو عمار عبد الكافي إثبات حقيقة ما في الكون من الجواهر والأعراض وأنّه واجب النّسبة إلى الله عزّ وجلّ خلقا وتدبيرا، وأنّ ما يضاف إلى العباد من الخير والشّر إنّما هو من قبيل الاختيار والاكتساب، ولا تعارض بين الإرادتين، ويسوق أدلّته الجدليّة في محاججة القدريّة والمعتزلة، مدافعا عن قوله الّذي نسبه إلى كلّ من الإباضيّة والمرجئة والشّيعة والخوارج.[4]

ويتلخّص قول الإباضيّة في فعل العبد كالآتي: 1-إرادة الله، 2-إرادة العبد واكتسابه، 3-العون من الله إذا كان الفعل طاعة، والخذلان من الله إذا كان الفعل معصية، 4- الخلق من الله وقت الفعل، 5- اكتساب العبد إيّاه لا قبل ولا بعد.[5]

وتفاسير الإباضيّة للكسب لم تكن كلّها على نسق السالمي في السهولة والوضوح، إذ يجنح بعضهم إلى ما يشبه التّوقّف في شرح مصطلح الكسب «كعبد الله السّدويكشي[6] ويَعُد

---

[1]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص365، وهو نفس تعريف الإمام الأشعري.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص409.

[3] - الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص312.

[4]- الموجز، لأبي عمّار عبد الكافي، ج2، ص25، 26.

[5]- الإمام إسماعيل الجيطالي، وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص312.

[6]- عبد الله بن سعيد بن أحمد بن عبد الملك السّدويكشي، أبو محمّد، (ت: 1068هـ-1658م)، من علماء الإباضيّة بجربة، تولّى زعامة مجلس العزّابة ، بعد وفاة الشّيخ سعيد التغزويسني، فصار مفتيا للنّاس، من أبرز تلاميذه، محمّد بن عمر أبو ستّة، قيل هو أوّل من لبس الطّاقية البيضاء الّتي اتّخذت من بعده رمزا لطلبة العلم ثمّ

مسألة الكسب من غوامض علم الكلام وأنّها تفضي إلى نفق ضيّق، وأنّ الكسب باعتباره عرضا يوجد مع الاستطاعة، إلا أنّ حقيقته غير معلومة، والعبارة قاصرة على تحمّل المعاني الخفيّة الّتي يحسّ بها دارس هذه القضيّة».[1]

من جهة أخرى لم يكن هذا هو الرّأيَ الوحيد في المذهب بل تفرّد أهل جبل نفوسة برأي ثان في هذه القضيّة ألا وهو القول بالجبل.

«وجبل الله الخلق يجبُلهم ويجبِلهم: خلقهم، وجبله على الشّيء: طبعه، وجُبل الإنسان على هذا الأمر أي طُبِعَ عليه، وجبلّة الشّيء طبيعته وأصله وما بُنِيَ عليه».[2]

وورد هذا المصطلح في كتاب الله في قوله تعالى : (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)[3] أي الأمم الماضين ، وبنفس المعنى قوله تعالى (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)،[4] وفي الحديث: «جُبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها»،[5] أي طبعت وهيّئت لذلك.

وأمّا في الاصطلاح فكون العباد مجبولين على أفعالهم أي أنّهم مخلوقون على أن يفعلوا ما علم الله أنّهم يفعلونه قبل أن يخلقهم لا أنّهم مجبورون عليه ولا دخل لهم فيه ولو بالاكتساب – كما تقول الجبريّة– وممّا يستدلون به قوله تعالى: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)، وقوله

انتقلت إلى ليبيا ثّم إلى واد ميزاب بالجزائر، له مؤلّفات مثل: حاشية على كتاب الدّيانات، حاشية على الجزء الأوّل من كتاب الإيضاح. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص561.

[1]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص457، 459.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، ص538.

[3]– الشّعراء 184.

[4]– يس 62.

[5]– لم نعثر على تخريجه

تعالى: (بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)[1]، فالقلوب مطبوع عليها بالكفر الذّي فعلوه واكتسبوه لا على ما قالت الجهميّة إنّهم مجبورون.[2]

ومن القائلين بهذا القول من مشائخ الجبل: أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي،[3] وتلميذه أبو يحيى[4] زكريا بن يونس الفرسطائي،[5] وأبو يحيى سليمان بن ماطوس،[6]وأبو يحيى الفرسطائي،[7] وأبو عبد الله بن أبي عمرو[8] التندميري[9]، واستقلال نفوسة برأي من الآراء في

---

[1]- النّساء 155.

[2]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص451.

[3]- موسى بن يونس الجلالمي النفوسي، أبو هارون، (حيّ بعد: 283هـ)، من جميلة بجبل نفوسة، داوم على الطّلب ثلاثين سنة، أسّس مدرسة في منزله تخرّج منها علماء أمثال: أبو يحيى زكريّا بن أبي القاسم يونس الفرسطائي، أبو حسّان عامر السّدراتي، معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص904.

[4]- زكريا بن يونس أبو القاسم الفرسطائي، أبو يحيى، (300هـ-350هـ)، من يتامى معركة مانو، سنة 283هـ، أخذ العلم عن أبي هارون الجلالمي، وأخذ عنه خلق كثير، منهم، أبو محمّد خصيب بن إبراهيم. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص337.

[5]- معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص175.

[6]- سليمان بن ماطوس الشّروسي، أبو الرّبيع، (حيّ بعد 283هـ)، من العلماء القلائل الّذين نجو من مذبحة مانو سنة 283هـ، أطنبت كتب السّير في ذكر تلاميذه منهم، أبو صالح بكر بن قاسم، وأبو موسى اليراسنيين، وغيرهم، له تآليف في أصول الدّين وفتاوى متناثرة في المصادر و المراجع. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص436.

[7]- أبو يحيى بن أبي القاسم الفرسطائي، (أواخر القرن: 3هـ)، من يتامى معركة مانو، أسلم على يده أحد ملوك إفريقيا، وله مسائل وروايات أوردها القطب أطفيّش في "ترتيب مسائل نفوسة". معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص948.

[8]- أبو عبد الله بن أبي عمرو بن أبي منصور إلياس التندميري، (حي بعد: 357هـ)، أحد شيوخ ناحية طرابلس، بليبيا، عزله مشائخ نفوسة من غير حديث ثمّ سرعان ما طالبوا منه مرّة أخرى أن يتولّى أمرهم فعاد على مضض. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص548.

[9]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص329.

مسألة كلاميّة ليس بالأمر الغريب لمدينة قال فيها الإمام ابو إسحاق أطفيش[1]: «وفي عهد الإمامة امتلأت خزائن نفوسة بمؤلّفات في سائر العلوم العقليّة والنّقليّة والرّياضيّة، ما يصحّ أن يقال إنّها كانت أغزر مادّة من الأندلس».[2]

إلّا أنّ هذا القول لم ينتشر في الأوساط الإباضية وردّ عليه المغاربة مثل: أبو عمرو السّوفي،[3] ويوسف[4] المصعبي،[5] «لكونه أقرب إلى الجبر وإن لم يقل به أصحابه بينما القائلون بالكسب أقرب إلى الاختيار[6] بل يصرّحون بكون الإنسان مخيّرا في شرحهم للكسب كما عند

---

[1]- إبراهيم بن أمحمّد بن إبراهيم بن يوسف أطفيش، أبو إسحاق، (1305هـ-1385)، عالم من بني يسجن بميزاب، أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه عن عمّه قطب الأئمّة، وعن الحاج إبراهيم زرقون، ثمّ توجّه إلى الجزائر العاصمة وتتلمذ على يد الشّيخ عبد القادر المجاوي، سافر إلى تونس فأخذ عن الشّيخ الطّاهر بن عاشور، ثمّ أُبعد إلى القاهرة فاستقرّ بها وشرع في التأليف والتّحقيق، من آثاره: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، تحقيقكتب منها: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، شامل الأصل والفرع، ومسند الرّبيع بن الحبيب. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي،ج2، ص44، 45.

[2]- كتاب الوضع، أبو زكريّا، ص3.

[3]- عثمان بن خليفة السّوفي المارغني، أبو عمرو، (ق 6) من أعلام المذهب الإباضي، أصله من بلاد سوف، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحركة العلميّة بورجلان، وبلاد الجريد وطرابلس، من تلاميذه: المعزّ بن جناو بن الفتوح، وأبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي، وهو ممّن جازت عليه سلسلة نسب الدّين، استطاع أن إعادة أهل الحامّة إلى المذهب بعد أن تولّوا عنه، من أهمّ آثاره: كتاب السّؤالات، رسالة في الفرق. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص601.

[4]- يوسف بن محمّد المصعبي المليكي، أبو يعقوب، (1079هـ-1187هـ)، ولد ببلدة المليكة بميزاب ثمّ ذهب رفقة والده إلى جربة واستقرّ بها، أخذ العلم عن مشايخها: كيحيى بن سعيد الجادوري، الشّيخ سليمان بن محمّد الباروني، ثمّ عرّج بعدها إلى تونس ثمّ إلى مصر، حيث حضر دروسا بالأزهر، ثمّ عاد إلى جربة وصار مفتي الجزيرة وكبير أهلها، وحين حصلت فتنة في الجزيرة اضطرّته إلى الخروج والمكوث بالجبل سبع سنين، له مؤلّفات منها: حاشية على كتاب "أصول الدّين" لتيبغورين بن عيسى، حاشية على "تفسير الجلالين"، فتاوى وأجوبة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، ص1031، 1032.

[5]- معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص175.

[6]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص452.

السّالمي الّذي يقول: «خيّرنا الله في فعل الخير والشّر وبيّن لنا عاقبة الأمرين»، وكذلك الشّيخ أطفيّش الّذي يقول: «الحقّ أنّ العبد مختار وهو مذهب جمهورنا الإباضية».[1]

وبمجيء الجيطالي وتأليفه للنّونيّة في القرن السّابع الهجري هُجر هذا القول واندرس وأصبح يشار إليه للذّكر فقط.[2]

وأمّا من وجهة نظر الإباضيّة إلى هذا الرأي الجديد فقد انقسموا إلى قسمين:

1-قسم رفضه لاقترابه من الجبر كالشّيخ أطفيش الذي رفض الجبل ورضي منه ما كان بمعنى «أن يفعلوا ما في علم الله تعالى».[3]

وعلى دأبه من المغاربة الإمام أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي في كتابه –السّؤالات– قوله: «ستّة أشياء مبطلة للجبر والجبل مثبتة للاختيار والكسب: الأمر والنّهي والمدح والذمّ والثّواب والعقاب»[4]،ومثله تيبغورين النفوسي[5] الذّي لم يقل بالجبل بل دافع عن الاكتساب وقال بأنّ مردّه إلى حركة البدن في شرحه لنونيّة أبي النّضر الّتي قال فيها:

---

[1]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص365، وهو نظير ما لدا المعاصرين كالشّيخ بيوض الذّي يثبت حريّة الإنسان صراحة فيقول: « إنّ الإنسان حرّ يفعل ما يريد لأنّه يحسّ من نفسه وقوع الفعل على وجه الاختيار » الفكر العقدي عند الشيخ بيوض، ص.171

72- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص 450 وهو قول جلّ المعاصرين الآن وعلى رأسهم المفتي الخليلي الّذي يقول : «و القول الفصل الّذي هدى الله إليه اهل البصائر فاعتقدوه دينا ، هو أنّ الفعل تتعلّق به قدرتان و إرادتان ، قدرة العبد و إرادته و هما متعلّقان بكسبه ، و قدرة الله و إرادته وهما اللّتان تهيئان أسباب الكسب للعبد وتخلقان له الفعل، عندما يريد اكتسابه، سواء كان حقّا أم باطلا» الإمام نور الدّين السّالمي وآراؤه في الإلهيات، مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، ص226.

[3]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقدية، مصطفى وينتن، ص367 .

[4]- آراء الجيطالي العقدية، خضير بن بكير بابا واعمر، ص330.

[5]- تيبغورين بن عيسى بن داود الملشوطي، (النّصف الأوّل ق:6هـ)، سكن آجلو، وأخذ علمه عن أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي، وممّن تخرّج على يديه عائشة بنت معاذ، من تآليفه: كتاب "أصول الدّين" المشهور

فأفعالنا خلق من الله كلّها ومنّا اكتساب بتحرّك البدن.[1]

2- قسم دافع عنها ولم يتبنّها كالجيطالي في نونيّته واعتبر القول بالجبل قولا صحيحا على شريطة أن لا يُذهب في معنى الجبل إلى أنّه الجبر والاضطرار، لكنّه في الأخير واكب التيّار العامّ للمذهب القائل بالكسب، وأثبت أنّ صدور الأفعال على وجهين كما مرّ في شرحه لهذا المصطلح.[2]

إنّ اقتحام علماء الإباضيّة للجج هذا الموضوع شرحا وتحليلا ومدافعة عن آرائهم لا يعني أنّهم قد توصّلوا إلى إجابات نهائيّة فيه، لأنّ الاستدلال على هذا الموضوع الغيبي يسلك فيه الباحث غالبا طريقين: طريقة النّصوص، أو طريقة الإحساس الذّاتي والحدس والدّاخلي، فأمّا طريق النّصوص فجلّها ظنّي الدّلالة لا يفيد بنفسه غالبا بل بإشارات قابعة بين ثنيا الآيات والأحاديث، وأمّا طريق النّفس وحدسها لما يصدر عنها ثمّ الحكم عليه بالتّخيير أو التسيير فسبيل نسبي مختلف فيه باختلاف مكامن النّفوس والناس، ولذلك يكون التّسليم لله في هذه المسألة بأنّه العدل الّذي لا يظلم أنجع مخرج لهذه المعضلة، وهذا ما حدا بالسّالمي –مثلا– أن يُنهيَ تأصيله لهذه المسألة بقوله: «وحاصله أنّ الله تعالى خيّرنا في فعل الخير والشرّ، وبيّن لنا عاقبة الأمرين (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً...)[3]الآية، وجعل لنا قدرة على اكتساب أيّهما شئنا لا على خلقه فإنّه هو الّذي يخلقه فينا حال اكتسابنا له، وبهذا التّخيير وهذا الاكتساب ارتفع الاتّصاف بالجبر فلا نقول إنّه مجبِر لنا على فعلنا وفوق ما ذكرنا إنّا **قد أُمرنا بالكفّ عنه وترك الخوض فيه** (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

بعقيدة تيبغورين، "الأدلّة والبيان"، وينسب إليه كتاب "الجهالات". معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص208، 209.

[1]- مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بيير كوبرلي، ص114.

[2]- آراء الجيطالي العقدية، خضير بن بكير بابا واعمر، ص329، 330.

[3]- الكهف 29.

يُسْأَلُونَ)،[1] وتفويض معرفة فعل العبد للخالق عزّ وجلّ يظهر كذلك في كلام الشّيخ أطفيش جليّا أكثر حين تفسيره لقوله تعالى (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)،[2] إذ يقول: «ننتهي إلى هذه الآية، ونسلّم الأمر، وذلك أن نعتقد أنّا غير مجبرين ولا مطبوعين على أفعالنا وتروكنا ....فما بقي إلا أن نسلّم أنّ الله لا يُسأل عمّا يفعل، ولو لم ندرك ذلك».[3]

والخلاف في هذه المسألة –والله أعلم– يرجع أغلبه إلى تعابير الأئمّة وكيفيّة اختيار ألفاظهم للدّلالة على المقصود لا إلى عين القضيّة، إذ أنّهم يتّفقون جميعا على أنّ العبد محاسب على ما يصدر منه من أفعال حال الاختيار، وأن الله ليس بظلّام للعبيد، وأن (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)،[4] فبقي في إزالة اللبس والإفهام، تحديد الخطّ الفاصل بين إرادة الله وإرادة العبد، وكشف كلّ من البدايتين والنّهايتين فمن العلماء من يؤكّد حريّة الإنسان فتكون نبرته أقرب إلى الطّرح المعتزلي وهذا الّذي استقاه أحد الباحثين من الإمام أبي عبد الله السدويكشي وقوله: «لا يقال إنّه ثبت بالبرهان أنّ الله وحده خالق الأفعال»، كما يلاحظ أنّ عنده توجّها إلى إعادة النّظر في تأكيد أنّ الله خالق القبيح، أمّا من يميل إلى التأكيد على إرادة الله وعلمه كالثميني فتجد في لغته ميلا إلى الجبر إذ يقول في شرح النّور: «قدرة الطّاعة في الإنسان يبعثها الله فيمن يشاء وكذلك هو الّذي يخلق القدرة على المعصية في من يخذله ويقصيه».[5]

---

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص425، الأنبياء 23.

[2]– الأنبياء 23.

[3]– آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، ص381.

[4]– البقرة 256.

[5]– مدخل إلى دراسة الإباضية و عقيدتها، بيير كوبرلي، ص370، 373.

المبحث الثالث: قدم الصّفات الفعليّة:

يعرّف الإباضيّة الصّفات –منسوبة إلى المولى عزّ وجلّ– بكونها أمورا اعتباريّة أي معان لا حقيقة لها في الخارج ، وإنّما وصف الله بها تعالى نفسه ليعلّمنا أنّ أضداد تلك الصّفات منتفية عنه تعالى.[1]

وقد قسّم الإباضيّة صفات الباري عزّ وجلّ إلى أقسام ثلاثة: إمّا ذاتيّة وفعليّة، وإمّا ذاتية وفعليّة وذاتيّة باعتبار وفعليّة باعتبار، أو إلى صفات جائزة ومستحيلة وواجبة،[2]وصفات الذّات عند الإباضيّة هي عين الذّات ليست بزائدة عنها، وإن كان الورجلاني يغيّر من المصطلح السّائد قليلا فيقول: «أما قولهم في علم الله أنّه الله أو غيره، فإنّ بعض أصحابنا يطلقون على صفات الله أن نقول هي: هو فتقول، علم الله هو الله لا غيره، وقدرة الله هي الله لا غيره، والأحسن عندي أن تقول: ليس هناك شيء غير الله».[3]

وأمّا صفات الأفعال فهي مدلولات المصادر الواقع منها الاشتقاق أو هي المعاني الحقيقيّة القائمة بالمخلوق الّتي اتّصف الله تعالى بما اشتقّ منها كالخالق والرّازق والمحيي والمميت،[4] والفرق بين صفات الذّات وصفات الفعل أنّ «صفات الفعل تداخل ضدّها في الوجود عند اختلاف المحلّ كأن يوسع في رزق زيد ويضيّق من رزق عمرو، وأن يرزق العلم عمرو ويخلق الجهل لزيد وأن يعطي فلانا كذا ويمنع فلانا كذا، وصفات الذّات كالعلم والقدرة والإرادة لا تجامع ضدّها في الوجود، ولو اختلف المحلّ فلا يقال علم الله كذا وجهل كذا، ولا قدر على كذا وعجز عن كذا

---

[1] – البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص229.

[2] – الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص284، وهناك من الإباضيّة من تبنّى تقسيم الأشاعرة للصّفات –القسمة الرّباعيّة– كالإمام عبد العزيز الثميني. مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بيير كوبرلي، ص283.

[3] – الدليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص56.

[4] – البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص245.

ولا أراد كذا وأُكره على كذا،[1] وإلى هنا، جملة ما ذكرناه لم يختلف عليه السّادة الإباضيّة، و إنّما وقع خلافهم في صفات الأفعال من حيث قِدمُها وحدوثها.

فذهب جمهور إباضيّة المشرق إلى القول بحدوثها، وفي ذلك يقول الشّقصي الرّستاقي: «ولا يجوز أن يقال لم يزل الله بارئا ومصوّرا ورازقا، وما كان من صفات الأفعال لأنّ ذلك يوجب قدم الفعل في الأزل والله تعالى، لم يزل ولا شيء معه»،[2] فيم ذهب إباضيّة المغرب إلى كونها قديمة كما عند الورجلاني وغيره،[3] ويشرح الإمام السّالمي –مع تبنّيه لرأي المشارقة– هذه القضيّة قائلا: «وصفات الفعل تُنفَى عن الله في الأزل فتقول: كان ولم يرض، ولم يسخط ولم يُحب ولم يُبغض، ولم يخلق ولم يرزق ولم يرحم ولم يُعذّب وهكذا، وصفات الذّات لا تُنفى عنه في الأزل فلا تقول كان الله ولم يعلم ولم يقدر ولم يُرِد وهكذا، قال البدر الثلاثي[4]: هذا ما يؤخذ من كلام المشارقة وهو يدلّ على أنّ صفات الأفعال حادثة عندهم، والّذي عليه المغاربة إنّ صفات الله كلّها قديمة أزليّة، لأنّه يُقال الله تعالى خالق في الأزل على معنى سيخلق، ورازق في الأزل على معنى سيرزق، وهكذا كما مرّ، وأنّ الفرق بين صفة الذّات وصفة الفعل عندهم أن يقال في صفة الذّات لم يزل الله عالما بما كان قبل أن يكون ولم يزل قادرا على إيجاد ما سيوجد قبل أن يوجد ولم يزل مريد الوجود ما علم الله أن سيوجد قبل أن يوجد، وهكذا وصفة الفعل لم يزل خالقا على معنى سيخلق، ولم يزل رازقا على معنى سيرزق، وهكذا قال يقول السّالمي: «وحاصِله أنّ صفة

---

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص231.

[2]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الشّقصي، ص348.

[3]– الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص195.

[4]– عمرو بن رمضان التّلاتي، أبو حفص، (ت: 1187هـ)، ولد في جربة، وأخذ العلم في البداية عن أبي الرّبيع الحيلاتي، ثمّ انتقل إلى مصر حيث استقرّ في القاهرة، ودرس في المدرسة الإباضيّة بجامع ابن طولون، كما كان يلقي دروسا في الأزهر الشّريف، كان آية في جميع العلوم من المعقول والمنقول، من تلاميذه: علي بن يوسف المصعبي، ورمضان بن أحمد الغول الجربي، وله العديد من المؤلّفات: اللآلئ الميمونيّة على المنظومة النّونيّة، نخبة المتين من أصول تيبغورين، الأوهار الرّياضيّة على المنظومة الرّائيّة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص664.

الذّات هي الّتي اتّصف بها تعالى بالفعل في الأزل وصفة الفعل هي الّتي لم يتّصف بها بالفعل فيه، و إنّما يتّصف بها فيما لا يزال وهو راجع إلى القول بحدوثها كما يدلّ عليه قول المشارقة عفى الله عنهم أجمعين».[1]

إلّا أنّ الورجلاني يطيل في الاحتجاج لقول المغاربة بسوقه للأدلّة لغويّة، فيقول: «والأسماء على ثلاثة أقسام، إخبار عن الذّات أنّها تصلح لأن يصدر منها الفعل: كقولنا مهر سابق وهو في أوّل أيّام الولادة، وأمّا إذا شرع في أوّل أفعاله: كرجل حاجّ لمن ينويه أو اشتغل به، والتّسمية به لمن درج وذهب كما تقول: فلان صالح أو كافر هذا كلّه بعد موته، أمّا بالمعنى الأوّل فيجوز على خالقنا أنّه خالق بمعنى سيخلق أي يصلح أن يصدر منه الخلق والتّسمية فعل المسمّين والفعل لا يكون في الأزل».[2]

ونلحظ في استدلال أبي عمّار لهذه المسألة إعادة لما ذكره قرينه من قبل فيها، ولكن بتغيير الأمثلة، منسوبة إلى المولى عزّ وجلّ من الآيات والأسماء الحسنى.[3]

ويسوق الورجلاني كذلك أدلّة عقليّة في القول بقدمها، لأنّ القول بحدوثها يؤول إلى نفي علمه السّابق بالحوادث وهو قول أبي عمّار عبد الكافي، وأمّا المشارقة وانضمّ إليهم علماء نفوسة باستثناء تيبغورين، فقالوا ضدّها جائز الوقوع، إذن هي حادثة الزّمن،[4] ولذلك رفضوا أن يُقال – كان الله ولا شيء– لدلالتها على قدم صفات الأفعال، بيد أنّ الإباضية من أهل المغرب ارتضوا ذلك لقدم صفات الأفعال عندهم دون متعلّقاتها،[5] وكذلك لقوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ)،[1] وهو لم يمت بعد، وقوله تعالى(واللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)،[2] وخلقه لم يتمّ بعد.[3]

---

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص232.

[2]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص24.

[3]– الموجز، أبو عمّار عبد الكافي، ج2، ص193، 194، 195.

[4]– مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بيير كوبرلي، ص288.

[5]– معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص30.

ويقيّد أبو مهدي جواز إطلاق القول بأنّ الله لم يزل خالقا ورازقا ومنشئا بأحد ثلاثة قيود: 1-أن يوصل الكلام بما بعده فيقال: لم يزل خالقا لمخلوق سيكون، ورازقا لمرزوق سيكون، 2-أن يُراد به القدرة على الإيجاد، 3-أن يراد به الفائدة من اسم الفاعل ومعناه لأن يصلح للحال والاستقبال.[4]

ولعلّ من أقدم المصادر الّتي تشير إشارات خفيّة إلى هذا الموضوع رسالة الإمام أبي اليقظان محمّد بن أفلح بن عبد الوهّاب (241هـ– 281هـ)، الّتي صنّفها في خلق القرآن وفيها إيماء إلى حدوث صفات الأفعال إذ يقول ونصّه عند البرّادي: «جائز أن يقال: متى كلّم الله موسى، ولِم كلّم الله موسى، ولا يجوز أن يقال: لم قدِر الله على موسى، ولا متى قدر الله، ولا يجوز أن يقال لم يزل يكلّمه كما يجوز أن يقال: لم يزل يعلمه ويقدر عليه، ويجوز أن يقال لِم رضِي الله على نبيّه ولِمَ غضب على أعدائه».[5]

وجدير بالذّكر التنبيه على أنّ هذا الخلاف قد ولّد بعض عبارات التعنيف على شاكلة ما قاله يونس بن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور[6]: «من قال لا يجوز على الله أن يكون خالق ولا رازق في الأزل فهو كافر منافق»،[7] وأوضح منه ما أورده الورجلاني مطوّلا: «فالعجب كلّ العجب من هؤلاء القوم الّذين قصروا إلههم عن ذروة الجلال إلى حضيض السفال، ونحلوا

---

[1]- الزّمر 30.

[2]- الزّمر 62.

[3]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص150.

[4]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص246.

[5]- مدخل إلى دراسة الإباضيّة و عقيدتها، بيير كوبرلي، ص289.

[6]- يونس بن فصيل أبو زكريا بن أبي مسور يسجا يوجين اليهراسني، أبو القاسم، (ق 5هـ)، من علماء جربة العاملين، له أخبار مأثورة في كلّ فن، تلقّى العلوم على يد والده ثمّ أرسله إلى أبي عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي، وحين ارتوى علما جلس للتّدريس بجربة، تولّى رئاسة حلقة العزابة، من أبرز تلاميذه: أبو الرّبيع المزّاتي. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج4، 1043.

[7]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص150.

أنفسهم ذروة الكمال ولحظوها بعين الإجلال والجمال، إذ زعموا أنّهم متّسمون بأسمائهم، قبل وجود أعيانهم، وقبل وجود أفضالهم الّتي استحقّوا بها أسمائهم، ولم يطلقوا على مولاهم أن يتسمّى بشيء حتّى تقع منه الأفعال، ويصدر منه الخلق، اللّهم إلّا إن زعموا أنّهم ليسوا بالمسلمين الّذين أخبر الله عنهم على لسان الخليل: أنّهم سيكونون في هذه الأمّة فحسبهم جهلا وخيبة».[1]

على أنّ الباحثين مختلفون في ماهيّة هذا الخلاف، حيث يذهب بعضهم إلى كونه خلافا معنويّا معتبرا لا لفظي لأنّ المغاربة يقولون بقدم الصّفة لا قدم المتعلّق، وأمّا المشارقة فيقولون بحدوثها – أي الصّفة– باعتبار متعلّقاتها إذ يلزم من حدوث المكوّن حدوث التّكوين،[2]بينما يرى بعضهم كالجعبيري أنّ الخلاف لا يعدو حدود اللّفظ لأنّ المفهوم من كلام الفريقين أنّ صفات الأفعال محدثة.[3]

ولعّل القول بكون الخلاف لفظيّا أقرب إلى الصّواب لأنّ الفريق القائل بقدم صفات الأفعال يريد بذلك الصفّة لا الموصوف وهو الاستلزام الذّي لأجله رفض المشارقة القول به، ويمكن القول أنّ إطلاق القدم على صفات الأفعال إطلاق مجازي لا حقيقي كما فسّروه هم أنفسهم بإرادة القول لم يزل خالقا على معنى سيخلق وذلك في العربيّة سائغ لا إشكال فيه كما مرّ مع الدّليل اللّغوي عند الورجلاني.

[1]– الدّليل و البرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص25.

[2]– الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص151.

[3]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص248.

ولعلّ الاهتمام بالتّحلي بصفات الله تعالى واستفراغ الوسع في شرحها التربوي وكيفيّة صياغتها سلوكا للفرد أهمّ وأجدر بكثير من الغوص في هذه الإشكالات الخفيّة الّتي كان بالإمكان تجاهل الحديث عنها لعدم ثبوت أهميّتها حضاريّا وروحانيّا.[1]

المبحث الرّابع: الرّضا والسّخط:

تعدّ هذه المسألة قضّية فرعيّة مندرجة ضمن مبحث الصّفات، وقد مرّ سابقا تحرير مذهب الإباضيّة في الصّفات بنوعيها: الذّاتيّة والفعليّة، وكما اختلف الإباضيّة في صفة الكلام الّتي أدرجها بعضهم ضمن صفة العلم والخلق، بينما عدّها الآخرون صفة ذات الّتي يُراد بها نفي الخرس عنه تعالى، حصل مثيل هذا الخلاف في ما يسمّى بصفتيّ الرّضا والسّخط أو الولاية والعداوة، والنزّاع الكلامي بين اعتبارها صفة ذات أو صفة فعل.

والرّضا في اللّغة: ضدّ السّخط، وهو من صفات القلب، ويثنّى على رِضَيَانٌ ورِضَوَانٌ، ويقال رضيت عنه وعليه قال القحيف العقيلي:

إذا رضيت عليّ بنوا قشير لعـــمر الله أعجبـني رضاها

ولا تنبو سيوف بني قشير ولا تمضي الأسنّة في صفاها

واستعمل على بمعنى عن لأنّها إذا رضيت عنه أقبلت عليه، الرَّضِيُّ: المطيع.[2]

أمّا السّخَطُ: سَخِطَ يَسْخَطُ سَخَطًا، سَخِطَ الشّيء إذا كرهه وسَخِطَ أي غضب، وأسخطه: أغضبه، والسُّخْطُ: الكراهيّة للشّيء وعدم الرّضا عنه.[3]

---

[1]- يقول الجعبيري : « وكم وددنا لو ألحت نصوص العقيدة عند الإباضية و غيرهم على قيمة التحلّي بأسماء الله الحسنى عوض الغوص في متاهات لا طائل من ورائها ، مثل علاقة الاسم بالمسمّى و ما تولّد عنها من تنافر داخل الإباضية ». البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص768.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ص1664.

[3]- م، ن، ابن منظور، ص1964.

وجدير بالذّكر أن عبارات الأئمة الإباضيّة والباحثين بعدهم قد اعتراها بعض التّضارب في نسبة الآراء إلى أصحابها، فالإمام أبو عمار عبد الكافي يرى «أنّ الإباضية يعتبرون: الرّضا والولاية والسّخط والغضب من صفات ذات لأنّ الذّات الإلهيّة لا يتطرّق إليها التغيّر ولا التّحوّل ولا تتّصف بالحوادث».[1]

بينما يجنح بعض الباحثين إلى إدراج الرّضا ضمن صفات الفعل هو قول أهل الجبل والمشارقة، وأهل المغرب يرونه صفة ذات[2] وأنّ السّخط صفة لله تعالى تعني عدم الرّضا، وعدم قبول العمل وردّه وذهب أهل الجبل والمشارقة إلى اعتبارها صفة فعل، ويرى المغاربة كونها صفة ذات لأنّ الله وصف نفسه بالسّخط منذ الأزل (فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)[3]».[4]

وترى إحدى الباحثات أنّ خلاف الإمام الورجلاني واقع مع جمهور الإباضيّة من المشارقة والنفوسيّين فتقول: «يعتبر الإمام أبو يعقوب الرّضا والسّخط من صفات الذّات أي أنّه راض وله رضا غير أنّ إباضية المشرق وأهل الجبل اعتبروهما من صفات الأفعال».[5]

وبالرّجوع إلى كلام الإمام الورجلاني نفسه، نستشفّ من كلامه إشعارا بمخالفته للسّائد من عصره على الأقل –حتّى لا ندخل في تعميم لا دليل عليه– من خلال استعماله لعبارات تدلّ على ذلك مثل قوله: «وأمّا من استثقل من أصحابنا أن يكون الكره صفة، فإنما يقع الاستكراه على الكره والكراهة والاستكراه، والّذي عندي أنّ الكره من صفات الذّات والله المستعان».[6]

---

[1]– البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري، ص240.

[2]– معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص430.

[3]– البقرة 98.

[4]– معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص471.

[5]– الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، ص192.

[6]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص21.

وبسبق الإمام الورجلاني إلى طرح هذه المسألة نراه يذهب إلى اعتبار كلٍّ من الرّضا والسّخط صفتا ذات يراد بهما نفي الاستكراه عنه تعالى وأنّهما ثابتان أزلا لا يتغيّران ويستدلّ لما ذهب إليه قائلا: «فإن قال قائل، ما الدّليل على ما قلتم في الرّضى والسّخط والحبّ والبغض والولاية والعداوة: أنّها صفات الله تعالى في ذاته؟ قلنا: ... من كون الحيّ مرتبطا بصفاته الّتي لا تنفكّ عنه غالبا، وهي العلم والقدرة والإرادة والرّضى والحبّ والولاية، فلن يصحّ من موجود إذا كان حيا إلا أن يكون عالما، ومن العالم إلا أن يكون قادرا، ومن قادر إلا أن يكون مريدا مكرها، ومن مريد مكره إلا أن يكون راضيا ساخطا، ومن راض ساخط إلا أن يكون محبّا مبغضا .... وإن خرمت الرّضى والسّخط، خرم ما ورائه من القدرة والعلم والفعل والخلق، وأمّا من استثقل من أصحابنا أن يكون الكره صفة، فإنما يقع الاستكراه على الكره والكراهة والاستكراه، والّذي عندي أنّ الكره من صفات الذّات والله المستعان، فكلّ ما كان لنا صفة نفسانيّة كان لله صفة ذاتية وقد أجمعت الأمّة على أنّ الرّضى صفة الرّاضي والسّخط صفة السّاخط منّا، وإخواننا كذلك.[1]

والرّضى والسّخط وإخوتهما فإنّهما صفات لله تعالى، وإنّما الجنّة والنار والثّواب والعقاب ثمرتهما، كما أنّ الإرادة ثمرتها وقوع الأفعال، والقدرة ثمرتها وقوع المقدور والعلم ثمرته وقوع المعلوم.[2]

ومن جهة الشّرع قول الحقّ جلّ في علا ﴿نَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ{7} جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ{8}﴾،[3] وقال ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[1] وقال ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.[2]

---

[1]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص21.

[2]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص21، 22.

[3]- سورة البيّنة.

وقال في السّخط والكراهية والعداوة: (أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)،[3] وقال (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)،[4] وقال(كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ)،[5] وليس في العقليات ما يبطله، ولا ورد الشّرع ما يمنعه، على أنّ هذه الأمور الّتي أخبر الله تعالى بها عن نفسه، قد حصلت ووقعت وسبقت، ولم تحصل الجنّة ولا النار ولا الثّواب ولا العقاب إلى الآن، فصحّ ما قلنا إلّا إن نقول: بل هي الطّاعة أو المطيع، أو هي المعصية أو العاصي.

ونفرض بيننا وبينهم مسألة واحدة تقضي بيننا وبينهم:

يقال في محمّد صلوات الله عليه وسلامه: أتقولون قد رضي الله عنه في زمان آدم صلوات الله عليه وأحبّه ووالاه؟.

فإن قالوا: نعم كان ما قلنا إنها صفات ربّنا ذاتية، لا أفعاله المحدثة.

أو يقولون: لم يرض عنه حتّى وُجِد بعينه، ولا أحبّه ولا والاه إلا بعد الوجود، أكذبهم الوجود ولزمتهم شناعة قبيحة، وكذلك يلزمهم بعد فقده وموته أنّه لم يرض عنه ولم يحبّه ولم يواله ليوم النّشور.

ومسألة أبي جهل كذلك وفرعون وقارون وهامان وأشياعهم كذلك، ولسنا نطيل عليهم بل نقطع أنّ الله تعالى رضي عن محمّد وآله وأحبّه ووالاه عند آدم صلوات الله عليه وعن الخليل والكليم والرّوح المسيح صلوات الله عليه».[6]

---

[1]- الفتح 18.

[2]- البقرة 222.

[3]- المائدة 80.

[4]- محمّد 28.

[5]- التوبة 46.

[6]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص22، 23.

وربّما على قوّة هذا الاستدلال العقلي إلاّ أنّ قوله «ما كان لنا صفة نفسانيّة كان لله صفة ذاتية»،[1] قول فيه بعض الإشكال لدخوله ضمن قياس الغائب على الشّاهد وللفرق الجلي بين صفات الخالق والمخلوق وهو قياس لا يصحّ أصلا كما قال السّالمي.[2]

وذهب الشّيخ أطفيش إلى خلاف ما ذهب إليه الورجلاني قائلا بأنّ «رضا الله عن الملائكة صفة فعل لا صفة ذات»،[3] لكنّه يقرّر في موضع آخر بأنّ «ولاية الله وعداوته لعباده، رضاه وسخطه بمعنى نفس تعذيبه وتنعيمه أو علمه بما يستوجبون من الثّواب والعقاب أو إعداد الثّواب والعقاب أو التّوفيق للطّاعة وعدمه وهو الخذلان، ولا تتقلّبان»،[4] فعلّله هنا كان في معرض عرض لأقوال الإباضيّة فقط، دون ترجيح، ويجنح الإمام أبو عمّار عبد الكافي في هذه المسألة إلى أنّ «ولاية الله تعالى وعداوته، وحبّه وبغضه، وسخطه ورضاه، إنّما ذلك من الله للعلم على ما العباد له فاعلون، وإليه صائرون»،[5] فالفارق بينه وبين القول الأوّل أنّه عدّ ما اعتبره الورجلاني صفة ذات ضمن صفة العلم، بمعنى علم من يستحقّ العقاب من غيره، وهذه الصّفة لا تتغيّر في حقّه تعالى إجماعا.

ومن الغريب أنّ بعض كتب التّاريخ تحيل ظهور هذه المسألة في علم الكلام الإباضي إلى عوامل خارجيّة كانت السّبب في التّأثّر والتأثير كما ذكر الدرجيني أنّ لأبي محمّد عبد الله بن محمّد اللّوّاتي[6] خطبة يقول فيها: «واحذروا كثرة مجالسة المخالفين ففي ذلك أثر مشهور عند

---

[1]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص21.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص235.

[3]- الذّهب الخالص المنوّ بالعلم القالص، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص35.

[4]- الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص72.

[5]- الموجز، أبو عمّار عبد الكافي، ج2، ص197

[6]- عبد الله بن محمّد اللّواتي العاصمي، أبو محمّد، (ت: 525هـ)، عالم جليل من المشايخ الأخيار ببلاد أريغ، لما بلغ 18 سنة هاجر إلى آجلو، تتلمذ على يد: أبو الرّبيع المزّاتي، وأبو محمّد ماكسن بن الخير، أبو سليمان داود بن أبي يوسف، اشتغل زراعة، ذكر له الدّرجيني رسالة في المواعظ، من أهمّ تلاميذه: أبو الرّبيع سليمان بن عبد السّلام

المسلمين، كالّذي يُروى عن أبي نوح وأبي خزر، وتجنّبوا مخالطتهم والميل إليهم وكثرة مطالعة كتبهم وحذّروا من ذلك سواكم، ألا ترون أنّ مسألة السّخط والرّضا قد وقعت عند من وقعت من أهل الدّعوة من كتاب أحمد بن الحسين الضّليل، فرسخت في قلوبهم ودانوا بها فضلّوا وأضلّوا»،[1] على أنّ بعض الرّوايات الأخرى تذكر من وقع له تأثّر بهذه المسألة ونصها «وانتقل ابن أبي وزجون من مزاته إلى طرابلس، وفيها سُئل عن السّخط والرّضا فقال: إنّها صفات لله، فعيب منه هذا الجواب وطُرد، وسافر إلى المشرق إلى الحجّ»،[2] وفي هذا حجّة لمن اعتبر أنّ القول بكون كلٍّ صفتي الرضا والسّخط صفتا فعل هو المشهور من المذهب.

ونُسِب إلى النّكّار أنّهم يقولون بأنّ ولاية الله وعداوته تتقلّبان وهو مستمدّ من اليهود القائلين بأنّ الله تبدو له البدوّات.[3]

وعلى العموم يمكن الجمع بين الرأيين بالقول بأنّ ولاية الله تعالى وعدواته راجعان إلى علمه بخاتمة كلٍّ منهم ومآله في الآخرة وعليه فهما صفة ذات، وإذا أُريد بهما توفيق الصّالحين وخذلان المجرمين فهو صفة فعل،[4] وهذا مندرج ضمن تقسيم الصّفات إلى صّفات الذّاتيّة باعتبار وفعليّة باعتبار، كالحكيم الّذي هو بمعنى نفي العبث عنه تعالى وهو صفة ذات وبمعنى واضع الأشياء في موضعها اللّائقة بها وهو صفة فعل، وكالسّميع الّذي هو بمعنى نفي الصّمم وهو صفة ذات، وبمعنى قابل الدّعوة وهو صفة فعل ولطيف بمعنى عالم وهو صفة ذات وبمعنى رحيم وهو صفة فعل،[5]

الوسياني، له ديوان وترك من الأبناء أحمد، ويوسف، وإبراهيم. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص569.

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني، ص296.

[2]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدّرجيني، ص189.

[3]- كتاب الوضع، أبي زكريا بن أبي الخير الجنّاوني، ص22.

[4]- شرح غاية المراد، أحمد بن حمد الخليلي، ص130.

[5]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص232، 233.

وهذا القول أرجح في نظرنا لجمعه بين الرأيين من غير تكلّف، على أنّ هذه القضيّة لا تعدّ من المهمّات ولذلك تسامح بعض الإباضيّة في الخلاف فيها وفي ذلك يعذر الورجلاني المخالفين في هذه المسألة فيقول: «وكذلك القول في الرّضى والسّخط والحبّ والبغض، والولاية والعداوة، واعتقادنا أنّ هذه المعاني صفات الباري سبحانه، واعتقادهم أنّها أفعال، فكلّ له معنى».[1]

[1]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص112.

الفصل الرّابع:

المسائل الخلافيّة في السّمعيّات

المبحث الأوّل: أصحاب الأعراف:

ليس هذا المبحث لعرض آراء المفسّرين في معنى قوله تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ {46} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{47} وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ{48} أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ{49}),[1] وإنّما ينصرف بشكل أوّلي إلى مسألتي الإيمان والوعد والوعيد، وذلك أنّ المصّر على المعصية عند الإباضيّة الّذي لا ينوي التوبة منها مصير حسناته أن تحبط، أي لا يقبل الله له أي عمل صالح حتى يتوب من كبيرته[2] ويستدلّون على ذلك بأنّ الإصرار ينافي التّقوى الّذي هو شرط لقبول العمل والله يقول في كتابه العزيز (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)،[3] ويقول تعالى في شأن هؤلاء: (وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)،[4] وقال تعالى: (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ)،[5] ومن هذا الباب رفض الإباضيّة ما يسمّى بالميزان يوم القيامة، لأنّه لا اجتماع بين الحسنات والسيّئات في صحيفة المؤمن، فإمّا أن يتوب من سيّء عمله، وبذلك تمحى عنه السيّئات، وإمّا أن يصرّ وينوي البقاء على ما هو فيه من الإثم، فتحبط حسناته كلّها.[6]

---

[1]- الأعراف.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص561.

[3]- المائدة 25.

[4]- آل عمران 135.

[5]- النّساء 17.

[6]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، ص 433.

ومعنى الإحباط في اللّغة: «من حَبَطَ: من آثار الجرح، حَبِطَ الجرح إذا نكس وعُرِبَ، قال الجوهري: الحَبَطُ أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها وحَبِطَت الشّاة بالكسر انتفخ بطنها عن أكل الذّرق، وفي الحديث: "إنّ ممّا ينبت الرّبيع ما يقتل حبطا أو يلم"،[1] وذلك الدّاء الحُبَاطُ»[2]

أمّا في الاصطلاح فيعرّف الإحباط بكونه: بطلان الثّواب المترتّب عن العمل بسبب مفارقة الدّين، أو الموت على كبيرة من كبائر الذّنوب دون توبة، أو الإصرار على صغائر المعاصي والعزم على عدم مفارقتها، ودليله من الكتاب قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)،[3] واستدلّ له من الحديث قول عائشة:«أبلغي زيدا أنّه أبطل حجّه و جهاده مع رسول الله ﷺ»[4] مع شبه الاتّفاق أنّ الصغائر مكفّرة باجتناب الكبائر.[5]

ومع اتّفاق الإباضيّة حول هذه الأصول إلّا أنّهم قد ورد عنهم في تفسير ماهيّة أصحاب الأعراف أقوال جعلت الباحث في هذه المسألة يصل إلى أنّ الإباضيّة اتّفقوا في الأصول واختلفوا في فروع بعضها.

والأعراف «جمع عُرْفٍ، بضمّ العين وسكون الرّاء وقد تضمّ الرّاء أيضا، وهو أعلى الشّيء ومنه سمّي عرف الفرس، الشّعر الّذي في أعلى رقبته، وعُرف الدّيك الريش الذّي في أعلى

---

[1]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الجهاد والسّير، باب فضل النّفقة في سبيل الله، رقم: 2687، رواه مسلم، الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب تخوّف ما يخرج من زهرة الدّنيا، رقم: 1052.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ص755.

[3]- الحجرات 2.

[4]- رواه الدّارقطني، كتاب البيوع، رقم: 211، البيهقي، السّنن، كتاب البيوع، باب الرّجل يبيع الشّيء إلى أجل ثمّ يشتريه بأقل، رقم: 10579.

[5]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص228.

رأسه،[1] وعُرْفُ الجَبَلِ: ظهره وأعاليه، والجمع: أَعْرَافٌ وعِرْفَةٌ، قال الزّجّاج: الأعراف: أعالي السّور وقال بعض المفسّرين الأعراف هي أعالي سور بين أهل الجنّة وأهل النّار».[2]

ويلخّص عمرو بن جميع[3] في عقيدته أقوال الإباضيّة في ذلك فيقول: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ)[4] قيل: هم الملائكة وقيل هم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم وقيل قوم فيهم عُجب، وقيل قوم أدانوا دَيْنًا من غير إسراف وقيل قوم خرجوا إلى الجهاد من غير إذن آبائهم»،[5] وينسب الورجلاني القول باستواء الحسنات والسيّئات إلى الإمام ضمام بن السّائب.[6]

ويظهر من الورجلاني أنّه استروح إلى هذا القول بعد أن نسبه لجمهور الفقهاء فقال: « وجلّ الفقهاء يقولون: أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، وقال ذلك ضُمام السّائب رضي الله عنه، وقال: هم قوم معجبون بأنفسهم».[7]

بل وأبدى كذلك ما يدلّ على أنّه يميل إليه في قوله: «والنّاس يلقون في المحشر شدائد عظيمة، وتدنو منهم الشّمس قاب ذراعين على رؤوسهم يسوّدون، حتّى لا يبقى منهم من

---

[1]- التّحرير والتنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التونسيّة، 1984م، ج8، ص141.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ص2901.

[3]- عمرو بن جميع، أبو حفص، (ق7هـ)، أخذ العلم عن الشّيخ أبي العباس الدّرجيني، كان متكلّما وعالما منظورا، ومن كبار المدرّسين بجربة، قام بترجمة عقيدة التّوحيد من البربريّة إلى العربيّة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص662.

[4]- الأعراف 46.

[5]- مقدّمة التوحيد وشروحها، بدر الدّين أبو العبّاس أحمد بن سعيد الشمّاخي و أبو سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي، صححّها وعلّق عليها أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش، دط، دت. ص101.

[6]- الدّليل و البرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص56.

- ضمام السّائب، أبو عبد الله، (حي في:100هـ)، من أبرز أئمّة الإباضيّة الأوائل، من طبقة التّابعين، أصله من الأزد، أخذ العلم عن جابر بن زيد، وغيره، ذاق مرارة سجن الحجّاج عذابه مع أبي عبيدة، كانت له مناظرات مع القدريّة والخوارج، وله كتاب في موضوع القدر بعنوان: الحجّة على الخلق في معرفة الحق. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص251.

[7]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص105.

البياض إلّا نكتة في نحورهم، ثمّ يُجلى ذلك عنهم حتّى يبيضّوا، وهم أصحاب الأعراف ويدخلون الجنّة وهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم».[1]

ويُروى هذا القول كذلك عن سعيد بن خميس الرستاقي من المشارقة إذ يقول في منهاج الطّالبين: «والأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم»[2]، ويُنسب هذا القول كذلك للمشارقة وبعض المغاربة.[3]

ولكنّ الاتّجاه العامّ للمذهب يرفض هذا القول باعتباره يتعارض مع الخطوط الكبرى للعقيدة الإباضيّة وهو ما يسمّى مبدأ الإحباط –السّالف الذّكر–، وعدم اجتماع الكبائر والحسنات، ومن الرّافضين لهذا القول الشّيخ أطفيش رحمه الله الذّي يرفض هذا القول باعتبار أنّ أصحاب الأعراف هم قوم من أهل الجنّة، لأنّ السيّئات إمّا أن يتاب منها فتزول، وإمّا أن لا يتاب منها فتحبط الأعمال، وهو قول القاضي عبد الجبار[4] ويوسف المصعبي، وينقل قول مجاهد[5] "إنّهم صالحون فقهاء وعلماء وأخّرهم أمور كانت بينهم في الدنيا"،[6] وسُئِل المحقّق الخليلي عن ذلك فقال: "لعلّهم كانوا ممّن خلط عملا صالحا وآخر سيّئا من غير الكبائر الّتي هي

---

[1]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص46.

[2]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص592.

[3]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص517.

[4]– عبد الجبّار بن أحمد بن عبد الجبّار الهمذاني، (ت : 415هـ)، قاضي القضاة، كان شيخ المعتزلة في عصره، ولي القضاء في الرّي، ومات فيها، له تآليف منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، المجموع في المحيط بالتكليف، دلائل تثبيت النّبوة. الأعلام، الزّركلي، ج3، ص273.

[5]– مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج، (21هـ– 104هـ)، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسّر من أهل مكّة، قال فيه الذّهبي: شيخ القرّاء والمفسّرين، أخذ التّفسير عن ابن عباس، يقال أنّه مات وهو ساجد. الأعلام، الزّركلي، ج5، ص278.

[6]– آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقدية، مصطفى بن محمّد وينتن، ص433.

المهالك، كذلك قال صلى الله عليه وسلّم في عبد الله بن رواحة، فيحبسون في العرصات لتأخّر ذنوبهم كما ثبت في عبد الرّحمان بن عوف أنّه يدخل الجنّة حبوًا".[1]

وكذلك البدر الشمّاخي[2] في شرحه على عقيدة التوحيد يرفض القول باستواء الحسنات والسيّئات ويردّ على صاحب عقيدة التوحيد بقوله: «قلت هذه غفلة منه لأنّ من مات على التوبة استحقّ الجنّة وليس لهم منزلة السّابقين فيحبسون لقصور أعمالهم إلى أن يأذن الله لهم».[3]

وقريبا من القولين الأخيرين ذهب شيخ المفسّرين المغاربة الإمام الطّاهر بن عاشور حين رجّح في ماهيّة أصحاب الأعراف أنّهم من كان في أعمالهم ضرب من القصور أو هم الّذين لم يكونوا في مصافّ السابقين، ويقول بعد أن عرض أقوال العلماء فيها: «والّذي ينبغي تفسير الآية به أنّ الأعراف جعلها الله مكانا يوقف به من جعله الله من أهل الجنّة قبل دخولها إيّاها، وذلك ضرب من العقاب الخفيف، فجعل الدّاخلين إلى الجنّة متفاوتين في السّبق تفاوتا يعلم الله أسبابه ومقاديره وقد قال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[4]».[5]

وسبب الخلاف في هذه المسألة —والله أعلم— هو في التفريق بين المصرّ والمتمادي على فعل السّوء، ففاعل الكبيرة الّذي ينوي الانسلاخ منها والتوبة أو حدّد لتوبته أجلا معيّنا هل

---

[1]– تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان الخليلي، ص258.

[2]– أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، بدر الدّين، أبو العبّاس، (ت: 928هـ)، عالم من بلدة يفرن بجبل نفوسة، من مشايخه: أبو عفيف صالح بن نوح التّندميري، والشّيخ البيدموري، محمّد بن عبد الله السّمائلي، لا يعرف له من التّلاميذ سوى الشّيخ أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم الهواري، من أشهر مصنّفاته: سير المشايخ، إعراب القرآن الكريم، شرح عقيدة التوحيد. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص86.

[3]– مقدّمة التوحيد و شروحها، أبو العباس أحمد الشمّاخي، ص101.

[4]– الحديد 10.

[5]– التحرير والتنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، ج8، ص142.

يسمّى مصرّا؟ فالذّي عليه أقليّة من السّادة الإباضيّة أنّه لا يدخل تحت مسمّى الإصرار بل يسمّى متماديا ولا يلحقه الوعيد من إحباط الحسنات في الدنيا وخلود في دار الهلاك في الآخرة، فيستحقّ الجنّة حينها بحسب ما له من الحسنات، وهذا الّذي ذكره ضمام السّائب وذهب إليه الورجلاني استدلالا بحديث المفلس[1] وأنّه يأخذ من حسناته يوم القيامة بقدر مظلمته، وكذلك تكفير الذّنوب بالمصائب والنّوازل إذ يقول: «والطّبقة التاسعة من طبقات التّائبين: المتمادي في المعصية ومن نيّته التّوبة يوما ما من الدّهر، وفي ديانته أنّ الله لا يغفر الذّنوب إلا بالتّوبة فعالجه الأمر كعدو نزل به فقاتل حتّى قُتِل، أو داهمه عدّو، فهذا إذا لم يكن الأمر الّذي نزل به عقوبة من الله، **وإلّا فيُرجى له**، وعسى أن يكون القتل لهذا كفّارة».[2]

المبحث الثّاني: خلق الجنّة والنّار:

تعتبر مسألة خلق الجنة والنّار من المسائل الّتي لم يُعنَ بها متقدّموا الإباضيّة كما أنّ متأخّريهم لم يسلّطوا عليها الضوء كثيرا ولم يلوها كثير كلام ولا فائض شرح ولم يعظموا النّكير على مخالفيهم فيها، وذلك لأنّها من قضايا الغيب الّتي لم يقم على إثباتها دليل صحيح صريح، وإنّما هي إشارات في القرآن الكريم محتملة لكِلا المعنيين، كما أنّ القائل بواحد من الرّأيين لا يُلزِم رأيه تشبيها ولا نقصا في صفات الباري تعالى، أو هدما لركن من أركان الدّين، وقد عرّف الشّيخ أطفيّش الأصل العقديّ بقوله: «ما لا يؤثّر الخلاف فيه في التوحيد».[3]

والمفهوم من كلام علماء الإباضيّة أنّ جمهورهم يذهب إلى اعتبار كلٍّ من الجنّة والنار مخلوقتين موجودتين في الحين كما قال السّالمي: «اعلم أنّ الأمّة قد اختلفت في وجود الجنّة والنّار

---

[1]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص85.

[2]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص109.

[3]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى بن محمّد وينتن، ص476.

الآن فذهب جمهورنا والأشاعرة وبعض المعتزلة إلى أنّهما موجودان الآن»،[1] ويستدل القطب أطفيش لرأي الجمهور بأنّ الجنّة والنّار مخلوقتان موجودتان الآن، لقصّة آدم وحوّاء في الجنّة وإخراجهما فكذا النّار إذ لا قائل بالفرق، لقوله تعالى (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)،[2] (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)،[3] وأحاديث كثيرة منها الحور العين وقصصهنّ في دخول رمضان وغير ذلك ....وقال أبو هاشم[4]: قال الله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)،[5] وقال: (أُكُلُهَا دَآئِمٌ)،[6] فلو وُجِدتا لهلكتا، قُلت: تهلكان هما وما فيهما ثمّ تخلقان، وأيضا الدّوام على البدل كلّما فني شيء خلفه آخر وتدومان بعد ردّهما.[7]

ويرى السّالمي أن من أقوى الأدلّة على وجودهما الآن هو إسكان آدم وزوجه لهما ثمّ إخراجه منهما، لأنّ القول بأنّ الجنّة الّتي كانا فيها غير الجنّة الموعود بها في الآخرة تحكّم من قائله لا يسعفه عليه الدّليل.[8]

ثمّ يعدّد القائلين بالقول المخالف والّذين هم: جمهور المعتزلة، ومن الإباضيّة: أبو المؤثر[9] وأبو سهل[1] وابن أبي نبهان الّذين قالوا إنّهما غير مخلوقين الآن، وإنّما يُخلقان يوم الجزاء.[2]

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص362.

[2]- آل عمران 133.

[3]- البقرة 24.

[4]- أبو هاشم عبد السّلام بن محمّد بن عبد الوهّاب الجبّائي، من أبناء أبان مولى عثمان بن عفّان، عالم بالكلام من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، له مصنّفات في " الشّامل في الفقه"، "تذكرة العالم"، "العدّ" في أصول الفقه. الأعلام، الزّركلي، ج4، ص7.

[5]- القصص 88.

[6]- الرّعد 35.

[7]- شرح مقدّمة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيش، ص127، 129.

[8]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص362.

[9]- الصّلت بن خميس الخروصي أبو المؤثر (ت: 278)، عالم وفقيه كبير من قرية بهلا، كان كفيف البصر، أخذ العلم عن محمّد بن محبوب بن الرّحيل، له أجوبة وفتاوى تزخر بها كتب الفقه، من مؤلّفاته كتاب: الأحداث

ويعرض السّالمي أدلّة مخالفيه بأسلوب جدليّ مدافعا عن وجهة نظره مع شرحه لوجهة نظر الخصم فيقول: «واستدلّوا بقوله تعالى: (أُكُلُهَا دَآئِمٌ)،[3] بمعنى مأكولها دائم أي لا ينقطع مع قوله تعالى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)،[4] وقوله تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)،[5] قالوا: فلو كانت الجنّة مخلوقة الآن لزم فناؤها وهلاكها فلا تكون دائمة، والنّار مثلها إذ لا قائل بالفرق، وأُجيب عنه بأنّ دوام مأكولها إنّما هو على سبيل البدل بمعنى أنّه إذا فني واحد جيء بآخر، أي لا يُتصوّر دوام مأكول واحد بعينه فلا تنافي، أو نقول إنّ فناءهما أن تتفرّق أجزائهما وتبقى ذواتهما على ما هي، فتكونان فانيتين صورة باقيتين ذاتا، أو نقول إنّ كون ذاتيهما قابلتين للفناء كاف في كونهما فانيتين، فإنّ ما أمكن فيه الفناء لذاته فإنه على الحقيقة، ورفع الفناء عنه فعلا لعارض عرض عليه من خارج لا يَدفع ذلك الإمكان الذّاتي، أقول –أي السّالمي– وهذا هو الجواب لأنّ الأوّل والثّاني وإن أمكنا فهما محتاجان إلى دليل يدلّ على أنّ ذات الجنّة والنّار فانية فعلا على الأوّل وأنّ صورتهما دون ذاتهما فانية فعلا أيضا على الثّاني، وبقوله تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)،[6] قالوا: فلو كانتا موجودتين لزم تداخل الأجسام لأنّ الآية صريحة في عرض الجنّة هو عرض السّماوات والأرض، والجواب أنّ في الآية

والصّفات، تفسير آيات الأحكام. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص248.

[1]– لم يحدَّد الإمام السّالمي، اسم ولقب هذا العالم واكتفى بذكر كنيته، وقد اشترك في هذه الكنية خمسة من علماء الإباضيّة كلّهم من المغرب، وهم: إبراهيم بن سليمان(ق6هـ)، البشر بن محمّد التّندميري (ق4هـ)، أبو سهل التّندميري (قبل القرن 6هـ)، أبو سهل الفارسي (ق3هـ)، يحي بن إبراهيم الورجلاني (ق6هـ)، معجم أعلام الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص26، ص172، ص452، ص954.

[2]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص363.

[3]– الرّعد 35.

[4]– القصص 88.

[5]– الرحمان 27.

[6]– آل عمران 133.

تشبيه العرض بالعرض مع حذف أداة التشبيه، وهو من أبلغ وجوه التشبيه ويدلّ عليه التّصريح بها في آية أخرى كعرض السّماوات والأرض أيضا، فلو كان العرض عين العرض لزم قيام العرض بمحلين مختلفين، وهو باطل.[1]

ممّا يظهر جليّا في هذه المسألة الكلاميّة خلوّها من الأبعاد السلوكيّة والحضاريّة كذلك، فالتّصديق بوعد الله عزّ وجلّ بتمكين دخول الجنّة للمؤمن وحرمانها من الكافر، يكفي العقل ويغنيه عن الولوج في هذه المتاهات المتعلّقة بأمر ليس من مقدور البشر كشفه ألا وهو الغيب.

إلّا أنّه تجدر الإشارة إلى كون سبب الخلاف –والله أعلم– التّعارض الّذي ورد في النّصوص من التّكلّم عن الجنّة بصيغ الماضي ووصفها في القرآن والسنّة من جهة، مع قوله تعالى (كلّ شيء هالك إلا وجهه)، وكيفيّة التوفيق بين هذه النّصوص القطعيّة وأيّهما يحمل على الحقيقة وأيّهما على المجاز.

فطريق ارتأت التّفسير المجازيّ لأوصاف الجنّة بتأويل[2] "خلق" على معنى "سيخلق"، وأبقت آية (كلّ شيء هالك إلّا وجهه) على ظاهرها بالإفناء التّام، بينما حمل الجمهور الآية الثّانية على المجاز العقلي، فالهلاك المقصود به في الآية ليس على إطلاقه فيستثنى منه بعض الأشياء من باب قوله تعالى: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)،[3] أو تُحمل على فنائها من باب الإمكانيّة لا من باب الحقيقة. وهو الجواب الّذي رأى صوابه الإمام السّالمي قبل قليل.[4]

المبحث الثّالث: أشراط السّاعة (المهدي، الدّجّال ونزول المسيح)

---

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص363.

[2]– التّأويل: «هو إخراج اللّفظ من الدّلالة الحقيقيّة إلى الدّلالة المجازيّة، من غير أن يُخلّ ذلك بعادة لسان العرب في التّجوّز، من تسمية الشّيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء الّتي عدّدت في تعريف أصناف الكلام المجازي»، فصل المقال فيما بين الحكمة والشّريعة من اتّصال، أبو الوليد بن رشد، دار السّلام، الطّبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

[3]– الأحقاف25.

[4]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص363.

يقول تعالى: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ)،[1] ذهب المفسّرون إلى أنّ الآية تشير إلى وجود أشراط للسّاعة أي علامات وأمارات تفيد قربها وتنبئ بدنوّها بدءا من بعثة النّبي صلى الله عليه وسلّم الّتي أشار إليها القرآن في قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا{42} فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا{43})،[2] إلى علامات الساعة الكبرى والتي منها (ظهور المهدي، الدجال ونزول المسيح) إلا أنّ هذا الّذي تواطأت عليه جماهير المسلمين لم يكن محلّ اتّفاق بين علماء الإباضيّة، فقد انقسموا في موقفهم من علامات السّاعة عموما إلى ثلاثة مواقف: وسوف نتكلّم على هذه العلامات الثّلاثة بالخصوص لبروز الخلاف فيها بين السّادة الإباضيّة نفيا وإثباتا.

1-فريق أنكر أشراط السّاعة جملة وتفصيلا وأوّل المذكورة في القرآن على توقع الحصول لا على تحقّقه، وهو الشّيخ ناصر بن أبي نبهان بن خميس الخروصي، مع اتّفاق علماء الأمّة على كون علم الساعة ممّا اختصّ الله تعالى بعلمه، إلاّ أنّ الشيخ ابن أبي نبهان يرى الآيات التّي تتكلّم عن هذا الموضوع من كتاب الله تعالى تقرّر حقيقتين مهمّتين أنّ الساعة من الغيب الذّي استأثر الله تعالى بعلمه، وأنّها لا تأتي إلا بغتة، وهذا بالنّظر إلى شواهد كثيرة من القرآن مثل:

-(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ).[3]

-(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).[4]

---

[1]- محمد 18.

[2]- النّازعات.

[3]- محمّد 18.

[4]- الأعراف187.

-(أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ).[1]

-(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ).[2]

وانطلاق من تينك المقدّمتين قرّر رحمه الله أنّ القول بوجود أشراط للسّاعة تأتي مستقبلا قبيل قيام الساعة قول غير صحيح لتنافيه مع مسألة "البغتيّة"،[3] مع عدم التفريق بين الأشراط الكبرى والصغرى، وأمّا الّتي ذكرت في القرآن الكريم—من خروج ياجوج وماجوج وظهور الدّابة الّتي تكلّم النّاس— فقد حمله هذا العالم على خلاف ظاهره، لأنّه يناقض آية (لاتاتيكم إلا بغتة)، فقرّر أن الآية تحمل على معنى تقدير "لو"، أي «لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون فيكون بقاء السدّ نعمة عليهم ليشكروه».[4]

وتأويله لهذه الآية لا يختلف مع تأويله لآية الدّابة فقدّ قرّر أنّها مقدّرة بمحذوف يفهم به الكلام وأصلها «لو بعثنا عليهم دابّة تكلّمهم»،[5] لأنّ كلمة الدّابة عامة في كلّ ما يدبّ على الأرض ولا تدلّ على أنّها الّتي تظهر قبيل قيام السّاعة وإنّما أتى هذا الرّبط من الرّوايات المنسوبة إلى النّبي مثل قوله صلى الله عليه وسلّم «بادروا بالأعمال ستّا: قبل طلوع الشّمس من مغربها

---

[1]- يوسف 107.

[2]- الحج55.

[3]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص77.

[4] - الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري ص79، ويقرّر أحد الباحثين أنّ الآية لم تذكر أيّة مقاومة بين ذي القرنين وهؤلاء القوم، كما أنّ السدود لا تحجز بشرا عن بشر لاحتمال الوصول بطريق آخر، و كما أنّ البحث اللّغوي يشير إلى أنّ يأجوج و مأجوج مشتقّة من الأُجاج : الملح، أو التّأجّج: الاشتعال فتكون النّتيجة أنّ يأجوج و مأجوج قد يقصد بهم بحر أو بركان أو كلاهما. المصدر نفسه، ص80.

[5]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص81.

والدّخان ودابّة الأرض، والدجّال»،[1] وللعلم فإنّ الإمام أبا عمار عبد الكافي يوافق أبا نبهان فيما ذهب إليه من إنكار كلٍّ من نزول المسيح وخروج الدجّال وظهور المهدي، إلّا أنّه لا ينفي الأشراط المنصوصة عليها في القرآن حقيقة وفُهم ذلك من قوله حين سُئِل عن أشراط السّاعة فقال: اثنتان منصوصتان واثنتان مستخرجتان وواحدة من الحديث: فالآيتان (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ)[2] وفي عيسى (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا)[3]، والمستخرجتان طلوع الشّمس من مغربها، وخروج الدّابة، والحديث (نار تخرج من عدن تطرد النّاس إلى محشرهم وحبشيّ يعلو الكعبة بفأسه يهدمها، وخسف بجزيرة العرب)[4]

2-وقول أبي نبهان مدلّلا عليه، لم يكن موضع تأييد بين كلّ الإباضيّة بل أضحى موضع نقد خصوصا في تأويله للآيات فنجد مثلا المحقّق الخليلي يعلّق على هذا التأويل بقوله: «إنّ تقدير "لو" لا معتمد له ولا أصل لعدم الدّليل عليه، والعدول في الظّاهر لا يصحّ في التأويل إلّا لسبب يوجبه ولا دلالة على ذلك هنا من لفظ، ولا معنى فهو ليس بشيء».[5]

من جهة أخرى مال بعض علماء الإباضيّة إلى القول بإثبات بعض أشراط السّاعة ولعلّنا نبدأ بالمهدي: فقد ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: «لا تذهب -أو لا تنقضي- الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي».[6]

---

[1]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص81.

- رواه مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الفتن وأشراط السّاعة، باب بقيّة من أحاديث الدجّال، رقم: 2947.

[2]- الأنبياء96.

[3]- الزخرف61.

[4]- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس الدرجيني ،ج2، ص310، الحديث رواه مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الفتن وأشراط السّاعة، باب في الآيات الّتي تكون قبل السّاعة، رقم: 2901.

[5]- تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان الخليلي، ص274.

[6]- رواه أبو داود، السّنن، أوّل كتاب المهدي، باب، رقم: 4282.، ورواه التّرمذي، السّنن، كتاب أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، باب ما جاء في المهدي، رقم: 2331.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« المهدي مني... أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلا، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين»،[1] فذهب كلّ من الشّيخ أطفيش والورجلاني إلى إثبات المهدي كعلامة للسّاعة ثابتة فنجد الورجلاني يكثر من ذكره في كتابه الدليل والبرهان في عدّة مواضع نذكر منها: «ولابدّ من قيام المهدي في آخر الزّمان يملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا»،[2] ويقول في موضع آخر «فالحقّ في التقييد دون التقليد، والتقليد إما حق وإما باطل، فإن كان عن معصوم كان حقّا، ولا معصوم إلا المهدي وعيسى عليهم السّلام».[3]

ويصرّح كذلك فيقول: «وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أخبار المهدي أنّه يكون في آخر الزّمان، كادت أخباره أن تكون ضروريّة، وأنّه يملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت ظلما وجورا .... وقد ساغت لعمر بن الخطاب أمور كثيرة أفلا يسوغ للمهدي مثلها أو أعظم»،[4] ويقول في موضع آخر من كتابه: «وكذلك من أخبر صلى الله عليه وسلّم من أمّته ممن لم يدركه منهم وثناؤه على المهدي الّذي يكون في آخر الزّمان من ولده، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا»،[5] ومثله الشّيخ أطفيش إبان حديثه عن أصحاب الكهف يقول: «ويُقال أنّ المهدي يسلّم عليهم عند خروج ياجوج وماجوج، فيرجعون إلى أن يميتهم الله عند قيام السّاعة»،[6] وللعلم فقد جعل ابن أبي نبهان المهدي المذكور في الأحاديث مؤوّلا بمعنى العالم المحقّ من الفرقة المحقّة لا غير.[7]

---

[1]- رواه أبو داود، السّنن، أوّل كتاب المهدي، باب، رقم: 4285.

[2]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص8.

[3]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص23.

[4]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص34.

[5]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص27.

[6]- شرح عقيدة التّوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص266.

[7]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي و آراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص84.

3-أمّا الفريق الأخير فقد أثبت الأشراط جميعها خلا المهدي وبالتّحديد –الدجّال ونزول المسيح، وهم العالمان السابقان بالإضافة إلى هود بن محكم في تفسيره وعمرو بن جميع[1] والإمام الرّبيع بن الحبيب الفراهيدي الّذي روى حديثا يدلّ على ذلك في مسنده عن أبي عبيدة مسلم من طريق ابن عمر عن النّبي صلى الله عليه وسلّم قال: «أراني اللّيلة عند الكعبة، فرأيت رجلا آدمَ كأحسن ما يُرى من آدم الرّجال، له لِمّة كأحسن ما يُرى من اللّمم قد رجّلها وهي تقطر ماء، متّكئا على عواتق رجلين، يطوف بالكعبة، فسألت: من هذا فقيل لي المسيح بن مريم عليهما السّلام، ثمّ إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنّها عنبة طافية، فسألت: من هذا ؟ فقيل: المسيح الدجّال»،[2] ويذكر الورجلاني نزول المسيح في عدّة مواطن من كتابه الدليل والبرهان فيقول مثلا: «وفي نزول المسيح يكسر الصّليب ويقتل الخنزير».[3]

ومن خلال هذه الصّورة العامّة لآراء الإباضيّة حول هذا الموضوع يمكن أن نستنتج أنّ ما ذهب إليه المنكرون لأشراط السّاعة أو لمعظمها سببه ثلاث أشياء: 1-أنّها لم ترد في كتاب الله تعالى بل ثبتت بأخبار آحاديّة مفيدة للظنّ، 2-أنّها تعارض كونها لا تأتي إلّا بغتة، 3-أنّها تصادم ما أقرّه الباري عزّ وجلّ من استئثاره بعلمها وحده.[4]

كما لا يمكن أن نختم هذا الباب دون أن نعرّج على رأي الإمام السّالمي في هذا الموضوع، فقد قال في شرحه على الجامع الصّحيح إنّ الإباضيّة لا يثبتون نزول المسيح ولا يردّونه، بينما يرى في "المشارق" أنّ ما يروى في حقّ سيّدنا عيسى عليه السّلام لم يثبت عند الإباضيّة.[5]

---

[1]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص991.

[2]- كتاب الترتيب، أبو يعقوب الورجلاني، ص46، 47.

[3]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ص66.

[4]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص76.

[5]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص991.

ويمكن أن نقول بعد هذا التَّطواف بين ثنايا الأقوال والحجج إنّ أكثر ما ميّز أدلّة المنكرين بصفة عامّة، تمسّكهم بحجّة: ظنيّة ما ورد في هذا الباب من أخبار، أو توهّم معارضة تلك الأخبار مع القطعي من كتاب الله، وأنّ العلماء الّذي قبلوا ذلك وأثبتوا علامات السّاعة، كانوا أكثر تفتّحا على الأحاديث والأخبار، رواية ودراية، والخلاف في هذه المسألة لا شكّ سائغ وجائز، كون المختلف فيه ليس أصلا في الدين ثابت أو قطعيّا ثابتا بالتّواتر،[1] وعلى العموم فقد ورد عن بعض علماء غير الإباضيّة موافقتهم للقول القائل بعدميّة كلٍّ من ظهور الدجّال ونزول المسيح: كمحمّد رشيد رضا، ومصطفى المراغي، وأحمد أمين.[2]

المبحث الرّابع: تعيين الصّغائر:

يعتبر هذا المبحث الكلامي –المرتبط أشد الارتباط بباب الوعد والوعيد– ذو إسقاطات واقعيّة سلوكيّة على الفرد والمجتمع، ويكمن ذلك من خلال الغوص في مفهوم الذّنب فلسفيّا، وعلاقته بالتّقسيم المعروف الّذي تبنّاه الإباضيّة له وهو الكبائر والصّغائر، وكما سبق تعريف الكبيرة [3] بكونها ما عظُم من المعصية فعلا أو تركا بأن أوجب الله تعالى على فاعلها الحدّ في الدنيا أو الوعيد في الآخرة،[4] وبهذا يتميّز الإباضيّة عن الخوارج في شيئين: 1–أنّ للذّنوب عندهم مراتب وليست على نسق واحد وأن منها الصّغائر المغفورة باجتناب الكبائر، 2–أنّ الدّلوف في أحدى النّوعين فعلا أو إصرارا لا يخرج صاحبه إلى دائرة الشّرك ويوسمه بالارتداد عن الدّين.[5]

---

[1] –بعد دراسة الشّيخ بيوض لأحاديث نزول المسيح – الّتي أثبتها الشّيخ أطفيّش – ذهب إلى إسقاطها لعدم بلوغها مبلغ التّواتر، الفكر العقدي للشّيخ بيوض، ص64.

[2] – الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص82.

[3] – مبحث الإيمان.

[4] – معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص900.

[5] – العبد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص542.

وأمّا ماهيّة الصّغيرة فقد عرّفها الإباضيّة بكونها: مطلق المخالفة أي الّتي لم تتوفّر فيها شروط الكبيرة،[1] واختار أبو عمار عبد الكافي كون الصّغيرة: «ما كان مغفورا لأهله، متروك المؤاخذة عليه»[2] وتأصيل ذلك من قوله تعالى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ)[3] فقد روِي عن أحد أئمّة المذهب وهو محمّد بن محبوب بن الرّحيل أنّه فسّرها بقوله: «هو ما دون الكبائر من الذّنوب الّتي تكون بين الله وبين عباده مثل الهمزة واللّمز والنّظرة،[4]وغفرانها موقوف على اجتناب الكبائر».[5]

ولعلّ النقطة الخلافيّة البارزة في المذهب الإباضيّ في هذا الموضوع قضيّة التعيين وهل للصّغائر وجود في الخارج أم لا؟

ويشرح السّالمي هذا فيقول: «عكس الكبير من الذّنوب الصّغير والمراد بالعكس هنا مطلق المخالفة أي ما عدا الكبير من الذّنوب فهو صغير بناء على المذهب المشرقي أنّ الصّغائر موجودة في الخارج، وأنّها معلومة للعلماء، وهو مذهب النّكار وجمهور قومنا، وذهب أصحابنا من أهل المغرب وبعض أهل المشرق إلى أنّها موجودة لكنّها غير معيّنة، إذ ليس في تعيينها حكمة لأنّها لو عيّنت وهي مغفورة لكان في تعيينها إغراء بارتكابها، والغرض أنّها حرام منهيّ عنها فيُناقض تعيينها النهي عنها، وفي قول ثالث ونسب إلى ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الصّغائر لا وجود لها في الخارج أخذا من قوله "كلّ معصية يُعصى بها الله فهي كبير" إذ ليس النّظر إلى المعصية وإنّما النّظر إلى من يعصي»،[6] وقد شرح الإمام عمرو التلاتي كلام ابن عباس هذا وبيّن أنّه على خلاف ظاهره، وأنّ المراد منه توقير المعاصي والترهيب منها لا عدم وجود الصّغائر،

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص482.

[2]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص548.

[3]- النّجم 32.

[4]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص549.

[5]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن السّالمي، ص483.

[6]- م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص382

وهذا التأويل سببه والحامل عليه الأساس هو ما يتوهّم من معارضة له لكتاب الله، مثلِ قوله تعالى: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)،[1] وقوله تعالى: (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا).[2]

ولعلّ الخلاف في هذه المسألة لا يعود بالدّرجة الأولى إلى قوّة الدّليل أو ضعفه، وإنّما بالرّجوع إلى تعدّد زوايا النّظر في المسألة، فبين راءٍ لها من زاوية علميّة ونقليّة بحت، وبين ناظر لها من منطلق روحانيّ سلوكي، وأنّ العبرة ليست بصغر الذّنب وكبره ولكن العبرة بعظم من يُعصى، وهذه الزّاوية مهمّة جدّا، لأنّ الذّنب قبل أن يكون ذا عقاب دنيوي أو أخروي، فهو استفساد وقلّة أدب في حضرة صاحب الملكوت، وفي معرفة هذا نفسيّا وشعوريّا أثر عميق على سلوك الفرد مع النّاس ومع ربّه، وعلى هذا يخرّج قول إباضيّة المغرب الذّي يشرحه الإمام عمرو التلاتي فيقول: «وقال أصحابنا وغيرهم الصّغائر كلّها غير معلومة لأنّه ليس من الحكمة أن يبيّنها الله تعالى لعباده لأنّه لو بيّنها لهم لاستخفّوا بحقّه تعالى، وعصوه بفعلها....فثبت أنّها غير معلومة، وأنّ عدم علمها أولى للعباد، وأدخلهم في زجرهم عن عصيان الله تعالى بوجه من الوجوه، لأنّهم كلّما أرادوا ارتكاب ذنب خافوا كونه كبيرة وتركوه».[3]

المبحث الخامس: عذاب القبر:

تندرج هذه المسألة ضمن المسائل الغيبيّات المتعلّقة بمبحث الوعد الوعيد، وظاهر جدّا ذلك البعد التربوي والإصلاحي الّذي ينطوي عليه هذا الموضوع من ترغيب وترهيب، يحمل العبد على الالتزام الأمثل والانصياع لأحكام الشرع الحنيف.

---

[1]- القمر 53.

[2]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص551، الكهف 49.

[3]- م، ن، فرحات الجعبيري، ص 553.

وعذاب القبر مصطلح اشتهر ويدلّ على إرجاع روح العبد داخل القبر لحياة أخرى إمّا أن تكون نعيما أو جحيما، ويطلق القبر هنا تغليبا وإن لم يقبر الميّت، وهذه الفترة سمّاها القرآن برزخا في قوله تعالى (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)،[1] إذ في القبر نعيم كذلك، ولم يرد مصطلح –عذاب القبر– في القرآن الكريم صراحة، ووردت إشارات تدلّ عليه، وأمّا في السنّة المطهّرة فقد استفاضت الأحاديث عن المصطفى بهذا الشّأن، ممّا حدا ببعض العلماء أن يقرّوا بتواترها كالإمام عبد العزيز الثميني.[2]

بينما ذهبت طائفة كبيرة أيضا من علماء المذهب إلى اعتبار هذه المسألة من الظنّيّات لا من القطعيّات الواجبِ الاتّفاق عليها، وذلك لأنّهم اعتبروا الأخبار الواردة فيها لم تبلغ مبلغ التواتر بعد ومن هؤلاء الإمام: جميل بن خميس السّعدي والقطب أطفيّش و الورجلاني[3] الذّي يقول: «إنّ مسألة عذاب القبر ليست من مسائل الدّيانات فمن جهلها سلم، ومن علمها غنم ومن تورّط فيها ندم».[4]

ويعلّل الإمام السّالمي ذلك –وهو من القائلين بثبوت عذاب القبر– بقوله: «و أمّا في زماننا فقد تعذّر إدراك التّواتر من غيره وصارت الأخبار كلّها بمنزلة الآحاد لانقطاع الرّواة إلا ما أجمعت عليه الأمّة أنّ هذا متواتر أو أنّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فحينئذ يجب تصديق الإجماع والقطع بصدق الخبر، ولذا قال صاحب المرآة: المعتبر في تصحيح الأخبار وفي كونها تواترا أو آحادا هو ما عليه السّلف في الثّلاثة القرون، فما تواتر هناك فهو متواتر وما لا فلا، لكن كونه متواتر في تلك القرون لا يوجب القطع به على من هو في زماننا لأنّ كلّا متعبّد

---

[1]– المؤمنون 100، مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص355.

[2]– الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيّي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، ص243.

[3]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص824.

[4]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص322.

بعلمه، ثمّ الرّواية أنّه متواتر في تلك القرون لا تكون غالبا إلّا أحادية فينقلب التّواتر أحاديا فيكون مظنون الصّدق، والعقائد لا تنبني على ظنّ، فلذا صحّ الخلاف في عذاب القبر».[1]

أما من ناحية الإثبات والنّفي، فجمهور الإباضيّة على اعتبار نعيم القبر أو عذابه من الواقع الحاصل بدءًا من الأئمّة الأُوَلِ للمذهب كالرّبيع بن الحبيب الذّي يروي في مسنده الأحاديث الدّالة على ذلك ومنها:

-حديث: خسوف الشّمس وما روِي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: «أمرهم أن يتعوّذوا من عذاب القبر ».[2]

-حديث: «إنّ أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنّة وإن كان من أهل النار، فيُقال له: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة ».[3]

-حديث: مرور رسول الله صلى الله عليه و سلّم برجلين يعذّبان في القبر فقال: «يعذّبان وما يعذّبان في كبير، أمّا أحدهما فقد كان لا يستبرئ من البول، وأمّا الآخر فقد كان يمشي بالنّميمة بين النّاس».[4]

وقبله جابر وأبو عبيدة ممن كان يقول به، ولذا قال السّالمي:

أمّـا عذاب القبر والتنعّم فالخلف فيه عندهـم مرسـوم

ولم يصحّ القـول بالإنكار عمّن عرفنـــــاه من الأخـبار

فجابر ومـسلم والعلما يرون في الإثبات قولا محكما

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص358.

[2]- كتاب الترتيب، أبو يعقوب الورجلاني، الحديث رقم: 195.

[3]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، الحديث رقم: 484.

[4]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، الحديث رقم: 487.

من جهة أخرى ذهب ابن أبي نبهان إلى إنكاره وكذلك صاحب السّؤالات –أبو عمرو السّوفي– والّذي ينسب قوله إلى جمهور الإباضيّة فيقول: « وهذا التّفسير يدلّ على أنّ سّؤال منكر ونكير وعذاب القبر للمسلم ليس بصحيح، وهو قول جلّ الإباضية والشّيعة»، والشّيخ أطفيش يحصر النّافين في النكار[1] وكذلك الورجلاني في قوله:« ومن مسائل ما بيننا وبينهم عذاب القبر، وعابوها وقالوا: إنّكم اقتبستموها من المالكية، ونحن نثبت عذاب القبر، وهم ينكرونه».[2]

ومن بين ما يستدلّ به النّافون لعذاب القبر:

1–الآيتان الكريمتان، قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ{51} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ{52})،[3] ومعنى الآية يدلّ على أنّهم حقّقوا ما جاءتهم به رسلهم بعد بعثهم مع تلك الصّيحة، فلو كان عذاب القبر لتحقّق لهم الأمر فيه، وتحقّقوا مع سؤال منكر ونكير، ثمّ يبقى فيهم من رمق الحياة ما يحسّون به العذاب فيصحّ لهم تحقيق ما جاءتهم به رسلهم قبل يوم البعث،[4] 2–وكذلك في قوله تعالى: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ{112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ{113})،[5] ووجه استدلال النّفاة أن لو كان عذابٌ في القبر وسؤالٌ فيه لما رأوا المدّة الّتي لبثوا فيها في قبورهم يوما أو بعض يوم،[6] وبهاتين الآيتين أوّل ابن أبي

---

[1]– الفكر العقدي عند الإباضية، مصطفى بن محمّد ابن دريسو، ص333.

[2]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص318.

[3]– يس.

[4]– الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص749.

[5]– المؤمنون .

[6]– الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص749.

نبهان الآيات المفهم ظاهرها أنّ في القبر عذابا ثمّ ردّ الرّوايات المثبتة لعذاب القبر لمعارضتها هاتين الآيتين،[1] مع ورود بعضها في مسند الرّبيع بن الحبيب الإباضي-كما مرّ-.

وقد ساق الإمام السّالمي حجج النافين وردِّه عليها بأسلوب جدلي حواري علمي، وأجاب عن الدّليل الأوّل بأنّ ما سمّوه بذلك إلا بالنّظر إلى ما شاهدوه من هول الموقف حتّى صار القبر بالنّسبة إليهم كالمرقد.[2]

«وكذلك في الآية الأخرى ما سمّوا مدّة بقائهم في القبر باليوم إلا لما كُشف لهم من التأبيد الذّي لا انقطاع له فمدّة البرزخ بالإضافة إلى ما بعدها من الأبد أقلّ من السّاعة،[3] واستدلّوا بقوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[4] وقالوا: لو عذّبوا في القبر لزم إحياؤهم فيه ثمّ إماتتهم بعد التّعذيب ويُجاب بأنّ الخطاب لأهل الجنّة فإذا أحياهم الله في القبر لِما أراد منهم فلا يُسمّى ما بعد تلك الحياة موتا بالإضافة إليهم كيف وقد ورد في الحديث: {أنّ المؤمن يرى منزله في النّار أن لو عصى ومنزله في الجنّة لما أطاع فيريد أن ينهض إليه فيقال له لم يأت أوان ذلك، نم سعيدا نومة العروس}[5] وليس النّوم بموت فلا يذوقون فيها إلّا الموتة الأولى»،[6] ومنها قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)[7] فذكروا أنّهم أُميتوا اثنتين كما أنّهم أُحيوا اثنتين، ورُدّ بأنّ الحياة الأولى هي الحياة الدنيوية والثّانية هي الأُخرويّة، وأنّ الإماتة الأولى هي عبارة عن عدمهم قبل الوجود، والإماتة الثّانية هي الّتي فارقوا بها الدّنيا.[8]

---

[1]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي و آراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص750.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص356.

[3]- م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص 356.

[4]- الدخان56.

[5]- رواه التّرمذي، السّنن، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم : 1077.

[6]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص357.

[7]- غافر11.

[8]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص 356.

ويعتبر الإمام السّالمي الدّليل الصّريح من منطوق القرآن في إثبات عذاب القبر هو قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)،[1] وقد اعتبر السّالمي تأويل ابن أبي نبهان للآية بأنّ فيها تقديما وتأخيرا وأنّ تقديرها: ويوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب النّار يعرضون عليها غدوّا و عشيّا، حملا لها على نظيرتها في سورة البلد: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ{11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ{12} فَكُّ رَقَبَةٍ{13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ{14} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ{15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ{16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ{17})،[2] إذ يجب أن يكون مؤمنا أوّلا، بأنّ كلّ ذلك محض تكلّف بإخراج الآية عن أسلوب النّظم الشّريف.

«واستدلّوا كذلك بأنّ تعذيب الميّت خارج عن المعقول، قالوا إن قدّرنا إمكانه في القبر لإعادة الرّوح فيه فلا يمكن ذلك في كلّ ميّت، فإنّا نشاهد من قتل فصلب بعد القتل مدّة طويلة حتّى تفنى أجزاؤه فلا نرى أنّها حدثت حياة يدرك بها العذاب، وكذلك من أكلته السّباع أو أحرق بالنّار وأذرِيَ في الرّياح فإنّا نعلم ضرورة أنّ أجزاءه تفرّقت، وحياته مع تفرّق أجزائه تعذّرت، وأُجيب عن الأوّل بأنّه يُحتمل أن يخلق فيه حياة لا ندركها نحن، وعن الثّاني أنّه مبني على أن يشترط في الحياة وجود البنية بتمامها، ونحن لا نقول به لإمكان أن يخلق الله لكلّ جزء انفرد حياة يحسّ بها ألم العذاب».[3]

ويضيف الورجلاني في الردّ على المنكرين لعذاب القبر دليلا واقعيّا يقول فيه: «وفي مشاهدة الأبصار والعيان، في سائر البلدان، وتواتر في سائر الأزمان، ما يبصر الناس في مقابرهم

---

[1]- غافر46.

[2]- البلد.

[3]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص 358.

من النيران المتقدة، والأصوات الممتدّة وظهر الأنين والحنين، على رؤوس العالمين، أعظم الدّلالات وأبين البيانات، وهو أقرب إلى من أنكر، ولم يؤمن ولم يحسن».[1]

وجدير بالذّكر أنّ قول ابن أبي نبهان قد لقِي تأثّرا من بعض العلماء الإباضيّة في المشرق، إذ نجد في تعابيرهم ما يشبه التّوقّف في المسألة، فيُنقل عن الشّقصي عن أبي الحسن البسيوي[2] أنّه سُئل عن عذاب القبر فقال: «هم عبيد الله تعالى إن شاء عذّبهم في القبر وفي الدّنيا وفي الآخرة وإن شاء رحمهم، أمّا عذاب الآخرة فلا شكّ فيه لمن مات غير مؤمن به».[3]

ويقول المؤلّف –سعيد بن خميس–: «واختلف النّاس في عذاب القبر اختلافا كثيرا وقولنا، قول أهل الحقّ في هذا وغيره، أنّ الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إن شاء عذّب في الدّنيا، وإن شاء عذّب في القبر وإن شاء عذّب في الآخرة كلّ الأمر لله –تعالى– والخلق خلقه، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون)».[4]

إنّ الملاحظ لطريقة استدلال كلٍّ من الفريقين يجد أنّهما اتّبعا إحدى السّبيلين:

1–فمن حمل الآيات على حقيقتها وردّ كلّ الأخبار الّتي يُتوهّم منها معارضتها للقطعي من النّصوص، أو أوّلها بما يوافق القطعي المتواتر من القرآن.

---

[1]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص318.

[2]– علي بن محمّد البِسيوي، أبو الحسن، (حي في: 363هـ)، نسبة إلى قرية بِسيا أحد أكبر علماء القرن الرّابع الهجري، درس على يد والده، ومحمّد بن الحسن، ومن تلاميذه: محمّد بن المختار النّخلي، من مؤلّفاته: الجامع، المختصر، سبوغ النّعم، وسيرة البسياني. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص319.

[3]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد، ص517.

[4]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد، ص517، الأنبياء23.

2- من ألّف بين جميع الأخبار فحمل بعضها على الحقيقة والبعض الآخر على المجاز، لكي يتّسق النّظم النّصيّ بنوعيه من القرآن والسنّة، ويرى أن لا مانع من ذلك مع احتمال اللّفظ للمعنى المراد.

وهذه الطّريق الأخيرة أعلم وأحكم، لأنّ الجمع أولى أن يُصار إليه كما أنّ ردّ الأخبار- الواردة في عذاب القبر- بحجّة كونها من الآحاد الّذي لا يُستدلّ به في أمور العقائد أمر يحتاج إلى إعادة نظر، لأنّ هذه المسألة المدروسة ليست من أصول الإيمان الّتي لا يُستدلّ فيها إلا بالمتواتر القطعي، وليست كذلك مما علم من الدّين بالضّرورة حتى يساغ ردّها بهذه الحجّة، فهي إذا —من فروع العقيدة— الّتي يجوز الاستدلال بأخبار الآحاد بها، إذا صحّت، مع أنّها لا تقتضي محذورا شرعيا كإلزامها نقصا في صفة من صفات الباري عزّ وجلّ أو غير ذلك.

المبحث السّادس: "الصّراط" في نصوص الوحي:

وهذا المبحث تابع للموضوع الّذي قبله من حيث كونه بحث في موضوع غيبي، غير أنّ مناط الخلاف فيما سبق كان بين مثبت ومنكر، وهنا قوام الجدل مرتكز بين مؤوّل وغير مؤوّل.

والصّراط والزّراط والسّراط لغة: الطّريق،[1] وقد ورد ذكر هذه الكلمة كثيرا في كتاب الله تعالى فممّا ورد في حقّ المؤمنين قوله تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)،[2] (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)،[3] (قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)،[4] وممّا ورد في حقّ غير المؤمنين قوله تعالى: (احْشُرُوا

---

[1]- مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر الرّازي، مكتبة لبنان، الطّبعة الثّانية، 1993م، ص151.

[2]- الملك22.

[3]- الحج 54.

[4]- طه 135.

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{22} مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ{23})،[1] وقوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ)[2]، وقوله عزّ من قائل: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)[3].

وأمّا في الأحاديث فقد ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلّم إشارات إلى كيفيّة هذا الصّراط في قوله: «من رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»،[4] وكذلك حديث «ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل»[5] ولعلّه فصّل أكثر في حديث عائشة رضي الله عنها: «قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال: يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد، قال فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحدُّ من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذون من

---

[1]- الصّافات.

[2]- يس66.

[3]- المؤمنون74.

[4]- رواه أبو داود، السّنن، كتاب الأدب، باب من ردّ عن مسلم غيبة، رقم: 4883.

[5]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الرّقاق، باب الصّراط جسر جهنّم، رقم: 6204.

شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم رب سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه.»[1]

وبناء على ما ذُكِرَ نرى أنّ الصّراط يكتنفه معنيان مجازي ويراد به مطلق الطّريق والسّبيل وحسّي وهو ذلك السّيف الذّي هو أرقّ من الشّعرة وأحدّ من السّيف، ومن هنا أتت تفاسير الإباضيّة لهذه اللّفظة على النّحو الآتي:

1-فريق ارتضى حمل الآية على حقيقة وضعها القرآني وهي السّبيل أو الطّريق المستقيم، وعدل عن التفسير الحسّي ويمكن القول إنّهم جمهور المشارقة كالإمام ناصر ابن أبي نبهان الخروصي الّذي يقول: «فالصّراط المستقيم، الّذي ذكره الله في كتابه هو طريق عبادته، سمّاها صراطا وسبيلا ونجدا، فقال تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)،[2] أي طريق الطّاعة وطريق العصيان، وهذا الجسر –على هذه الصّفة– ليس هو صراطا مستقيما، فهو على خلاف وصف الذّكر الحكيم لصفة وما خالف القرآن العظيم فهو باطل على كلّ حال»،[3] وتشتدّ وطأة هذا الإمام على المخالفين له والجانحين إلى التفسير الحقيقيّ أثناء تأصيله لكلامه: «وأمّا صراط الجسر على أنّه أحدّ من السّيف وأدقّ من الشعر على متن جهنّم، يعبره الخلائق إلى الجنّة، فهذا من أنواع اللعب واللّهو الّذي يصحّ أن يوصف به في الدّنيا الصّبيان أهل اللعب والبأس، وممّا ينبغي أن ينزّه البارئ سبحانه عن فعل البعث، وإن كان لا يقبح في فعل الله شيء، ولكن جعل الله العقول حجّة في معرفة صفاته اللّائقة .....فالصّراط المستقيم الّذي سمّاه الله تعالى في كتابه هو طريق عبادته فقال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[4] أي طريق الطّاعة وطريق المعصية، وما الفائدة في

---

[1]- رواه أحمد بن حنبل، المسند، شرح: أحمد محمود شاكر، دار الحديث القاهرة، الطّبعة الأولى، 1995م، مسند السّيّدة عائشة رضي الله عنها، رقم: 15010.

[2]- البلد 10.

[3]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص58.

[4]- البلد 10.

تكليف أهل التّقوى المرور على ذلك لأنّ الجنّة لا يدخلها كافر، وما الفائدة في الّذي لا يستطيع أن يمرّ فيه إلا بمشقّة فإن الله إذا عفا عن ذنوبه المعفو عنها فحاشا أن يعذّبه بعد ذلك».[1]

ويوافقه على ما ذهب إليه تَلميذه المحقّق الخليلي فيقول: «والصّراط هو الحق، هو الطّريق الموصل إلى الله تعالى، على سبيل الاستقامة في الدّين وما يخالفه فهو الباطل».[2]

ويدرج الشّقصي أثناء دفاعه عن هذا القول بعض أقوال أئمّة المذهب في هذا الشأن فيقول: «والله تعالى خاطب العرب بما يعقلون فقال سبحانه (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[3] وقال ابن عبّاس: هو دين الله تعالى، وقال أبو عبيدة: هو المنهاج الواضح، لا كما زعم من قال: إنّ الصّراط هو شيء منصوب على متن جهنّم، وأنّه أدقّ من الشّعرة، وأحدّ من السيف و أنّه يختبر المؤمن من الكافر، وأنّ النّاس تختلف أحوالهم في المرور عليه فمنهم من يمرّ عليه كالبرق ومنهم من يمرّ عليه كالرّيح ومنهم من يمرّ عليه كالطّير ....ونحن نقول إن شاء الله تعالى – إنّ الله عالم بجميع خلقه، عالم بجميع أعمالهم وبمصيرهم قبل أن يخلقهم، ومن بعد أن خلقهم، وحين أفناهم، وحين بعثهم، ولا يحتاج إلى اختبارهم وهو علاّم الغيوب»،[4] وممّا يستدلّ به هذا القسم من العلماء، حديث النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلّم: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصّراط سوران فيهما أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصّراط داع يقول "يا أيّها النّاس ادخلوا الصّراط جميعا، ولا تفرّقوا" وداع يدعو من فوق الصّراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الابواب قال: ويحك لا تفتح، فإنّك

---

[1]– تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان الخليلي، ص281، 282.

[2]– م، ن، سعيد بن خلفان الخليلي، ص281، 282، 283.

[3]– الفاتحة 5.

[4]– منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، خميس بن سعيد الشّقصي، ص499، 500.

إن فتحته تلجه، فالصّراط الإسلام والسّوران: حدود الله والابواب المفتّحة محارم الله وذلك الدّاعي على رأس الصّراط: كتاب الله، والدّاعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كلّ مسلم».[1]

2- من القسم الآخر من الإباضيّة فقد ارتضوا المعنى الحديثي للصّراط، ولعلّ أقدم من وصلنا رأيه في هذه المسألة هو الإمام هود بن محكم الهوّاري، والّذي أقرّ بأنّ الصّراط حسّيٌّ لا معنوي ويورد في ذلك أحاديث في تفسيره، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال «الصّراط مثل حدّ السّيف والملائكة معهم كلاليب من حديد، كلّما وقع رجل اختطفوه، قال: فيمرّ الصنف الأوّل كالبرق، والثّاني كالرّيح، والثّالث كأجود الخيل، و الرّابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون، اللّهم سلّم سلّم».[2]

وأمّا بقيّة القسم الثاني فقد ارتضوا المعنيين معًا، الحقيقيّ والمجازي ولم يحجروا الإطلاق على معنى واحد، ومن هؤلاء: أبو القاسم البرادي[3] والإمام أبو الطاهر الجيطالي الذّي يقول: «والّذي عندي أنّ الصّراط يُفسّر على وجهين: أحدهما طريق الإسلام، والثّاني الجسر الموضوع على متن جهنّم المرتّب عليه القناطير السّبع ودليله (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)[4]»،[5] وأمّا القطب الشّيخ أطفيش فإنّه في البداية كان يقول إنّ الصّراط: «هو طريق حقيقيّ ثمّ بعد اطّلاعه على كتاب "أصول الدّين" لأحمد بن عيسى تيبغورين، و"المضنون به عن غير أهله" للغزالي قرّر أنّه مجازي

---

[1]- شرح غاية المراد، أحمد بن حمد الخليلي، ص55.

-رواه الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مسند الشّاميين، رقم: 17561، ورواه التّرمذي، السّنن، كتاب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، باب: ما جاء في مثل الله عزّ وجلّ لعباده، رقم: 3019.

[2]- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص338.

[3]- م، ن، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، ص 338.

[4]- الصّافات 23.

[5]- قناطر الخيرات، أبو الطّاهر إسماعيل الجيطالي، ص318، 319.

وغير حقيقي ...ثمّ لم يثبت على هذا القول بل قال في شامل الأصل والفرع: أنّه في الآية حقيقي وفي الحديث مجازي».[1]

وقريب منه ما ذهب إليه الإمام السّالمي غير أنّه رجّح قول السّادة المشارقة وهو عدم التأويل وحمل معنى الصّراط على أنّه السّبيل وطريق الهداية منتصرا بذلك لقول جمهور الإباضيّة، إلا أنّ موقفه ممّا ورد في الأحاديث يبينه بقوله: «والّذي يظهر لي إبقاء الأحاديث على أصلها من غير تعرّض لردّها على راويها وتفويض أمره إلى الله، فمن صدّقها من غير قطع بفكر من خالفه فيها فقد أحسن ظنّه بالرّاوي، ولا بأس إن شاء الله»،[2] فهو لا يردّ القول الآخر كما أنّه لا يتبنّاه.

– ولعلّ سبب الخلاف في هذه المسألة محصور في نقطتين مهمّتين:

أوّلها– أنّ القول بالصّراط الحسّي يبطل عقيدة الإحباط الّتي يتبنّاها الإباضيّة، فلا حاجة لصراط عليه كلاليب، لأنّ قسمة الناس يوم الحساب على نحوين: مكفّر عنه جميع سيّئاته فهو في الجنان، أو غيره فهو في دركات الهلكات، ولا وجود لقسمة ثالثة، فيكون حينها الصّراط بمعناه الحسّي أمر لا فائدة منه.[3]

ثانيا– إنّ القول بالمرور على الصّراط والدّلوف من خلاله إلى جهنّم وإن كانت على المؤمن بردا وسلاما ينافي ما قرّره القرآن في مواضع كثيرة من أنّ المؤمنين بعيدون عن النار ناجون من حسيسها كما في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)،[4] وأوضح منها في سورة الزّمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ

---

[1]– آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقدية، مصطفى بن محمّد وينتن، ص182. يوافق الشيخ بيوض ما ذهب إليه أطفيّش من تفرقته بين الصّراط المعنوي وهو المذكور في القرآن الكريم و الصّراط الحسّي وهو المذكور في الأحاديث مع عدم الخوض في كيفيّته. الفكر العقدي عند الشيخ بيوض، حمو بن عيسى الشّيهاني، ص161.

[2]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص372، 373.

[3]– تمهيد أنوار الايمان، سعيد بن خلفان الخليلي، ص283.

[4]– الأنبياء 101.

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[1] فليس هناك ذكر لما يُسمّى بالصّراط ولا غيره هنا على أنّ الآية تصف ما يحصل للناس بعد مبعثهم، كما أنّ التصوير العامّ للأحاديث حول جهنّم يرسمها كخندق يتوسّطه الصراط الّذي يمر الناس من خلاله إلى الجنّة، وهذا يخالف وصف القرآن لجهنّم بأنّها ذات أبواب كما في سورة الحجر: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ).[2]

وأمّا ما استدلّ به القائلون من آية سورة مريم: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً)،[3] والهاء في واردها تعود على جهنّم، وأنّ الورود بمعنى الدّخول، وردّ بأنّ العموم في قوله "وإن منكم" مخصوص بالّذين هم داخلون فيها لا الّذين يزحزحون عنها، وهم المقصودون من الذكر قبل هذه الآية: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً{68} ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً{69})[4] لأنّ "ثمّ" وإن كانت تدلّ على المهلة الزّمنيّة فهي كذلك تدلّ على المهلة الرّتبيّة كما في قوله تعالى: (يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ{15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ{16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا...)،[5] والأصل أن يكون مؤمنا أوّلا ثمّ يفكّ الرّقبة ويطعم، وكذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)[6] مع أنّ قوله اسجدوا كان قبل خلقه لأنّ قال في موضع آخر: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ).[7]

---

[1]- الزّمر 73.

[2]- الحجر44.

[3]- مريم 71، 72.

[4]- مريم.

[5]- البلد.

[6]- الأعراف 11.

[7]- الحجر 29.

ونحن وإن كنّا نرى أنّ هذا القول أقرب إلى الراجحيّة، إلّا أنّ هذه المسألة تبقى بعيدة عن كونها من المسائل المهمّات في الدّين الّتي لها تعلّق بسلوك العبد أو أصول الدّين، وإنّما هي محض نقاش فكري اشعل أواره المتكلّمون في وقت من الأوقات لدوافع مخصوصة، قد تكون مبررّة بشكل من الأشكال، ولكنّ الاهتمام الحالي بسلوك الفرد وتعبئته روحانيّا أهمّ بكثير من الاشتغال بغيبيّات قد تكون ذلك الفتيل الّذي قد يتحوّل إلى لهيب إذا وضع في غير أهله.

الفصل الخامس

المسائل الخلافيّة في مبحثي الإنسانيّات والنّبوّات

المبحث الأوّل: ما لا يسع جهله من أمور الدّين:

تعتبر مسألة ما لا يسع جهله أو المعلوم من الدّين، مسألة شائكة بعض الشّيء كونها لم تنل حظّها الأوفر من البحث، وخطورتها تكمن في تحديد المعيار الّذي يخوّل للمجتهد الحكم على الموصوف أنّه قابع في دائرة الإسلام أو أنّه خارج عنها، واختلاف العلماء في تكفير بعض الأفراد بين مثبت ومنكر يدلّ وبشكل واضح على أنّ مثل هذه المسألة تحتاج إلى إعادة ترسيخ وتأصيل لمعايير يجب الاتّفاق عليها حتّى لا يؤدي وتر حسّاس كهذا إلى زرع عروق الشّقاق بين مختلف طوائف وفرق المسلمين.

ويُقصد بمصطلح "ما لا يسع جهله من الدّين" الحدّ الأدنى والقواعد الكبرى الّتي تنبني عليها عقيدة المسلم، بحيث يفقد مسمّى الإيمان جاهلها أو منكرها.

وفي المدرسة الإباضيّة، لم يرد عن السّلف الأوائل رأي في هذه المسألة، وأما من بعدهم فقد اتّسم الخلاف بين موسّع ومضيّق في عدد هذه المسائل والقواعد الّتي تنبني عليها أواصر الدّين، ويستوفي بها المسلم إيمانه النّظري، فمن الذّين جنحوا إلى مذهب التّوسيع الإمام عمرو بن جميع في عقيدته،[1] وأبو العباس أحمد بن محمّد بن بكر الفرسطائي[2] وأهل نفوسة عموما،[3] وينقل الورجلاني عن أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي[4] –وهو من الموسّعين– المسائل الّتي يلزم

---

[1]– مقدّمة التوحيد وشروحها، أبو العباس أحمد الشمّاخي، من ص99 إلى ص115.

[2]– أحمد بن محمّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النّفوسي (أبو العباس)، (ت: 10 ذو الحجّة 504هـ/ 18جوان 1111م)، من علماء ورجلان أخذ العلم عن أبيه وعن أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي، من تلاميذه: أبو عمرو السّوفي، صالح بن أفلح، من تآليفه الكثيرة منها: كتاب القسمة وأصول الأرضين، كتاب ممّا لا يسع الناس جهله، جامع أبي مسألة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج2، ص96.

[3]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص8.

[4]– سليمان بن يخلف المزّاتي الوسلاتي النّفطي، أبو الرّبيع، (ت: 471هـ)، أخذ العلم في أريغ، عند الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر النّفوسي، أفنى شبابه في القراءة وعمره في الإقراء، كثر تلاميذه لكثره أسفاره وتنقّلاته، منهم: أولاد الشّيخ زكريا بن أبي مسور، أبو العباس أحمد بن محمّد بن بكر الفرسطائي، وتيبغورين بن عيسى الملشوطي،

المكلّف معرفتها فور بلوغه فيقول: «مما يجب على كلّ بالغ عند بلوغه وصحّة عقله، حرّا كان أو عبدا، ذكرا كان أم أنثى، فعليهم معرفة أنّ الله واحد لا شريك له، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ ما جاء به حقّ من عند ربّه، وأنّ الله خالق لجميع الأشياء، وأنّ له الملائكة والنّبيئين والرّسل والكتب .

وعليهم معرفة جبريل بالقصد إليه وأنّه رسول ربّ العالمين إلى محمّد عليه السّلام.

وعليهم معرفة محمّد عليه السّلام أنّه رسول رب العالمين إلى النّاس كافّة والجنّ كافّة وأنّه خاتم النّبيين.

وعليهم معرفة الأب الأكبر أبينا آدم عليه السّلام باسمه ونبوّته ورسالته إلى أولاده، وأنّه أوّل المرسلين، وعليهم معرفة القرآن مقصودا إليه ومفزوعا إليه من جملة الكتب.

وعليهم معرفة الجنّة أنّها ثواب لأهل طاعته على طاعتهم لربّهم.

ومعرفة النّار أنّها عقاب لأهل معصيته على معصيتهم لربّهم.

وعليهم معرفة الموت والبعث والحساب والعقاب.

وعليهم معرفة تحريم دماء المسلمين بتوحيدهم لربّهم ومعرفتهم إياه وإفرادهم له.

ومعرفة تحليل دماء المشركين، على شركهم لربهم ومساواتهم له بغيره، وعليهم ولاية المسلمين جملة.

وعليهم أن يقصدوا بولايتهم إلى كلّ من لا يسعهم جهله، مثل جبريل من الملائكة ومحمّد وآدم من النّبيئين عليهم السّلام، وعليهم البراءة من الكافرين جملة، ومعرفة جميع النبيئين جملة أنّهم نسل لآدم.

من أشهر كتبه: التّحف المخزونة، كتاب في طلب العلم وآداب التّعلّم، وكتاب في علم الكلام وأصول الفقه. معجم أعلام الإباضيّة، ج3، ص445، 446.

وعليهم فرز ما بين الكبائر وذلك أن يعرفوا أنّ الشرك مساواة الله بغيره، وذلك أن يصفوه بصفة غيره، ويوصف غيره بصفته.

وعليهم أن يعرفوا أنّ الله تعالى أمر بطاعته ونهى عن معصيته وأنّه مثيب على طاعته ومعاقب على معصيته، وأنّ ثوابه لا يشبهه ثواب وعقابه لا يشبهه عقاب وأنّ الله موال لأوليائه ومعاد لأعدائه.

وقد قيل عن الشّيخ رضي الله عنه: أنّه قال لا يسع جهل الملل وهم اليهود والنّصارى والصّابئون والمجوس والّذين اشركوا ... ولا يسع جهل موت محمّد صلى الله عليه وسلّم...وعليهم معرفة ولاية المسلمين من الجنّ جملة لا يقصد إلى شخص بعينه، ولا يسع جهل الإسلام والمسلمين والكفر والكافرين.

وعليهم معرفة كفر من جهل شيئا من هذا كلّه فإن شكّ في شيء مما ذكرناه فهو كافر والشاك في كفره كافر والشاك في الشاك كافر إلى يوم القيامة.

وعليهم أن يعرفوا أنّ الله حرّم دمائهم بهذه الجملة الّتي ذكرنا، وبمعرفة أشباهه ما لا يسعهم جهله ولا يسلمون إلا بمعرفته من توحيدهم ربّهم وإفرادهم له يصحّ لهم توحيدهم لربهم والمعرفة به».[1]

بينما جنح قسم آخر من علماء الإباضيّة إلى التضّييق وحصر هذه المسائل، قرّروا أن ليس على الإنسان معرفة إلّا ما قامت عليه الحجّة به، وما عداه فلا يلزمه علمه ومن هؤلاء: محمّد بن محبوب وعزان بن صقر[2] وعمروس بن فتح[3] وأبو خزر يغلا بن زلتاف وعبد الرحمان بن

[1]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص21، 22.

[2]– عزان بن الصّقر، أبو معاوية، (ت: 268هـ)، عالم وفقيه، أزدي، يحمدي خروصي، من مشايخه: محمّد بن محبوب بن الرّحيل، له آثار يرويها عن شيخه ابن محبوب. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص305، 306.

[3]– عمروس بن فتح المساكني النّفوسي، أبو حفص، (ت: 283هـ)، عرف بالحفظ والاجتهاد والمعرفة، تولّى القضاء بجبل نفوسة، ذكر المؤرّخ الدّرجيني أنّه همّ بتأليف كتاب في الفقه لم يسبق في طريقته ولكن عاجلته المنيّة

رستم،[1] وابن بركة العماني، وابن زرقون،[2] ونسبه الشّيخ أطفيش إلى جمهور المشارقة،[3] ومن القائلين به كذلك الورجلاني الّذي يستدل على رأيه قائلا: «اعلم أنّ القرآن أنزله الله على قلب محمّد صلى الله عليه وسلّم ليكون للعالمين نذيرا، ولم يشرح له مسألة خصوصيّة مما يزيدها على النّاس إلا ما تضمّن قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...)[4] وهي خمس فرائض الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ وقد قال: (قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)،[5] فاجتمعت الأمّة كلّها: أن ليس على النّاس شيء من معرفة المذكورين فيها إلا من قامت عليه الحجّة بذلك، وأنهم قد وسعهم جهل جميع من ذكرناه فيها إلا الله وحده خصوصا ...وكره رسول الله المسائل وعابها، ولم يشرح للناس مسألة إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأنّه رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وحين قدم عليه وفد عبد قيس فلما أرادوا الانصراف إلى بلادهم قالوا: بماذا تامرنا يا رسول الله، فقال: "آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصّلاة وأن تؤدّوا الغنيمة الخمس

قبل إتمام هذا الكتاب، ويرجع إليه الفضل في إنقاذ مدوّنة أبي غانم الخرساني حيث قام باستنساخها مستعينا بأخته، له عدّة تصانيف منها: الدّينونة الصّافية، رسالة في الردّ على النّاكثة. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص671.

[1]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص14.

[2]- م، ن، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص23.

- سليمان بن زرقون النّفوسي، أبو الرّبيع، (ت: بين 300هـ-350هـ)، أحد العلماء البارزين، استقرّ بتوزر بتونس، ثمّ انتقل إلى سجلماسة، رافق أبا يزيد مخلّد بن كيداد النّكّاري، عكف في مزّاتة بإفريقيّة يدعوها إلى مذهب الوهبيّة بعد إعتناقها لمذهب النكّار، تتلمذ على يديه أبو خزر يغلى بن زلتاف، وروى عنه ابن سلام في كتابه بدء الإسلام، ترك ديوانا اسمه: ديوان أبي الرّبيع. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص415.

[3]- شرح مقدّمة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص141.

[4]- البقرة 285.

[5]- البقرة 136.

وسهم الصّفي، –فقصر الإيمان على الشّهادتين والصّلاة–وأنهاكم عن أربع: ألّا تنتبذوا في الدّباء والحنتم والمقير والزّفت"[1]، ولم يبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه شرح للوفود الّتي جاءته شيئا سوى الجملة الّتي كان يدعو إليها رسول الله فإذا نطق أحد بالجملة، فيقول النّبي فقّهوا أخاكم ولا تجاوزوا إليه مسائل الصّلاة والزّكاة والآداب، ولم يؤثر عن أحد من أصحاب النّبي أنّه شرح لأحد من مسائل الاعتقاد شيئا، ولرسول الله الكتب إلى ملوك الأرض، فأرسل إلى قيصر ولم يشرع له فيها سوى الجملة الّتي كان يدعو إليها فقال: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فإن أبيت فعليك إثم الأريسيّين».[2]

ويقعّد الورجلاني لكلامه هذا قاعدة مفادها: «ومن عبد الله على ما بلغه من الدّين وكان ورعا في دينه غير مرتطم بالتّصوبة والتخطئة ترجى له النّجاة».[3]

وكذلك الشّيخ أطفيش الّذي يرى قول عمرو بن جميع في كفر من جهل الملل الستّ: تشديد لا يجوز الأخذ به ولا الحكم به.[4]

وهذا القول أقرب إلى سعة رحمة الله وإلى هدي المصطفى صلوات الله وسلّم عليه، الّذي لم يكن يكتفي من الناس سوى بإسلامهم الظاهري، وكذا كان يتدرّج في إبلاغهم الشّرائع مخافة أن تدخل عليهم المشقّة والملل ومصداق ذلك ما ورد في حديث معاذ بن جبل، حين بعثه النّبي إلى اليمن فأمره أن يبدأ في دعوتهم إلى الإسلام بتعليمهم الشّهادتين، فإن فعلوها فالصّلاة فإن

---

[1]– رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، رقم: 53، ورواه مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدّين، رقم: 24.

[2]– الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص17، 18.

– رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 7، ورواه مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الجهاد والسّير، باب: كتاب النّبي صلى الله عليه وسلّم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم: 74.

[3]– الوضع، أبي زكريا بن أبو الخير الجناوني، ص20.

[4]– شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص395.

فعلوها فالزّكاة.....» وهذا من تمام الحكمة الدعويّة، وعلى نهج الورجلاني من المغاربة، أصلّ السّالمي من المشارقة هذه المسألة بشكل أكثر علميّة من خلال تقسيمه شروط التكليف إلى: شرطين رئيسين وهما: 1-صحّة العقل والتكليف، 2-قيام الحجّة بالمكلّف به على المكلّف، «فمن لم تقم عليه الحجّة بشيء من الفرائض لم يكن عليه فيه تكليف، ولو كان ذلك الجملة، وهي الشّهادتان، لأنّ الله عزّ وجلّ حكيم لا يصح عليه أن يتخلّف في أحكامه، فلا يكلّف ببعض العبادات بحجّة وبعضها بدون حجّة»،[1] وبعد كلامه في موضوع الملائكة وتطرّقه إلى أدلّة تفضيلهم قال: «وأنت خبير أنّ أدلّة التفضيل مطلقا ظنّيّة، فإنّها وإن كانت آيات قرآنية ففيها احتمالات تأويليّة .... فبهذا تعرف أنّه ليس على المكلّف من اعتقاد هذا المعني شيء، ولذا سكت عنه أصحابنا المشارقة رحمهم الله تعالى فلم يذكروه في مؤلّفاتهم لاقتصارهم غالبا على بيان اللّازم من الاعتقاد، وإنّما ذكرناه نحن توسعة للمقام، وإطلاعا للطّالب، وإظهارا للفائدة»،[2] وعلى السّبيل نفسه ذهب الشّقصي الرّستاقي في المنهاج: وما لم تقم على المكلّف الحجّة، ولم تبلغه الدّعوة فهو سالم بجهله ممّا كان طريقه السّمع.[3]

وهذه المسألة النّظريّة، يظهر بعدها الواقعيّ أكثر في الحكم على أعيان المكلّفين وإطلاق الأوصاف الشّرعيّة عليهم، سواء من المسلمين أو من غيرهم، فأصحاب الأديان الأخرى يوسمون بالشّرك لما يخلّون به من جهلهم بصفات الباري تعالى أو بالإشراك معه غيره، أو بإنكار وجوده، أو مساواة غيره معه في الألوهيّة أو الرّبوبيّة، بغضّ النّظر عن حكمهم في الآخرة المرتبط بوقوفهم على الحقّ وكيفيّة قيام الحجّة عليهم، غير أنّ الإمام أبا عمّار عبد الكافي وبعد أن نقل إجماع

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص183.

[2]- م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص312، 313.

[3]- منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، سعيد بن خميس الشّقصي، ص482.

الإباضيّة[1] على تشريك الملل المخالفة للإسلام، نقل رأي عالمين إباضيين خالفا ذلك وهما: شعث بن عمير، وابن أبي مقداد، ومحصّل رأيهما: عدم تسمية الملل المخالفة للإسلام بالمشركين، مع إقرارهم بإجراء أحكام القتل والسّبي وغنيمة الأموال والجزية عليهم، فيكون بذلك خلافهم في التّسمية لا غير.[2]

المبحث الثّاني: أقل ما يكون به المرء مؤمنا:

تكاد تجمع كلمة علماء الإباضيّة على أنّ تعريف الإيمان اصطلاحا: هو التّصديق بالجنان، واللسان والجوارح بكلّ ما جاء به سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم عن طريق الوحي،[3] والمطبّق لهذا التعريف يدخل في دائرة الموحّدين الموفّين فتجب له الولاية من دعاء ومحبّة ونصرة في الحياة والاستغفار والترحّم بعد الممات، والإيمان باعتباره الروحاني النفسي هو الوقود المحرّك للعواطف والجوارح نحو النّزوع للفعل أو الترك وسّبيل ذلك قوّة الاعتقاد ورسوخ اليقين القلبي الذّي بوجوده يترقى المكلّف في مراتب الالتزام والتقوى، مشبعا بعبادته ربّه أقسام كيانه الثّلاث: العقل والجسم والرّوح، فإذا وصل تلك المرتبة نال السعادة في علاقته بربّه وهي ما يطلق عليه في المصطلح الشّرعي بحلاوة الإيمان، فلم يحتج بعدها إلى رادع على الترك أو جائزة على الفعل، ومن خلال هذا نرى أنّ قِوام العمليّة الإيمانيّة وذروة سنامها باطنيّ بشكل رئيس، ومن هنا جاز الاستفهام حول الإقرار الظّاهر وعدمه كشرط في الإيمان إذا وقر القلب وأذعن وهل الاكتفاء بالتسليم الباطني كاف في إسلام المرء؟ إذا لم ينطق بالشّهادتين وهو قادر.

---

[1]- نصّ كلام أبي عمّار: «اجتمعت الأمّة ولا نعلم لهم خلافا..»، ومعنى الأمّة في معظم استعمالاته لها في هذا الكتاب، إجماع الإباضيّة،

[2]- الموجز، لأبي عمّار عبد الكافي، ج2، ص173، ويذكر أبو عمّار في نفس المسألة مخالفة عيسى بن عمير وأصحابه لجمهور الإباضيّة، دون أن يحدّد نقطة الخلاف، واكتفى بقوله: «وقد تكلّف أصحاب عيسى في هذا المعنى مسائل، وحاول بها إبطال حجج الله الظّاهرة على أهل دينه، فكان النّقض عليه من الأيمّة الرّاشدين النّاصرين لدين الله»، م، ن، لأبي عمّار عبد الكافي، ج2، ص179

[3]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص427.

اختلف العلماء الإباضيّة في أدنى ما يكون به المرء مؤمنا خارجا عن الشّرك، فذهب جمهور منهم ومن غيرهم إلى أنّه لا يخرج المرء من الشّرك إلى الإيمان بعد قيام الحجّة في لزوم الجملة، إلّا بالتّصديق بالجنان والإقرار باللّسان، قال القطب: قال النّووي: إنّ أهل السنّة من المحدّثين والفقهاء والمتكلّمين اتّفقوا على أنّ من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته، كان مخلدا في النّار، قال- أي السّالمي-: ولكن يردّه ما ثبت أنّ لكلّ واحد من مالك وأحمد والشّافعي وأبي حنيفة قولا بأنّه مؤمن عاص بترك التّلفّظ، وذهب القليل منهم -الإباضيّة- ومن الأشاعرة وغيرهم إلى أنّ الإيمان بالقلب مجزٍ دون النّطق باللّسان، وهو رأي القطب إذ يقول: ولست في ذلك قاصدا لمخالفة أصحابنا رحمهم الله، ولكن ذكرت ما أدّى إليه اجتهادي، يقول السّالمي: وليس هذا الإمام بأوّل قائل بهذا المذهب من أصحابنا، فقد حكى الإمام -الكدمي- رضوان الله تعالى عليه في معتبره الخلاف المذكور، واختار أنّ الواجب في الإيمان هو الاعتقاد ما لم يطالب بالنّطق، فإذا طولب به كان عليه أن يقرّ بما اعتقده من دين الله تعالى، وإلا حُكِم عليه بالشّرك المبيح لدمه وماله،[1] ومن القائلين بالاكتفاء بالاعتقاد الإمام عبد الوهّاب وابن زرقون.[2]

واستدلّ الفريق الاوّل بما رُوِي أنّ الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللّسان، وبقوله صلى الله عليه وسلّم «أُمرت أن أُقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دمائهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله تعالى»،[3] ولم يرد أنّه قال: "حتّى يصدّقوا" (وأجيب عن ذلك) بأنّ الرّواية لا تحمل دليلا صريحا على أنّ ترك الإقرار شرك، بل غاية ما فيه أنّ الاقرار من الإيمان، وهو مسلّم وعلى تسليم

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص190.

[2]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص111.

[3]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم، رقم: 25. رواه مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمّد رسول الله، ويقيموا الصّلاة، ويؤتوا الزّكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النّبي صلى الله عليه وسلّم، رقم: 34.

أنّه من الإيمان فتركه لا يوجب شركًا، وأيضا أنّ النّطق هو شرط لإجراء أحكام الإسلام بدليل أنّه رتّب عليه حقن الدّماء والأموال.

واستدلّ الفريق الثّاني بما حاصله إضافة الإيمان إلى القلب مثل: (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)،[1] (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)،[2] وعطف العمل الصالح عليه في مواضع لا تحصى، ونطق اللّسان من العمل الصّالح، وقرنه بالمعاصي كالاقتتال والقتل والظّلم في نحو: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)،[3] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى)،[4] (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)،[5] ويدلّ على ذلك تعدّيه بالباء فإنّه يتبادر إلى التّصديق، ويدلّ له أنّا إذا رأينا من أحدٍ أمارة المؤمنين حكمنا بإيمانه، وأزلنا عنه حكم الشّرك، وكذا كان على عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم فعُلَم أنّ الإيمان في القلب.[6]

ولا نزاع في أنّ الأحكام الشّرعية مبنيّة على الظّاهر، ويُوكّل ما في القلب إلى الله تعالى وإنّما النّزاع فيما بينه وبين الله: أهو إيمان أم لا... يقول أطفيش: «ومن أصحابنا رحمهم الله تعالى من قال: التّصديق بالقلب من غير نطق يكفي»،[7] ويقول كذلك: «والمراد بالجحود عدم الإقرار والمعرفة سواء مع نفي أو بدونه، فدخل في شرك الجحود من عرف الله ورسوله ولم ينطق بلسانه وقيل هو مؤمن»،[8] وبعد نقله للأقوال رجّح كون ترك النّطق عصيانا وليس كفرا».[9]

---

[1]- النحل106.

[2]- الحجرات14.

[3]- الحجرات 9.

[4]- البقرة 184.

[5]- الأنعام82.

[6]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص190.

[7]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص544.

[8]- م، ن، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص470.

[9]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص191.

وهذه المسألة وإن كانت تقترب من الفقه من حيث تعلّقها بالجواز وعدمه إلا أنّها ذات أبعاد عقديّة، تعين على رسم صورة واضحة لماهية الرّجل الّذي أذعن قلبه للإسلام ولم يجد من يعلّمه الأحكام اللّازم تعلّمها، والخلاف القائم فيها بين مكتف بالمهمّ-الإذعان القلبي- وبين متمسّك بالنّصّ، على أنّ الطّرفين متّفقان بأنّ تفسير الجملة لا يجب عليه الإدلاء به.

وتجدر الإشارة إلى أنّ النّطق باللسان طريق إلى القلب وسبيل نحوه، وكما كان الإلزام للنّفس بالحلف والنّذر لا يكون بالقلب فقط، فكذا يكون الإلزام بتطبيق أوامر الباري عزّ وجلّ واجتناب نواهيه باللسان مع القلب أدعى لتقييد النّفس وإقامة الحجّة عليها بميثاقين غليظين هما: القلب واللسان.

المبحث الثالث: إيمان أهل الفترة -انقطاع النّبوة-:

تعدّ هذه المسألة من بين المسائل الّتي حصل فيها تأثّر وتأثير بين بعض علماء الإباضيّة ومدرسة أهل الاعتزال، ويشرح هذه المسألة الإشكال التّالي: هل تقوم الحجّة على العقل إذا أدرك بعض العبادات قبل ورود الشرع؟

ممّا يُقرّره الإباضيّة في أصولهم أن لا تكليف قبل ورود الشّرع، وأن معرفة العقل للتّكاليف المفروضة أمر لا سبيل له عليها إلا بنور من الوحي، ولذلك تجدهم يعذرون أهل الفترة[1] الّذين لم يستنيروا بنور وحي من نبي أو رسول،[2] لأنّ عمل العقل عندهم قاصر على سوى معرفة الله تعالى، بل لا بدّ من رسول أو معبّر عدل يُنقل الشّرع عنه، فيترتّب حينها الثّواب والعقاب على المكلّف باعتبار الحجّة الواقعة عليه، ويرى الإمام أبو عمّار عبد الكافي أنّ قصور العقل عن

[1] -الفترة لغةً: الانكسار و الضّعف يَفْتُرُ ويَفْتِرُ فُتُورًا: سكن بعد الحدّة، ولان بعد الشدّة، والفَتْرَةُ: ما بين كلّ نبّيين، وفي الصّحاح: ما بين كلّ رسولين من رسل الله عزّ وجلّ من الزّمان الّذي انقطعت فيه الرّسالة، لسان العرب، ابن منظور، ص3341.

[2] - مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص70.

إدراك القضايا الشّرعيّة عام وشامل حتى لمعرفة الوجود الإلهي وفي ذلك يقول: « وقال أهل الحقّ في ذلك، إنّ حجّة الله الّتي يثبت بها فرض دينه على عباده، فيما تعبّدهم به من طاعته، وزجرهم به من معصيته، قد قامت على النّاس من جميع البالغين... برسل الله الّتي أرسلها إلى خلقه، وأنّ النّاس لن ينالوا شيئا من معرفة الله في الدّلالة على توحيده، ولا من معرفة شيء من دينه إلّا بتوقيف الله لهم على ألسنة رسله».[1]

من جهة أخرى جعل كل من الإمامين أبي يعقوب والقطب الحاكميّة للعقل في مسألة معرفة وجود الصانع،[2] ويقصدان بالحاكميّة هنا ما يترتّب عليها من الثّواب والعقاب مقيّدين إيّاها بما بعد بلوغ الحلم أي أوان التكليف، فتقوم الحجّة على المكلّف إلزاما إذا توصّل بعقله إلى معرفة خالقه فلا يسوغ له بعدها أن يتراجع إلى الشرك أو الإلحاد.

أمّا في غير ذلك فقد قرّر علماء الإباضيّة أنّ لا حاكميّة للعقل –أي لا تقوم به حجّة– في معرفة عبادة من العبادات كالصّلاة والصوم وغيره، أو ترك النّواهي، إلا ما كان من خلاف ابن بركة وأبي سعيد الكدمي للجمهور في هذه المسألة، إذ يذهب هاذان الإمامان إلى أنّ من «خطر بباله إحدى فرائض الدّين وعرف معناه كان عليه حجّة عند الإمامين جميع من عبّر له الحقّ في ذلك، ولو مشركا أو صبيّا أو سمعه من طائر أو وجده منقوشا في حجر، ففهم العبارة في جميع ذلك، لأنّ الحقّ يقوم بنفسه من غير نظر إلى من جاء به ولقوله صلى الله عليه وسلّم: " اقبل الحقّ ممّن جاءك به بعيدا كان أو قريبا، وردّ الباطل على من جاءك به بغيضا كان أو حبيبا "[3] ....واعلم أنّ من قامت عليه حجّة فرضيّة ذلك الفعل ولم يعرف كيفيّة أدائه وجب عليه بعد دخول الوقت أن يسأل من قدر عليه، فإذا وجد من يعلّمه ذلك وجب عليه أن يؤدّيه كما علم إن أصاب المعلّم الحقّ وإن لم يجد وجب عليه أن يخرج في طلب من يعلّمه من غير

---

[1]– الموجز، لأبي عمّار عبد الكافي، ج2، ص139

[2]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص70.

[3]– لم نعثر على تخريجه.

ضرر به ولا بمن يعوله، فإن خشِي أن يفوته الوقت قبل وجود المعبّر أو لم يستطع الخروج كان عليه أن يؤدّي ذلك الفرض كما حسُن في عقله مع الدّينونة بالسّؤال عن ذلك، فإذا أدّاه كذلك ثمّ وجد من يعلّمه كيفيّة الأداء كان عليه أن يرجع إلى ما علّمه المعلم، فإن وافق تعليم المعلّم فَعله الأوّل فلا قضاء عليه اتّفاقا، وإن خالفه فقد اُختلف في وجوب القضاء عليه، ذهبت طائفة إلى وجوب القضاء عليه، وآخرون إلى عدمه واختلف القائلون بوجوب القضاء على قولين منهم من أوجب عليه القضاء بالفور، ومنهم من جعله دينا في ذمّته يؤدّيه متى شاء، هذا كلّه بناء على مذهب الإمام –أبو سعيد الكدمي– رضي الله تعالى عنه، والّذي يخرج على مذهب الجمهور أن ليس عليه أن يفعل كما حسُن في عقله، لكن عليه الطلب والسّؤال في الوقت فإذا خرج الوقت ارتفع اللّزوم حتّى يدخل مرّة أخرى وهلمّ جرًّا، والفرق بين قول الإمامين: أنّ الإمام (أبا سعيد) يتفرّع عن قوله وجوب النّوم على من حسُن في عقله، إذ ذلك هو كيفيّة أداء الفرض الّذي لزمه وكذلك أيضا يترتّب عليه وجوب فعل المحرّم على من حَسُن في عقله أنّ ذلك هو كيفيّة الأداء ولم يبلغه في دين الله حلال وحرام، وأمّا ابن بركة فقد أوجب على صاحب الجزيرة الّذي لم يبلغه حلال ولا حرام أن يترك ما قبح في عقله فعله كذبح الحيوانات، فإنّها حيوان مثله والعقل يقبّح ذبح مثله ويخرج عن قوله بالعقل المقبّح عقل كلّ شخص بالنّسبة إليه فيجب على هذا خلاف ما يجب على الآخر، لتفاوت العقول فتعدّد الواجبات بحسب تعدّد الأشخاص العقلاء، وهذا اللّزوم أيضا موجود في مذهب الإمام».[1]

ويُفهم من كلام الورجلاني ميله إلى قول الجمهور من الإباضيّة.[2]

ويردّ السّالمي على شبهتين رئيستين وجّهتا إلى الإمامين في هذا الموضوع فيقول: «فإن قيل يلزم الإمامين تنجية من خالف الشّرع وتهليك من وافقه، قلنا: نعم وكأنّهما أرادا أنّ ذلك هو حكم الله على ذلك المكلّف في تلك الحالة، فإن قيل: فما الفرق حينئذٍ بين مذهبهما وبين ما

[1] – مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص142، 143.

[2] – الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص9.

ذهبت إليه المعتزلة فإنّ الكلّ قائل بتحكيم العقل، قلنا: أنّ الإمامين قالا بتحكيمه عند عدم ورود الشّرع، فإذا وُجِدَ الشّرع أوجبا ترك حكمه والعدول إلى حكم الشّرع، والمعتزلة قالوا بتحكيمه ورد الشّرع أم لم يرد».[1]

وتجدر الإشارة أنّ هذه المسألة من المسائل الخلافيّة الّتي تبنّاها الإمام السّالمي أوّل الأمر ثمّ تراجع عنها بعد ذلك، إذ يقول «هذا ولقد كنت أوان نظمي لهذه القصيدة لا أرى في هذا غير رأي ذينك الإمامين، فاقتفوت فيها أثرهما، ثمّ بعدما استفرغت الوسع في استحصال هذه الحادثة لم أر إلّا ما قدّمت ذكره، وهو موافقة الجمهور فوجب عليّ إيضاحه ...»،[2] إلّا أنّ هذا الإمام يفضّل عدم الخوض في هذه المسألة إلا ما كان من أمر التعليم أو الردّ على الشّبه معلّلا ذلك بأنها أقرب إلى مسائل القدر الّتي نهينا عن الخوض فيها.[3]

وتأثّر الإمامين –أبي سعيد وابن بركة– بالمنهج الاعتزالي واضح في اقترابهما من تبنّي مسألة التحسين والتقبيح العقليّين، والّتي أثبتها المعتزلة في أصولهم مشيرين إلى أنّ شكر المنعم واجب قبل ورود الشّرع، واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك، وورود التّكاليف ألطاف الباري عزّ وجل،[4] فكون العقل مخوّلا له إدراك المحاسن والنّفور من سيّء الطّبائع سائغ، بينما ترتّب التكليف والحساب على هذه المعرفة العقليّة هو الذّي خالف فيه المعتزلة جمهور العلماء ومنهم المشهور عند الإباضيّة وإليه أشار الشّيخ أطفيش بقوله في الردّ على من قال يدرك علم الدّين بغير تعلّم «هو مذهب المعتزلة إذ قالوا بالتّحسين والتقبيح العقليين، وقال به **شاذٌّ من**

[1]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص143، 144.

[2]– م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص71.

[3]– م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص139.

[4]– الملل والنّحل، الشّهرستاني، ج1، ص57.

أصحابنا ولا يتابع عليه، متمسّكا بقوله تعالى (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)،[1] والجواب أنّ المعنى إدخال الفجور والتقوى في القلوب بواسطة السّماع».[2]

المبحث الرابع: الإيمان:

الإيمان في اللغة: «بمعنى التّصديق، ضدّه التكذيب، يقال آمن به قوم وكذّب به قوم».[3]

وفي الشّرع يعرّفه الإباضيّة بأنّه: التّصديق في القلب بما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلّم والإقرار والعمل، وكلّ طاعة إيمان نفلا أو فرضا،[4] ويذهب الشّيخ أطفيش إلى تعريف الإيمان بأنّه التصديق القلبي مع اعتبار أنّ الإقرار باللّسان والعمل بالجوارح ممّا يتمّ به الإيمان ويكمل، وإلى هذا ذهب أبو سعيد الكدمي،[5] ومن العلماء من يعطي لتعريف الإيمان بعده الواقعي الحركي، كفعل الإمام أبي عمّار عبد الكافي إذ يركّز في صياغة مفهومه للإيمان على البعد العمليّ فيقول: « هو جميع ما أمر الله به عباده، وتعبّدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فكلّ ذلك إيمان لله، ودين له».[6]

---

[1]- الشّمس8.

[2]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص582.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ص141.

[4]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص540.

[5]- معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص68، ومثله قول الإمام الخليلي « الإيمان عقيدة تستلزم العمل الصّالح و اجتناب المحظورات » معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص68.

- محمّد بن سعيد بن محمّد سعيد الكدمي النّاعبي، أبو سعيد، (حي: 272هـ)، من كبار علماء عمان المحقّقين، درس على يد: محمّد بن روح الكندي، ورمشقي بن راشد، وأبو الحسن بن محمّد النّزوي، كان مرجع الفتيا في عمان حتّى لقّب بـ: "إمام المذهب"، سجّلت له العديد من المؤلّفات منها: الاستقامة، المعتبر، زيادات الأشراف الّذي تعقّب فيه كتاب الإشراف لابن المنذر النّيسابوري الشّافعي. معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، ص399.

[6]- الموجز، أبو عمّار عبد الكافي، ج2، ص91.

وسنتناول بحول الله تعالى في هذا المبحث مسألتين كانتا مثار أخذ وردّ بين علماء الإباضيّة وهما، تسمية مرتكب الكبيرة، ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه .

المطلب الأوّل: تسمية مرتكب الكبيرة:

اتّفقت كلمة الإباضيّة سلفا وخلفا على أنّ مقترف الكبيرة الذّي يموت على غير توبة منها وإصلاح –إذا لزمه ذلك– هالك في الآخرة لا ترجى له النّجاة أبد الآبدين، وأنّ اختلاف الآثام كثرة وقلّة لا يغيّر من مصير صاحبها الأخروي بل تختلف دركاته في دار الجحيم فقط.

والكبيرة لغةً: «مشتقة من كبُر الأمر كِبرا، عظُمِ وكلّ ما جسُم فقد كبُرَ، والكبيرة: الفعلة القبيحة من الذّنوب المنهيّ عنها شرعا العظيم أمرها كالقتل والزّنى والفرار من الزّحف».[1]

وعند الإباضيّة الكبيرة: هي ما عظُم من المعصية فعلا أو تركا بأن أوجب الله تعالى على فاعلها الحدّ في الدنيا أو الوعيد في الآخرة،[2] وقال الشّيخ أطفيش: «الكبيرة ما جاء فيه الوعيد سواء جاء فيه الحدّ أم لا، ويُقاس ما جاء فيه الوعيد ما لم يجئ لجامع، كما جاء الوعيد في التّطفيف والسّرقة فيُقاس عليهما الإخبار بأنّ هذا من عمل بلد كذا، أو من عمل فلان ممّا فيه جودة، وليس كما قال ...وغير ذلك صغائر، وذلك هو المشهور في المذهب، وليس المشهور أنّ كلّ ذنب كبيرة كما قيل، بل يذكرون أنّ كذا كبيرة وأنّ كذا معصية»،[3] وقد ذكر السّالمي لها ثمانية تعريفات،[4] جلّها يتّفق على كون الكبيرة كل محرّم لعينه بنصّ صريح يترتّب على فاعله الوعيد.

---

[1]– لسان العرب، ابن منظور، ص3809.

[2]– معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص900.

[3]– شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص530.

[4]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص379، 380، 381.

ومن خلال هذه التعاريف نلاحظ أنّ المشهور من المذهب تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر[1] لا يصل المرء بكليهما إلى درجة الكفر الصّريح أو الشّرك إلّا بالاستحلال، وأمّا الصّغيرة فلا تدخل مرتكبها درجة الفسوق إلّا إذا أتاها باستخفاف أو أصرّ عليها، والصّغائر مغفورة باجتناب الكبائر.[2]

وأمّا آتي الموبقات والكبائر من الذنوب، فقد اختلف الإباضيّة في تسميته مؤمنا، مع اتّفاقهم على نعته بكفر النّعمة.

«والكفر في اللّغة: نقيض الإيمان، ويقال أهل الدّار قد كَفَرُوا إذا امتنعوا وعصوا و"كفر النّعمة" هو نقيض الشّكر، وكَفَرَ بِهَا: جحدها وسترها، ويقال رجل كَفُورٌ وامرأة كَفُورٌ وجمعهم كُفْرٌ».[3]

ويستدلّون على ذلك بجملة من الآيات والأحاديث منها:

قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)،[4] وبقوله تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)،[5] وكذلك (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً).[6]

ومن الأحاديث ما رواه مسلم: «ليس بين العبد والكفر إلّا تركه الصّلاة»،[1] وبقول المعصوم صلى الله عليه وسلّم «لا ترجعوا بعدي كفّرا يضرب بعضكم أعناق بعض»،[2] وحديث «لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن»،[3] «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».[4]

---

[1]- يروي الإباضيّة عن ابن عباس قوله : ليس فيما يعصى به الله صغير ، وهذا القول يفيد التسوية بين الصّغائر والكبائر ، وقد ذكر السالمي عن بشير بن محبوب بن الرّحيل أنّه يقول بهذا القول. مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص488.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص384.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ص3898.

[4]- البقرة 152.

[5]- البقرة 85.

[6]- آل عمران 97.

وكذلك يسوق الإباضيّة أدلّة من اللغة على رأيهم هذا منها: أنّ الكفر يطلق على من جحد أنعم الله وسترها وقد قال عنترة في معلّقته:

نبّئت عمروا غير شاكر نعمتي والكفر مخبثة لنفس المنعم.[5]

وفي مقابل كفر النعمة، الكفر المخرج من الملّة والّذي يشير إليه صاحب المشارق بقوله:

والكفر قسمان جحود ونعم وبالنّفاق الثّاني منهما وسم.[6]

ومنهم من يتوسّع في الوصف، فيعمّم الإطلاق بالفسوق والنّفاق كما قال الشّيخ أطفيش: «واعلم أنّ تسمية مرتكب الكبيرة عندنا معشر الإباضيّة الوهبية كافر كفر نفاق وكفر فسق وكفر نعمة وكفرا بالجارحة، كلّ ذلك معنى واحد، وهو مذهب الحسن البصري ولا يقال له مؤمن ومسلم بمعنى موحّد».[7]

والإشكال القابع في هذه السألة مفاده: هل يسمّى مرتكب الكبيرة مؤمنا أم لا؟.

1-الفريق الأوّل: وهم الرّافضون لهذه التسمية، لأنّ الأصل في الإيمان عندهم أنّه لا يطلق إلا على الموفي،[8] وربّما يستعيض بعضهم بلفظة "الذّي آمن" عن لفظة "المؤمن" كأبي عمّار

---

[1]- رواه محمّد بن عيسى التّرمذي، السّنن، مكتبة المعارف الرّياض، علّق عليه الشّيخ ناصر الدّين الألباني، ط1، دت، باب ما جاء في ترك الصّلاة، رقم : 2618.

[2]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم: 103، رواه أبو داود، السّنن، كتاب السنّة ، باب الدّليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: 4686.

[3]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب المظالم، باب النّهب بغير إذن صاحبه رقم: 2255، رواه التّرمذي، السّنن، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، باب لا يزني الزّاني وهو مؤمن، رقم: 2625.

[4]- رواه البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب: ما ينهى عن السّباب واللّعن رقم: 43، رواه التّرمذي، كتاب الصّلة، باب ما جاء في الشّتم، السّنن، رقم: 1983.

[5]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى بن محمّد وينتن، ص320.

[6] - مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص510.

[7]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص532.

[8]- م، ن، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص400.

عبد الكافي الذّي يقول: «وأمّا عن سؤالهم عن الاسم الّذي يسمّى به من ءامن بالله وبمحمّد صلى الله عليه وسلّم فنقول الّذي آمن ولا نقول هو مؤمن كما قال تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا ...» وأمّا قولهم كلّ اسم في لغة العرب مشتقّ من فعله فإنّا ههنا نجد أفعالا كثيرة وليس لها أسماء مشتقّة منها وذلك نجد من يبني بيتا واحدا ويخيط ثوبا واحدا ولا يسمّى بناءً أو خيّاطا لقلّة استمراره عليه وذلك مثل المنافقين (وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً)،[1] (وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ)،[2] (أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً)،[3] ...ولأنّه لا يخلو هذا الّذي معه بعض الايمان وبعض الكفر من أن يسمّى بهما جميعا، أن يسمّى بأحدهما دون الآخر فبطلت التّسمية جميعا، إذ لا يجوز أن يجري عليه حكمان مختلفان، متضادان، فيكون من أهل الولاية والمودّة...ثمّ هو من أهل العداوة والبغضاء، فلما استحال عليه هذان الحكمان وبطل أن يسمّى مؤمنا ولم يبق إلّا التّسمية بأنّه كافر»،[4] وعلى نهجه إسماعيل الجيطالي كذلك إذ يقول: «ويسمّى مرتكب الكبير والّذي آمن لأنّ المؤمن اسم للبدن، ولا يكون إلا للموفي»،[5] وهو قول الشمّاخي،[6] ويستدلّ أصحاب هذا الرأي كذلك بقياس الإيمان على التوحيد لأنّ المسلم لا يسمّى مسلما إلّا إذا أتى بجميع خصال التوحيد، دون إنكار أحدها، وكذلك الإيمان لا يتلبّس به إذا استوفى جميع خصاله. [7]

2- أمّا الفريق الثاني: فيرى جواز تسمية مرتكب الكبيرة بالمؤمن باعتبار ما هو موجود في قلبه من التوحيد والتصديق، لأنّ الإيمان عندهم يطلق بمعنى العمل تارة وبمعنى التّصديق تارة

---

[1]- النساء 142.

[2]- النساء 150.

[3]- النّساء 151.

[4]- الموجز، أبو عمّار عبد الكافي، ج2، 101، 102، 103.

[5]- قناطر الخيرات، أبو الطّاهر إسماعيل الجيطالي،ص339.

[6]- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص504.

[7]- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص 246.

أخرى[1] ومرتكب الكبيرة لاشكّ مصدّق بالله ومقرّ بما جاءت به رسله، فيسمّى مؤمنا من هذه الحيثيّة، ومن القائلين بهذا القول الشّيخ أطفيّش الّذي صرّح بأنّ صاحب الكبيرة يسمّى مؤمنا على أساس ما عنده من التّصديق والإقرار بالتّوحيد وكذلك أبو المؤرّج السّدوسي، مع –طبعا– عدم التّسوية بينهما في الجزاء.[2]

ومن العلماء من يفرّق بين المؤمن الموفي والمؤمن المقرّ فيجعل الأولى لا تطلق إلا على من كان ذا التزام كامل بالدّين والثّانية على من صدّق بأصل الإيمان فيجعلان للمسلم إطلاقين حقيقيّن يختلفان باختلاف الاعتبار وقد اختار الجيطالي هذا الرأي كقول ثان له[3] وكذلك السالمي إذ يقول: «ومن أخلّ بشيء من الواجبات لا يُسمّى مؤمنا مسلما عندنا بل يُخصّ باسم المنافق والفاسق والعاصي والكافر ونحوِ ذلك، ونعني بمنع تسميته مسلما مؤمنا أو مسلما فقط التّسمية الّتي ينبني عليها حكم المؤمنين من الولاية واتباعها، أمّا إطلاق التّسمية من غير ترتّب حكمها عليها **فجائز** لأنّا نقول في حقّ المخلّ بالفرائض العمليّات هذا مسلم ولا نريد به انّه وليٌّ، لكن أطلقنا عليه اسم مسلم إمّا باعتبار المعنى اللّغوي وهو الانقياد فإنّه وإن كان غير منقاد في الكلّ فهو منقاد في البعض، وإمّا أن يكون استعمالا عرفيا عامّا حيث أطلقناه في مقابلة المشرك»،[4] فدليل السّالمي في جواز هذا الإطلاق هو انعدام ما يترتّب عنه أُخرويًّا، ويذهب الورجلاني إلى أنّ إطلاق لفظ المؤمن عليه من باب المجاز لا الحقيقة،[5] وأمّا الشّيخ أطفيش فيعللّ هذا الجواز من باب لغوي وذلك: «إنّ اسم الفاعل قد يطلق على من فعل ذلك الشّيء ولو لمرّة

---

[1] – شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص545.

[2] – الفكر العقدي عند الإباضية، مصطفى ابن دريسو، ص405.

[3] – الإمام إسماعيل الجيطالي و فكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، ص277.

[4] – مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص427.

[5] – الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص113.

واحدة فمن خاط مرّة قالوا: خائط ولو لم يقولوا خيّاط»،[1] فهو بذلك يعارض ما ذهب إليه أبو عمار عبد الكافي من كون اسم الفاعل لا يطلق على من قام بالفعل مرّة واحدة.

واستدلّ كذلك من أجاز إطلاق لفظة الإيمان على من صدق وأقرّ ولو لم يوف بالطّاعات، بقوله الله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ)،[2] ولم يشترطوا لها الوفاء بالأعمال، وكذلك قوله تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً)[3] فإطلاق لفظ الإيمان دون الإفصاح عن صفة هذا المؤمن من ناحية الالتزام وعدمه فيه إيماء بمفهومه إلى جواز إطلاق هذه التّسمية من منظور فقهي.[4]

والاختلاف الحاصل في هذه المسألة أسّه وسببه التّضييق والتوسعة من مفهوم الإيمان، فمن العلماء من أثبت الإيمان بمعنى العمل تارة وبمعنى التّصديق تارة أخرى وبمعنى الإقرار تارة وبجمعهنّ،[5] فكان بذلك مصطلح الإيمان أشمل للموفي والمقصّر، ومنهم من يرى أنّ المؤمن إذا أطلق في الدّنيا أُريد به الموّحد، وفي الآخرة هو الآتي للفرائض والتارك لمناهي.

على أنّ المفهوم من كلام الإباضيّة أنّ التّحرّز من التّساهل في إطلاق لفظ الإيمان على من حادّ الله ورسوله بفعل ما نهوا عنه، يعود بالأساس إلى ما يترتّب عن هذا الإطلاق من حقوق الولاية له في الدنيا، وكذلك الوعد له بالجنّة في الآخرة أمّا إذا ارتفعت هذه الموانع فلا ضير حينها من تسميته مؤمنا باعتبار أصل الإيمان اللغوي،[6] أو على المجاز كما قاله أبو يعقوب

---

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص427.

[2]- النّساء 92.

[3]- النّساء 93.

[4]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، ص309، 310.

[5]- شرح عقيدة التوحيد، أمحمّد بن يوسف أطفيّش، ص545.

[6]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص427.

الورجلاني، اتّساقا مع النّظم القرآنيّ في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[1].

المطلب الثّاني: مسألة زيادة الإيمان ونقصانه:

وهذه المسألة ليس أصلا بذاتها و لكنها فرع استلزامي لما قبلها، فمن قال بأنّ مرتكب الكبيرة لا يسمّى مؤمنا نفى عن الإيمان النقصان، لأنّ الإنقاص منه هدمه، وعلى العموم فإنّ المذهب الإباضي ينطوي على أربعة أقوال في هذه المسألة: 1–الإيمان يزيد ولا ينقص وهو مشهور المذهب، 2–لا ينقص ولكن يضعف وهو قول أبو سعيد الكدمي، 3–يزيد وينقص وهو قول أبي خزر يغلى بن زلتاف والجيطالي وأبي عمّار وعبد العزيز الثّميني، وأبو مهدي[2] 4–لا ينقص باعتباره تصديقا و لكن ينقص باعتبارات أخرى خارجة عن أصله وهي الزّيادة في الأعمال ونقصانها وقوّة الأدلّة ...[3] 1– أمّا القول الأوّل فحاصله أنّ الإيمان الشّرعي لا ينقص لكنّه يزيد لأنّه نفس فعل الواجبات فهي تزيد على المكلّف ولا تنقص بمعنى أنّها إذا وجبت لا يصحّ تنقيص شيء منها لا بمعنى أنّه إذا وجبت على العبد لا تُرفع،[4] فإذا بلغ المؤمن حدّ التكليف وجبت عليه الصّلاة ثمّ الزّكاة ثمّ الفرائض الأخرى فيكون إيمانه –الذّي هو بمعنى فعل الواجبات– في ازدياد دائما، على أنّ بعض القائلين بهذا القول كالإمام السّالمي لا يمنعون إطلاق

---

[1]– الأنفال 2.

[2]– البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، فرحات الجعبيري، ص502.

– عيسى بن إسماعيل بن موسى، أبو مهدي، (ت: ذو القعدة 971هـ)، من أعلام بلدة مليكة بميزاب، وهو في حلقة سلسلة نسب الدّين عند الإباضيّة، أخذ العلم عن عمّي سعيد الجربي فكان من أنجب تلاميذه، وأخذ عنه أئمّة منهم، محمّد بن زكريا الباروني، داود بن إبراهيم التّلاتي، حيّو بن دودو، تولّى مشيخة مليكة في عهد أستاذه، اشتهر بالعلم والصّلاح والورع، له تآليف عديدة منها: رسالة إلى أهل ورجلان، جواب في قضيّة خلق القرآن، قصيدة في المواعظ. معجم أعلام الإباضيّة، لجنة البحث العلمي، ج3، ص678، 679.

[3]– معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ص72.

[4]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص434.

كلمة نقصان الإيمان إذا أُريد بها رفع بعض الواجبات عن بعض المكلّفين ويعدّونه خلاف لفظيا ودليلهم في ذلك حديث «ناقصات عقل ودين»،[1] وبيّن نقصان الدّين بترك الصّلاة شطر دهرها بسبب الحيض.[2]

2- أمّا القول بأنّ الإيمان يزيد ويضعف وهو المرويّ عن أبي سعيد الكدمي، فإنّ هذا هو التعبير الأكثر اتّساقا مع المذهب، لأنّ فعل المعاصي يهدم الإيمان، بينما التقليل من الطّاعات وترك فعل المستحبّات إذا لم يكن له عذر فإنّ الحامل عليه غالبا ضعف الشّعور بيقين الله ووعده أو نسيان ذلك وهذا ما يثقل النّفس ويثبّطها على فعل الطاعة، فيكون هذا القول أقرب إلى التفسير الرّوحي وأعمق في تصوير أغوار النفس، وقد أتت عبارات ضعف الإيمان في كلام الإمام أبي الطّاهر الجيطالي، وسعيد بن خميس الشّقصي.[3]

3- أمّا القول بزيادة الإيمان ونقصانه فيفسّره الشّقصي بقوله: «والمؤمنون يتفاضلون في الإيمان على قدر ترقيتهم ...فالأوّل تصديق العامّة المسلمين، واعتقادهم يشتدّ ويقوى تارة ويضعف ويسترخي تارة أخرى، يزداد بعمل الطّاعات وينقص بانتهاك المحرّمات، ورُوي عن النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال «الإيمان يزيد وينقص»،[4] ويستدلّون كذلك بآيات تثبت زيادة الإيمان منها قوله تعالى: (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ)،[5] (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً)،[1] فدلّ ذلك بمفهوم المخالفة على أنّ الإيمان ينقص كذلك.

---

[1]- رواه مسلم، الصّحيح، باب بيان نقصان الإيمان بنقصان الطّاعات، كتاب الإيمان، وقم: 132، رواه أبو داود، السّنن، كتاب السنّة، باب الدّليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: 4679.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص434.

[3]- قناطر الخيرات، أبو الطّاهر إسماعيل الجيطالي، ص344.

[4]- منهاج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين، سعيد بن خميس الشّقصي، ص569. رواه ابن ماجة، السّنن، موقوفا عن ابن عبّاس وأبي هريرة، رقم: 74، قال في الزّوائد: إسناد هذا الحديث ضعيف. المقدّمة، باب اتّباع سنّة الرّسول صلى الله عليه وسلّم.

[5]- الفتح 4.

وهذا القول وإن كان قد خالف المشهور من المذهب إلّا أنّه في حقيقة الأمر لم يتعدّ الخلاف في اللّفظ فقط، لأنّ كلا القولين أصحابهما متّفقان على تحريم اقتراف الكبيرة، وأنّ صاحبها مخلّد في العذّاب إذا لم يتب منها، وأنّه معرّض للبراءة منه وهجره وردّ شهادته في الدنيا، وأنّ فعل الكبيرة يحبط حسناته إذا لم يسارع إلى إصلاح ذنبه بالإنابة إلى خالقه جلّ في علاه، فكانت بذلك مساحة الاتّفاق بين القولين أكبر.[2]

4- أمّا القول الأخير فكان أكثر تحرّيا وتفصيلا، فالشّيخ أطفيش بعد أن كان يرى أنّ الإيمان يزيد وينقص غيّر موقفه قائلا بأنّ «الإيمان باعتباره تصديقا لا يزيد ولا ينقص في ذاته ولكنّه يوجد أو يعدم ولكن قد يزيد للأدلّة والبراهين .... وباعتباره عملا متمّما للإيمان فإنّه يزيد وينقص ونستطيع القول بأنّ الإيمان باعتباره إقرارا لا يزيد ولا ينقص.[3]

ونلحظ في هذا القول أنّه تجزيئي أكثر مما قبله كما أنّه ينضوي على الآراء السّابقة في ثناياه، وعلى العموم تبقى هذه المسألة نظريّة بحتة إذ إنّ المختلفين في التسمية متّفقون في المآلات الأخروية والأحكام الدنيويّة المترتّبة على مرتكب الكبيرة سواء سمّي مؤمنا أو لم يسمّ بذلك.

المبحث الخامس: نبوّة آدم عليه السّلام

ذكر سيّدنا آدم عليه السّلام في القرآن في جملة الأنبياء، وذكر الله قصّته سبع مرّات في كتابه العزيز، كما نصّ القرآن الكريم على أنّه أبو البشر خلقه الله من تراب وخلق منه زوجه[4]،

---

[1]- التوبة124.

[2]- للعلم، مسألة زيادة الإيمان ونقصانه من المسائل الّتي عُدّ الخلاف فيها بين الاشاعرة والماتوريديّة، فالماتوريدية أميل إلى القول بثبات الإيمان وعدم تعرّضه للزّيادة والنّقصان كما نقل عن الإمام أبي حنيفة، بينما يجنح الأشاعرة إلى، القول بزيادة الإيمان ونقصانه، لا في ذاته بل في الأشياء العارضة عليه كزيادة البراهين والأدلّة. المسائل الخلافيّة بين الاشاعرة والماتوريديّة، بسّام عبد الوهّاب الجابي، دار ابن حزم، الطّبعة الأولى، 1424هـ/2003م، 229ص

[3]- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، ص298.

[4]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص60.

ولكن الخلاف قد بدا في نبوّته، ومرجع ذلك إلى غياب النصّ الصحيح الصّريح في حسم هذا الأمر، وهذا ما جعل ابن أبي نبهان يرى أنّ آدم لم يكن نبيئا، ونصب لذلك حججا وأدلّة منها:

1- قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[1] ففسّرها الجمهور بالتّفضيل بالنّبوّة، ويجيب النّافون: لو كان الاصطفاء معناه النبوّة فإن مريم تكون نبيئة كذلك لأنّ الله تعالى قال: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ)،[2] وهذا لا يستقيم مع قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً).[3]

2-قوله تعالى: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)،[4] وفسّروا الاجتباء بمعنى النبوّة، ولكنّ المنكرين، أجابوا عن ذلك بأنّ المؤمنين وُصفوا في القرآن الكريم بالاجتباء كذلك في قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ)،[5] ولا يعقل أن يراد بذلك النبوّة بل مطلق التفضيل والتقديم.

3-ما كان من مخاطبته تعالى إيّاه كما حصل مع غيره من الأنبياء كموسى وعيسى وشرّع له تحليلا وتحريما، ويجيب النّافون أنْ ليس كلّ وحي من الله نبوّة، فالباري عزّ وجلّ خاطب زوج آدم كما في الآية (وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)،[6] وخاطب إبليس (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ)،[7] وأوحى الله إلى أمّ موسى كذلك.

---

[1]- آل عمران 33.

[2]- آل عمران 42.

[3]- يوسف 109.

[4]- طه 122.

[5]- الحج 78.

[6]- البقرة 35.

[7]- ص 75.

4- وأمّا ما حُكِيَ من الإجماع فيرى ابن أبي نبهان أنّ هذا الإجماع لا يصحّ انعقاده –في أمور العقيدة– إلّا إذا كان مستنده صريحا قطعيّ الدّلالة من القرآن أو السنّة.

5- وأمّا الأحاديث فيردّها لكونها أحاديث آحاد لا يحتجّ بها في العقائد، ومن ذلك حديث: {أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه أنّ رجلا قال: يا رسول الله: أنبيّا كان آدم ؟ قال: نعم}،[1] ويستروح الورجلاني في حديثه على آدم إلى أدلّة ابن أبي نبهان ثمّ يعدل في النّتيجة إلى قول الجمهور بحجّة الإجماع فيقول: «وقد أوجب بعض الفقهاء معرفة آدم صلوات الله عليه باسمه، وأنّه من الأنبياء، وأنّه أوّل المرسلين، وهذه المسائل الثّلاث مبنيّة على الرّأي وليس فيها في الكتاب نصٌّ ولا في السنّة أثر، فإن كان فمستخرج .... وأمّا نبوّته ورسالته، فليس في القرآن ما يدلّ عليهما نصّا ولا استخراجا، إلّا أن يكون من محاورة الله تعالى لأبناء آدم – اقتبسوا ذلك حيث يقول: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)،[2] وقد جاءت محاورة الرّب لإبليس مشابهة بمحاورته لأبينا آدم صلوات الله على نبيّنا وعليه، لقوله: (مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)،[3] وأمثاله، ولكن المسلمين قد أثبتوا نبوّة أبينا آدم ورسالته، ولم يختلفوا فيهما، ولن تجتمع أمّة أحمد على ضلال».[4]

من جهة أخرى نرى من الإباضيّة من يتشدّد في وجوب معرفة آدم عليه السّلام وأنّ جهله أو الشكّ فيه يفضي بالمرء إلى الخروج من دائرة الدين، كما نصّ على ذلك أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي: «وعليهم معرفة الأب الأكبر أبينا آدم عليه السّلام باسمه ونبوّته

---

[1]- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، ص61، 62، 63. لم نعثر على تخريجه.

[2]- البقرة 35.

[3]- الأعراف 12.

[4]- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج3، ص111.

ورسالته إلى أولاده، وأنّه أوّل المرسلين»،[1] وبعده عمرو بن جميع في عقيدته «ومن قال لا أعرف آدم عليه السّلام فهو مشرك».[2]

وهذه المسألة وإن لم يشتهر الخلاف فيها ولم يبلغ مداه إلا أنّها إشارات حقيقيّة إلى أن ما يذكر في كتب العقائد عند الإباضيّة من تكفير من أنكر الأنبياء أو شكّ فيهم ليس على إطلاقه، وإنّما ينصرف إلى من قامت عليه الحجّة أو امتطى ذلك عصبيّة أو تفكّهًا، أمّا حال المجتهد فلا يحمل هذا الكلام عليه، بدليل أنْ لم يجرؤ أحد على تضليل الإمام ابن أبي نبهان أو تفسيقه على مقالته هذه وإنما وكّل إلى اجتهاده مع مخالفة السواد الأعظم من الإباضيّة له، ومن الغريب أنّ الإمام الورجلاني توقّف في حكم الاختلاف في نبوّة آدم ولم يطلق فيها حكمه ووكّل العلم فيها إلى الله قائلا: «والدّليل على أنّ اسمه آدم فهذا موجود في كتاب الله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[3].... وأمّا حكم المختلفين فيه وحكم الجاهل فالله أعلم، وحكم الشّاك فالله أعلم».[4]

المبحث السادس: عصمة الأنبياء:

العصمة لغة: المنع يقال عصمه الطّعام أي منعه من الجوع، والعصمة الحفظ، واعتصم بالله أي امتنع بلطفه من المعصية،[5] وعِصْمَةُ الله عَبْدَهُ أن يعصمه ممّا يوبقه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به والعصمة الحفظ واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية.[6]

---

[1] – الدّليل والبرهان،أبو يعقوب الورجلاني، ج2 ، ص21.

[2] – مقدّمة التوحيد وشروحها، أبو العباس الشمّاخي، ص103.

[3] – يس 60.

[4] – الدّليل والبرهان، أبو يعقوب الورجلاني، ج2، ص28.

[5] – مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر الرّازي، ص184.

[6] – لسان العرب، ابن منظور، ص2976.

أمّا اصطلاحا فتعرّف العصمة بكونها: عدم قدرة النّبي على المعصية، وهي لطف من الله يبعده عن فعل الشرّ، بمنٍّ منه وفضل وتوفيق، وتثبيت قلبه على الإيمان، قال تعالى: (وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)،[1] ويقول الشّيخ أطفيش: «والعصمة عندنا وعند الأشعريّة: أن لا يخلق الله فيهم ذنبا بناء على ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء إلى الفاعل المختار ابتداء».[2]

والنّبي قبل البعثة غير معصوم من الصّغائر والكبائر، لأنّه لا دليل سمعيّا يثبت عصمته مع عدم استلزامه وقوعه في الكبائر، أمّا بعد النّبوة فقد اختلف الإباضيّة في هذا على ثلاثة أقوال:

1-معصوم مطلقا من أي معصية وهو قول جمهور الإباضيّة، 2-معصوم من الكبائر دون الصّغائر وهو الرّاجح عند القطب،[3] 3-معصوم من خسيس الصّغائر وبه قال السّالمي والتعاريتي.[4]

والملاحظ هنا ذلك التشابه البيّن بين مذاهب الإباضيّة في هذه المسألة و بين آراء المذاهب السنيّة فيها، فقول القطب بجواز الصّغائر على الأنبياء هو اختيار جمهور الأشاعرة الّذين أجازوا صدورها عن الأنبياء على أحد ثلاثة وجوه: 1-السّهو والنّسيان، 2-ترك الأولى، 3-اشتباه المنهي بالمباح،[5] وأمّا قول السّالمي والتعاريتي فيمكن إلحاقه بقول المعتزلة الّذين ذهبوا

---

[1]- الإسراء 74.

[2]- آراء امحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى بن محمّد وينتن، ص231.

[3]- يُنقل عن القطب رحمه الله أنّه كان يقول " أن لا صغيرة لنبيء " ، لكن لم يثبت على ذلك بل قال في تفسير الهميان بجواز صدور الصّغيرة من النّبيء بعد البعثة لكثرة أدلّتها. آراء امحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، ص236.

[4]- معجم مصطلحات الإباضيّة، مجموعة من الباحثين، ص711.

[5]- محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين، فخر الدّين الرّازي، مراجعة: د طه عبد الرّؤوف سعد، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، دار التراث، 1991م، ص161

إلى عدم جواز صدور الصّغائر المنفّرة –الخسيسة– على الأنبياء كقبح المنظر، وأجازوا الصّغائر غير المنفّرة.[1]

ويدخل في هذا السّهو والخطأ، وهم معصومون منه فيما يتعلّق بتبليغ الرّسالة والوحي اتّفاقا، إلا أنّ الشّيخ أطفيش يفرّق بين وقوع الخطاء قبل التّبليغ ووقوعه بعده، فيجعله قبل أن يبلّغ مستحيلا، وأما بعد التّبليغ فإنّه من الممكن أن ينسى أو يسهوَ عنه، ومثاله الطّريقة الّتي تمّ تشريع سجدة السّهو في الصّلاة إذ كانت بعد سهو الرّسول ﷺ في صلاته.[2]

ومهمّ للذّكر، التنويه بأنّ تجويز الكبائر والصغائر على الأنبياء قبل البعثة لا يستلزم وقوع ذلك ويشرح الإمام السّالمي سبب هذا: «لأنّ الجواز أخصّ من الوقوع، وقد قلنا به للاستصحاب الحال مع عدم المانع ولو صحّ دليل منعه لمنعناه لأنّ المنع هو اللّائق بمنصبهم الكريم»،[3] على أنّ السّالمي ينبّه إلى أنّ وقوع الصّغيرة من الأنبياء ومن غيرهم ليستا بنفس الدّرجة، لأنّ صدور مثل ذلك منهم ليس هو من تسليط الشّيطان عليهم، وإنّما منشأ ذلك غفلة أو سهو أو تأويل من فاعله، كما في قصّة آدم عليه السّلام فإن قيل: إنّ ما وقع لآدم هو من كيد الشّيطان لأنّه هو الموسوس والمزيّن لهم ذلك أجبنا– بأنّه ليس ذلك، من تسليط الشّيطان عليه وإنّما وقع بتأوّل آدم عليه السّلام النّهي عن شجرة مخصوصة لا عن جنس تلك الشّجرة، فأكل من شجرة غير المشار إليها لكنّها من جنسها، كذا قيل وفي ظاهر قوله تعالى حكاية عن إبليس (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)،[4] ما يردّه لكن الجواب عنه أنّ آدم عليه السّلام نسِيَ النّهي فأكل بعد النّسيان لقوله تعالى: (وَلَقَدْ

---

[1]– شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبّار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطّبعة الثانية، 1988م، ص573

[2]– آراء امحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى بن محمّد وينتن، ص233.

[3]– مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص296.

[4]– الأعراف 20.

عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)[1] ولا يُردّ هذا بذكر إبليس لهم النّهي لاحتمال أن يكون النّسيان بعد ذلك، وقيل أكل آدم من الشّجرة قبل أن ينبّأ، وعليه فلا إشكال لأنّا لا ندّعي العصمة للأولياء بل للأنبياء ولا ندّعيها لهم قبل النّبوة».[2]

يمكن اعتبار سبب الخلاف في هذه المسألة، عائدا بالدّرجة الأولى إلى الاختلاف في تفسير تلك الإشارات القرآنيّة الّتي تفيد نسبة بعض الأفعال الّتي ظاهرها القبح إلى بعض الأنبياء فيما عدا الجانب التشريعي من حياتهم كقوله تعالى: (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ)،[3] ومنه قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)،[4] وفي خطابه للحبيب صلّى الله عليه وسلّم: (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)،[5] و(عَبَسَ وَتَوَلَّى{1} أَن جَاءهُ الْأَعْمَى{2})،[6] وقوله عزّ من قائل: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)،[7] وغيرها من الآيات الّتي يحتمل ظاهرها جواز التباسهم بالذّنوب، إلّا أنّ بعض المفسّرين جنحوا إلى تأويلها بوجه يتوافق ومفهوم العصمة:

-فأمّا وكزة موسى فكانت قتلا خطأ ليس بالعمد، واستعاذته من الشّيطان الرّجيم لأنّه كان السّبب في إيقاده غضبه حتّى بالغ في شدّة الوكز.[8]

---

[1]- طه 115.

[2]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص298، 299.

[3]- القصص15.

[4]- الأنبياء 87.

[5]- الأنفال68.

[6]- سورة عبس.

[7]- الأحزاب37.

[8]- التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ج20، ص90.

-وأمّا خروج ذي النّون –يونس بن متّى– من قومه وتضّييق الله تعالى عليه فقد رُوِيَ عن مجاهد وقتادة والضّحّاك والكلبي وهو رواية عن ابن عبّاس واختاره الفرّاء والزجّاج انّ يونس ظنّ أن لن يؤاخذه الله بخروجه من بين قومه دون إذن فعلى هذا يكون يونس اجتهد وأخطأ.[1]

-وأمّا في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{67}لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ{68})،[2] فقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ اللّوم النازل في هذه الحادثة وهي قبول الفداء في أسرى بدر، منصرف إلى المسلمين لا إلى النّبي، وفي ذلك يقول الشّيخ الطّاهر بن عاشور: «والكلام موجّه للمسلمين الذّين أشاروا بالفداء، وليس موجّها إلى النّبي، لأنّه ما فعل إلّا ما أمره الله به من مشاورة أصحابه في قوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)،[3] لا سيما على ما رواه الترمذي وابن العربي في العارضة عن عبيدة السلماني عن عليّ أنّ جبريل أتى النّبيء صلى الله عليه وسلّم يوم بدر فخيّره بين أن يقرّب الأسارى فيضرب أعناقهم أو يقبلوا منهم الفداء ويُقتل منكم في العام المقبل بعدّتهم فقال النّبيء لأصحابه: هذا جبريل يخيّركم أن تقدموا الأسارى وتضربوا أعناقهم أو تقبلوا منهم الفداء ويستشهد منكم في العام المقبل بعدّتهم، فقالوا يا رسول الله، نأخذ الفداء فنقوى على عدوّنا ويقتل منّا في العام المقبل بعدّتهم، ففعلوا.[4]

-وأمّا سورة عبس، فإنّها وإن كانت في صورة عتاب الباري تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلّم، إلّا أنّ ذلك كذلك يدخل في صورة الاجتهاد الّذي قصد منه النّبي ورجا أن يهدِي الله على يديه صناندة قريش، وأمّا العبوس فقد رُوِيَ في سببه أنّ النّبي كان يحّث قريشا فقطع ابن أمّ مكتوم حديثه صلى الله عليه وسلّم لهم، وجعل يقول: يا رسول الله استدنني، علّمني، أرشدني،

---

[1]- م، ن، الطّاهر بن عاشور، ج17، ص132.

[2]- سورة الأنفال.

[3]- الأنفال 159.

[4]- التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ج10 ،ص73.

وينابيه ويكثر، النّداء والإلحاح فظهرت الكراهية في وجه الرّسول صلى الله عليه وسلّم، لعلّه لقطعه كلامه وخشيته أن يفترق النّفر المجتمعون.[1]

-وأما في آية الأحزاب، فقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)،[2] وحمل جمهور المفسّرين لها على عتاب النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، بسبب إعرابهم للآية على الحاليّة، بينما من المفسّرين من حملها على أنّها جملة اعتراضيّة تخرج مخرج القاعدة، وتقديرها على معنى آية (فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ).[3]

المبحث السابع: المفاضلة بين الأنبياء:

قال عزّ من قائل: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ .....).[4]

وقال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ).[5]

يبيّن منطوق الآيات الكريمات وجود تفاوت وتباين بين الرّسل من حيث الأفضليّة والسّبق، ويؤكّد هذا امتداح الباري عزّ وجلّ لبعض النّبيين بصفات معيّنة وتكرار ذلك في الكتاب العزيز كقوله في إبراهيم: (وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)،[6] (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً)،[7] (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)،[1] (...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)،[2] وقوله تعالى

---

[1]- التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ج30، ص105.

[2]- الأحزاب37.

[3]- المائدة 44، التحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج22، ص34.

[4]- البقرة 253.

[5]- الأحقاف 35.

[6]- البقرة 130.

[7]- مريم 41.

في موسى: (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ)،[3] (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً)،[4] وقوله في نبيّنا عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)،[5] وغيرها من الآيات.

ومن خلال هذه المعطيات يعنّ منطقيا هذا السّؤال والّذي مفاده، هل للأنبياء أفضليّة لبعضهم على بعض، وإذا كانت هذه الأفضليّة موجودة فما ضابطها؟

الّذي تتّفق عليه كلمة الإباضيّة أنّ سيّدنا محمّدا صلى الله عليه وسلّم أفضل الأنبياء والرّسل قاطبة،[6] وأنّه المقدّم فيهم، ويذكر الشّيخ أطفيش أوصافا جمعها النّبي لحيازته هذا التقديم ومنها كونه خاتم النّبيين والمرسلين وأنّ الله تعالى قال فيه (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)[7] واستنتج الشّيخ أن الرّسول يُذكر مع الله في الأذان والإقامة والدّخول في الاسلام وليس ذلك لسائر الانبياء، وكذلك قرنه به في الطّاعة والبيعة وغيرها، لقوله تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)[8] (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)،[9] وكذلك أنّه نادى الأنبياء في القرآن بأسمائهم، وناداه باسم النبوّة والرّسالة، (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)،[10] (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)[11]».[12]

---

[1]- النساء125.

[2]- التوبة114.

[3]- البقرة53.

[4]- مريم 51.

[5]- التوبة 128.

[6]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص302 ،

[7]- الشّرح 4.

[8]- النّساء 80.

[9]- الفتح 10.

[10]- المائدة 67.

[11]- الطّلاق 1.

[12]- آراء الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصطفى بن محمّد وينتن، ص243، 244.

على أنّ الشّيخ أطفيش يرى أنّ التّفضيل ليس واقعا في ذات النّبوة، ولا في درجة الاجتهاد في تبليغ الرّسالة، ولكنّ التفضيل متعلّق بذات النّبيء، فالنّبيء المفضّل فُضّل لأمر ذاتيّ فيه، ومردّ ذلك إلى حكمة الله عزّ وجلّ الّتي تخفى على الانسان.[1]

وبالنّسبة إلى أولي العزم من الرّسل، فقد فسّرهم الشّماخي بأنّهم أهل القوّة والصّبر، وذهب الجمهور إلى تحديدهم وهم خمسة يذكرون على الترتيب، محمّد صلى الله عليه وسلّم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح ووافقهم على ذلك الشّيخ اطفيش.[2]

وعلى الرّغم من أنّ الإمام السّالمي تابع جمهور الإباضيّة على هذا التقسيم في منظومته في العقيدة والموسومة بأنوار العقول فقال:

أفضلهم نبيّنا ثمّ الخليل ثمّ الكليم بعده عيسى الجليل

وبعدهم نوح فباقي الرّسل فالأنبياء ذو المقام الأكمل

وبعد تقريره للاتّفاق على أنّ نبيّنا أفضل الكل،[3] ثم سرده لأدلّة تفضيل باقي الرّسل من أولي العزم على غيرهم،[4] يعدل الإمام السّالمي عن القول بهذه المفاضلة[5] معلّلا ذلك بظنيّة الأدلّة الموضوعة لها وأنّ هذا الموضوع لا مجال للاجتهاد فيه، وإنّما طريقه السّماع فيقول: «وأولوا العزم أفضل من غيرهم، وأنت إذا تأمّلت هذه الأدلّة رأيتها ظنيّة، والاعتقاد علم لا يُبنى على الظنّ فلا يجب اعتقاد هذه المفاضلة كذلك، ولذلك لم يعتن أصحابنا المشارقة بذكر هذه المفاضلة في

---

[1]- م، ن، مصطفى بن محمّد وينتن، ص242.

[2]- م، ن، مصطفى بن محمّد وينتن، ص247.

[3]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص299.

[4]- م، ن، عبد الله بن حميد السّالمي، ص300، 301.

[5]- وهذه عادة الإمام السّالمي الّتي تتكرّر معه كثيرا في منظوماته العقديّة والفقهيّة أنّه يذكر القول في منظومته وربّما يدلّل عليه، ثمّ يُظهِر ميله و ترجيحه خلاف ذلك القول في شروحه، وعلّة فعله ذلك أنّه يدأب على ذكر مشهور المذهب الإباضي في قصائده التعليميّة احتراما لعلماء المذهب.

كتبهم لأنّها موقوفة على السّماع من الشّرع، ولم يرد فيها تصريح خبر ولو قدّرنا فيها وجود ذلك لقلنا خبر آحاد لا يثبت به الاعتقاد ولو تواتر لاشتهر، نعم يجب اعتقاد أفضليّة نبيّنا صلى الله عليه وسلّم على جميع الخلق لإجماع الأمّة المحمّدية على ذلك، وللأخبار المرويّة عنه في ذلك أيضا وقد تلقّتها الأمّة بالقبول ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».[1]

ولعلّ الّذي ذهب إليه السّالمي هو الّذي روي عن سيدنا ابن عباس حين قال: «كلّ الرّسل أولوا عزم»،[2] وقريب منه الّذي أشار إليه الزّمخشري في تفسيره لقوله تعالى: (من الرّسل)،[3] إذ قرّر بأنّ "من" بيانيّة وليست تبعيضيّة أي أنّ أولوا العزم صفة لكلّ الرّسل ولا تعني التفرقة بينهم بالضّرورة،[4] وهذا القول في نظرنا أسلم من الناحية الاستدلاليّة لعدم قيام دليل قوي في المسألة بل جلّها إشارات محتملة، على أنّ اعتقاد هذه الأفضليّة أو عدمها ليس ممّا يقدح في إيمان المسلم ولا يغيّر من سلوكه التعبّدي شيئا، فباجتماع هذه الأشياء كان التوقّف في هذه المسألة الحلّ الأسلم والموقف الأنجع.

[1]- مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السّالمي، ص302.

[2]- التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ج26، ص67.

[3]- الأحقاف 35.

[4]- الزّمخشري، الكشاف، ج5، ص259.

خاتمة

يعتبر رفع الخلاف بين علماء الأمّة في القضايا الشّرعيّة طلبَ ما لا يحصل عليه، إذ إنّه أمر للعقول بالتّحجّر والتّصلّب والانقياد نحو التّسليم لاجتهادات سابقة، قد تكون محلّ بحث وموطن إعادة نظر، على أنّ الدّليل الأكبر والأجلى في ذلك ما يجود به التّاريخ للباحثين والمتصفّحين له من أنواع الخلافات والنزاعات الّتي تدلف على البناء الفكري المستقل ذي الأصول الموحّدة، ولعلّنا بعد هذا التطواف والتّجوال بين سبع عشرة مسألة خلافيّة كلاميّة نستطيع أنّ نَصْدُق في ادّعائنا بكون حلّ الإشكال المطروح في بداية البحث أضحى جليّا، وأنّ اتّفاق المجتهدين–من أي مذهب– في الأصول والمبادئ لا يعني استصحاب ذلك في النتائج والاستنباطات، ولا أدلّ على هذا من أنّ الخلاف –الذّي استقرأناه عند الإباضيّة في القضايا الكلاميّة من خلال كتب علم الكلام المعتمدة في هذه المدرسة– قد شمل مباحث العقيدة كلّها.

ففي الإلهيات نرى الخلاف قائما في مسألة قدم صفات الأفعال، وتعيين صفتي الرّضا والسّخط، وشرح صفة الكلام منسوبة للباري تعالى، والكسب والجبل.

وفي السمعيّات أو الغيبيّات نرى الخلاف باديا في المسائل التّالية: خلق الجنّة والنار، ماهيّة أصحاب الأعراف، وإثبات عذاب القبر، إثبات أشراط السّاعة، وماهيّة الصّراط في نصوص الوحي، وتعيين الصّغائر.

وفي النبوّات نرى الخلاف في مسألة عصمة الانبياء، والمفاضلة بينهم، ونبوّة سيّدنا آدم،.

وفي الانسانيّات يلوح الخلاف في مسألة تعيين ماهيّة المؤمن، وزيادة الإيمان ونقصانه، ومالا يسع جهله من أصول الدّين، وإيمان أهل الفترة، وأقل ما يكون به المرء مؤمنا.

ممّا يحدو بنا إلى نتيجة مفادها اتّسام خلافات البحث المدروسة بإحدى المزايا الثّلاث:

–خلافات لفظيّة قابلة لحملها على أوجه الخلاف جميعا: مفهوم الصّراط (المحتمل للمعنى الحقيقي والمجازي)، وتسمية مرتكب الكبيرة مؤمنا (الجائز على القول بالمقر والممنوع على القول

بالموفي)، ومسألة الرّضا والسّخط (صفة ذات باعتبارها علم الله بالمآلات، وصفة فعل باعتبارها نفس الثواب والعقاب)، وقدم صفات الأفعال (والقول إنها حادثة وإسنادها إلى القدم سائغ من باب المجاز اللّغوي)، وزيادة الإيمان ونقصانه (وأنّه ممنوع على القول بأنّ الإيمان هو التصديق وجائز على القول بأنّه الأعمال)، وخلق القرآن (الجائز على القول بأنّه الأصوات والحروف، والممنوع على القول بأنّه العلم الأزلي)، والقول بالكسب أو الجبل (لاختلاف التعابير بين الأئمّة مع اتّحاد معتقدهم في نفي الظّلم عن الباري عزّ وجلّ).

-خلافات حقيقيّة خالية من الأبعاد السّلوكيّة والأخلاقيّة: كالخلاف في مسألة خلق الجنّة والنّار، وإثبات أشراط السّاعة من إنكارها، والمفاضلة بين الأنبياء، وإثبات نبوّة سيّدنا آدم،

وخلافات حقيقيّة لها جانب من التأثير السّلوكي، كما أشير إليه في مسألة عذاب القبر، وماهية أصحاب الأعراف (وارتباطها بإحباط أعمال المصرّ على الكبيرة)، وما لا يسع جهله من أمور الدّين (لارتباطها بأحكام التفرقة بين المسلم وغيره)، وقريب منها مسألة أقل ما يكون به المرء مؤمنا، وتعيين الصّغائر من عدمه، وآخرها الحكم على أهل الفترة.

وحريّ بالمتأملّ لأغوار القضايا المتداولة في البحث، ملاحظة ذلك الاهتمام الجمّ الّذي أولاه علماء الإباضيّة بالمواضيع الكلاميّة وقضايا العقيدة وأنّ جلّ إنتاجهم الفكري-تقريبا- كان يصبّ في هذا المنحى، ممّا يدلّ وبشكل واضح على رسوخ قدم علمائهم في هذا الفنّ الذي يندر أن تجد عالما إباضيّا لم يؤلّف فيه.

على أنّ تعامل الإباضيّة مع القضايا الكلاميّة لم يتّخذ مسارا واحدا، فمنهم من ينتهج الاتّجاه النّصي بشكل أوّلي ثمّ يترك مبادئ العقل تدلّل عليه ويحاول ما استطاع الجمع بين النّصوص الّتي ظاهرها التّعارض بالتّأويل السّائغ لها، ومنهم من يعوّل على القطعي من النّصوص المتظافر مع القواعد الكليّة للعقل، ويردّ ما عداه ممّا يُلحظ فيه أدنى مخالفة، إذا كان ظنيّ الثبوت كالأحاديث والأخبار وأحسن من مثّل هذه الطّريقة الإمام ناصر بن أبي نبهان الخروصي.

ويمكن تلخيص أهمّ ما توصّلنا إليه، من خلال هذه الدّراسة المتواضعة في:

1- أنّ النّسق الفكري للمدرسة الإباضيّة مفتوح على الاجتهادات المختلفة وقائم على مبدإ إعادة النّظر في أقوال الأئمّة –سيما القدماء منهم- وأنّ الحظر على ذلك غالبا ما يدخل على الآراء الشّاذة المشوّشة على العامة والمهدّدة لاستقرار المجتمع فتتدخّل يد السلطة

2- أنّ الاختلاف في القضايا المبحوث فيها يثبت كونها ليست ممّا علم من الدّين بالضّرورة، ولا ينعت المخالف فيها بالمفارق في المذهب فضلا عن نعته بمفارقة الدّين والملّة، لأنّ الواقع العلمي يعدّد لنا نماذج مختلفة من الآراء الكلاميّة المخالفة لمشهور المذهب والمنسوبة لعلماء لايزالون محسوبين على المذهب الإباضي

3-إثبات التّأثّر والتّأثير الحاصل للبعض من المجتهدين من المذهب الإباضي بالمذاهب الأخرى ممّن نحا في بعض المسائل منحى معتزليّا –كما في مسألة إيمان أهل الفترة- أو منحى نصيّا حديثيّا- كما عند هود بن محكم في مسألة الصّراط- أو منحى عقليّا كما عند ناصر ابن أبي نبهان الخروصي.

4- أنّ إطلاق الأحكام من طرف بعض العلماء على المخالفين لهم في بعض القضايا والتّصوّرات كالتّفسيق والتضليل ليس محمولا على ظاهره بالضّرورة، بل يبقى حكما نظريّا، عطّل أثناء إسقاطه على الواقع في كثير من الأحايين، كما في مسألة خلق القرآن الّتي عدّها الشّيخ أطفيّش من المسائل الأصول، ولكنّه لم يحكم على المخالفين له فيها –سيما المدرسة المشرقيّة- بالتكفير أو التّفسيق أو اتّخذ حيالهم موقفا كالبراءة والهجر.

5- أنّ مسألة المعلوم من الدّين بالضّرورة أو الأصول العقديّة مسألة لازالت تحتاج إلى تغذية بحثيّة، وتجلية علميّة ولا أدل على هذه الحاجّة الماسّة، مما نشهده من اختلاف للعلماء صريح في تكفير بعض الأعيان والفرق ممّا يُلزم المتخصّصين وضع حدود مضبوطة المعالم لهذه

المسألة تجنبا لفتح باب فُرقة مستطير على الأمّة يكون سببا في إذكاء لهيب التّشتات بين أفرادها.

وفي ختام هذا، نسأل الله عزّ وجلّ أن تكون هذه الدّراسة المتواضعة فاتحة لبحوث أخرى تتناول القضايا الخلافيّة في نطاق أشمل وأوسع ولم لا على مدار المذهب الإباضيّ كلّه، وأن تتبعها دراسات أخرى تسلّط الضّوء على ظاهرة التّأثر والتّاثير بين مختلف المذاهب الإسلاميّة بعضها مع بعض، وتطبيق ذلك على آراء كلّ مذهب وفرقة، وكذا بحوث أخرى تدرس الظّروف النّفسيّة والاجتماعيّة الّتي تولّدت فيها آراء العلماء والمتكلّمين.

هذا وإن أصبت فمن الله، وأخطأت فمن نفسي ومن الشّيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر

و

المراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، علي يحيى معمّر، جمعيّة التراث، الطّبعة الثالثة، 1423هـ/ 2003م.

2- أبو يعقوب الورجلاني أصوليًّا، مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثّقافة سلطنة عمان، الطبعة الثّانية، 1428هـ/ 2007 م.

3- أحمد بن حنبل، المسند، شرح: أحمد محمود شاكر، دار الحديث القاهرة، الطّبعة الأولى، 1995م.

4- آراء الخوارج الكلاميّة (الموجز لأبي عمّار عبد الكافي)، عمار طالبي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، دط، 1978.

5- آراء الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش العقديّة، مصطفى بن ناصر وينتن، المطبعة العربيّة، دت.

6- الآراء الكلاميّة لأبي يعقوب الورجلاني، دليلة خبزي، مكتبة مسقط، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م.

7- الأعلام، خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م.

8- الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، خضير بن بكير بابا واعمر، المطبعة العربيّة، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009.

9- الإمام نور الدّين السّالمي وآراؤه في الإلهيّات، مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، مكتبة الضّامري.

10- البعد الحضاري عند الإباضية، فرحات الجعبيري، جمعيّة التراث، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1987.

11- تاج العروس، الزّبيدي، تحقيق: عبد العليم طحاوي، مطبعة حكومة بيروت، طبعة ثانية 1407هـ/ 1987م.

12- التّحرير والتنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التونسيّة، دت، 1984م.

13- تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان الخليلي، تحقيق حارث بن محمّد البطّاشي، مكتبة محمّد بن شامس البطّاشي، الطبعة الأولى، 1431هـ/2012م.

14-الخوارج والحقيقة الغائبة، ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي، الطبعة الخامسة ، 1432هـ/ 2011م.

15- دراسات عن الإباضيّة، عمرو خليفة النامي، مطبعة النّهضة، دت.

16- الدّليل والبرهان، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، وزارة التراث القومي والأوقاف سلطنة عمان، دت، 1403هـ / 1983م.

17- الذّهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، محمّد بن يوسف أطفيّش، تعليق: أبو إسحاق أطفيّش، مكتبة البعث، الطبعة الثّانية، 1400هـ /1980م.

18- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، بيت الأفكار الدّوليّة، دت.

19-شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبّار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطّبعة الثانية، 1988م.

20- شرح الجامع الصّحيح، عبد الله بن حميد السّالمي، مكتبة نور الدّين السّالمي، الطبعة العاشرة، 2004م، ص.5

21- شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الجيل الواعد، الطبعة السّابعة، 1433هـ / 2012م.

22- الشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وآراؤه العقديّة، سلطان بن عبيد بن سعيد الحجري، مكتبة الجيل الواعد، الطبعة الأولى، 1433هـ/ 2012م.

23- الشّيخ نور الدّين السّالمي مجدّد الأمّة ومحيّي إمامة، مصطفى بن محمّد شريفي، جمعيّة التراث، دار الخلدونيّة، الطبعة الأولى، 1432هـ / 2011م.

24- طبقات المشائخ بالمغرب، أبي العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني، الطّبعة الثّانية، دت.

25- الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي، ألفرد بل، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي –بيروت لبنان –، الطبعة الثانية، 1981م.

26- الفرق بين الفرق وبيان الناجية منها، أبو منصور البغدادي (429هـ)، تحقيق محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، ط 1988م.

27- فصل المقال فيما بين الحكمة والشّريعة من اتّصال، أبو الوليد بن رشد، دار السّلام، الطّبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

28- الفصل في الملل والأهواء والنّحل، أبو محمّد علي بن محمّد المعروف ابن حزم(456هـ)، تحقيق، محمّد إبراهيم نصر، عبد الرّحمان عميرة، دار الجيل، الطبعة الثّانية، 1416هـ/1996هـ .

29- الفكر العقدي عند الإباضيّة، ابن دريسو مصطفى بن محمّد، جمعيّة التراث، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م

30- الفكر العقدي عند الشّيخ بيوض وآثاره في الإصلاح، حمو بن عيسى الشّيهاني، دارالخلدونيّة، نشر جمعيّة التراث، الطّبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

31- قواعد الإسلام ،أبو الطّاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، صحّحه بكلّي عبد الرحمان بن عمر، مكتبة الاستقامة، الطبعة الرّابعة ، 1422هـ/ 2001م.

32- كتاب الترتيب في الصّحيح من أحاديث الرّسول، أبو يعقوب الورجلاني، مكتبة مسقط، الطبعة الثّانية، 1429هـ/2008م.

33- كتاب السّير، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان الشمّاخي، تحقيق: د محمّد حسن، دار المدار الإسلامي، الطّبعة الأولى، مارس2009.

34- كتاب الوضع، أبو زكريا ابن أبي الخير الجنّاوني، مطبعة الفجالة الجديدة، الطّبعة الأولى، دت

35- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، طبعة محقّقة.

36- محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين، فخر الدّين الرّازي، مراجعة: د طه عبد الرّؤوف سعد، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، دار التراث، 1991م.

37- محمّد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصّحيح، دار إشبيليا، ط1، 1423/2002.

38- محمّد بن عيسى التّرمذي، السّنن، مكتبة المعارف الرّياض، علّق عليه الشّيخ ناصر الدّين الألباني، ط1، دت.

39- مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر الرّازي، مكتبة لبنان، الطّبعة الثّانية، 1993م.

40- مختصر تاريخ الإباضيّة ، أبو الرّبيع سليمان الباروني، دت، دط.

41- مدخل إلى دراسة الإباضيّة و عقيدتها ، بيير كوبرلي ، ترجمة : عمّار الجلاصي ، مكتبة الضّامري ، الطّبعة الأولى ، 1431هـ / 2010 م .

42- المدوّنة الكبرى، أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، بتعليق محمّد بن يوسف أطفيّش، وزارة التراث والثّقافة سلطنة عمان، الطّبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م،

43- المسائل الخلافيّة بين الاشاعرة والماتوريديّة، بسّام عبد الوهّاب الجابي، دار ابن حزم، الطّبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

44- مسلم بن الحجّاج، الجامع الصّحيح، دار ابن حزم، ط1، 2010م/1430هـ.

45-مشارق أنوار العقول ، أبو حميد عبد الله بن حميد السّالمي ، تحقيق: أحمد بن حمد الخليلي ، مكتبيّة الإمام نور الدّين السّالمي ، ط ، 2000م

46- معجم أعلام الإباضيّة (قسم المشرق)، محمّد ناصر، سلطان بن مبارك الشّيباني، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1427هـ / 2006م

47- معجم أعلام الإباضيّة ، لجنة البحث العلمي ، جمعيّة التراث ، الطبعة الأولى ، 1420هـ/ 1999م

48- معجم مصطلحات الإباضيّة ، مجموعة من الباحثين ، وزارة الأوقاف و الشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان – ، الطّبعة الأولى ، 1429هـ / 2008م

49- مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق : محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، دط، 1411هـ، 1990م

50- مقدّمة التوحيد و شروحها ، بدر الدّين الشمّاخي ، أبي سليمان داود التّلاتي ، دط، دت.

51- مقدّمة التوحيد وشروحها، بدر الدّين أبو العبّاس أحمد بن سعيد الشمّاخي و أبو سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي، صححّها وعلّق عليها أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش، دط، دت.

52-مقدّمة تاريخ ابن خلدون، عبد الرّحمان بن خلدون، تحقيق: خليل شحاذة، سهيل زكّار، دار الفكر، 2001م.

53- الملل والنّحل، الشهرستاني، صحّحه و علّق عليه : أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلميّة، ط2، 1413هـ/1992م

54-منهج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين ، خميس بن سعيد الشّقصي الرّستاقي ، وزارة التراث القومي والأوقاف، سلطنة عمان ، دط، 1979 م

55- المواقف في علم الكلام، عضد الدّين الإيجي، عالم الكتب، بيروت، دت

56- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، محمّد علي النشّار، دار السّلام، جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، 1429هـ/2008م.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق والمذاهب والأقوام
- قائمة المحتويات

فهرس الآيات

السّورة ورقم الآية	نص الآية	الصّفحات
الفاتحة، 5	(اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)	133
البقرة، 24	(أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)	113
البقرة، 35	(وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)	163
البقرة، 35	(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)	163
البقرة، 53	(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ)	170
البقرة،85	(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)	154
البقرة، 98	(فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)	101
البقرة، 130	(وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)	170
البقرة، 136	(قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)	142
البقرة،152	(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)	154
البقرة، 184	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى)	147
البقرة، 207	(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)	41
البقرة، 222	(إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)	102
البقرة، 253	(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ	169

	وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ .....)	
البقرة، 256	(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)	94
البقرة، 285	(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ..)	142
البقرة،286	(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)	83
آل عمران، 33	(إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)	162
آل عمران،42	(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ)	162
آل عمران، 97	(وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)	154
آل عمران، 133	(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)	113
آل عمران، 135	(وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)	107
النّساء، 155	(بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)	89
المائدة، 25	(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)	107
المائدة، 44	(فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)	169
المائدة، 67	(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)	171
المائدة، 80	(أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ).	102
الأنعام، 82	(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)	147
الأعراف،46	(وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ	109-107

	بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ {46} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{47} وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ{48} أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ{49})	
الأنفال، 2	(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)	159
الأنفال، 68	(لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)	167
الأنفال، 159	(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{67}لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ{68})	168
التوبة، 6	(حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ)	78
التوبة، 46	(كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ)	102
التوبة، 114	(...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)	107
التوبة، 124	(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً)	160
التوبة، 128	(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)	170
يوسف، 107	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً)	162

يوسف، 109	(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)	162
الرّعد، 35	(أُكُلُهَا دَآئِمٌ)	114-113
الحجر، 29	(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)	136
الحجر، 44	(لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ)	136
النحل، 106	(إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)	147
الإسراء، 47	(وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)	165
الكهف، 29	(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً...)	93
الكهف، 49	(مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)	123
مريم، 41	(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً)	170
مريم، 51	(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً)	170
مريم، 68، 69	(فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً{68} ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً{69})	136
مريم، 71، 72	(وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً)	136
طه، 115	(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)	167
طه، 122	(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)	162
طه، 135	(قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)	130
الأنبياء، 22	(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)	9

الأنبياء، 23	(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)	93
الأنبياء، 87	(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)	167
الأنبياء، 96	(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ)	118
الحج، 54	(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	130
الحج، 55	(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ)	117
الحج، 78	(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ)	162
المؤمنون، 74	(وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)	131
المؤمنون، 100	(وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	124
المؤمنون	(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ{112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ{113})	126
الشعراء، 184	(وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)	89-83
النمل، 82	(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)	27
القصص، 15	(فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ)	167

القصص، 88	(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)	114-113
الأحزاب، 37	(وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)	169-167
يس	(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ{51} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ{52})	126
يس، 62	(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ).	89
يس66	(وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ)	131
الصافات	(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{22} مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ{23}	134-131
ص، 75	(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ)	163
الزمر، 30	(إِنَّكَ مَيِّتٌ)	97
الزمر، 62	(واللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)	97
الزمر، 73	(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)	135
غافر، 11	(قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)	127
غافر، 46	(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)	128
الزخرف، 61	(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا)	118
الدخان، 56	(لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ	127

	الْجَحِيمِ)	
الأحقاف، 25	(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)	115
الأحقاف، 35	(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ)	169
محمّد 28	(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)	102
الفتح، 4	(لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ)	160
الفتح، 10	(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)	171
الفتح، 18	(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)	102
الحجرات، 2	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)	108
الحجرات، 9	(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)	147
الحجرات، 14	(وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)	147
النجم، 32	(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ)	122
القمر، 53	(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)	123
الرحمان، 27	(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)	114
الحديد، 10	(لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)	111

الطّلاق، 1	(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)	171
الملك، 22	(أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	130
النازعات	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا{42} فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا{43})	116
عبس	(عَبَسَ وَتَوَلَّى{1} أَن جَاءهُ الْأَعْمَى{2})	167
البلد،	(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ{11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ{12} فَكُّ رَقَبَةٍ{13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ{14} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ{15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ{16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ{17})	128
الشمس، 8	(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)	152
الشّرح، 4	(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)	170
البيّنة،	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ{7} جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ{8})	102

فهرس الأحاديث

الحديث.....الصفحة

«الإيمان يزيد وينقص».....160

«أبلغي زيدا أنّه أبطل حجّه وجهاده مع رسول اللهﷺ».....108

«أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فإن أبيت فعليك إثم الأريسيّين».....143

«أُمرت أن أُقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله».....146

«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان».....142

« إنّك لن تجد و لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشرّه».....83

«أنّ المؤمن يرى منزله في النّار أن لو عصى ومنزله في الجنّة لما أطاع فيريد أن ينهض إليه فيقال له لم يأت أوان ذلك، نم سعيدا نومة العروس».....127

«بادروا بالأعمال ستّا: قبل طلوع الشّمس من مغربها والدّخان ودابّة الأرض، والدجّال»..118

«حديث جبريل قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه».....83

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».....154

«ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصّراط سوران».....133

«كلّ شيء بقضاء الله وقدره حتى العجز والكيس».....83

«لا تذهب –أو لا تنقضي– الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي».....119

«لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم أعناق بعض».....154

«لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن».....154

«لُعِنت القدريّة على لسان سبعين نبيا قبلي».....84

«لكلّ أمّة مجوس ومجوس هذه الأمّة القدريّة».....84

«ليس بين العبد و الكفر إلّا تركه الصّلاة».....154

«المرجئة يهود هذه الأمّة والقدريّة مجوسها».....84
«من رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»..131
« المهدي مني... أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلا، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين».....119
«نار تخرج من عدن تطرد النّاس إلى محشرهم».....118
«ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز».....131
«يا عائشة أما عند ثلاث فلا».....131

فهرس الأعلام

إبراهيم عليه السّلام ,172,131

ابن أبي الشّيخ البصري,85

ابن أبي مقداد، 146

ابن أبي وزجون,104

ابن بركة,151,150,149,12

ابن خلدون,8

ابن زرقون، 147 ، 143

ابن زريق,26

أبو إسحاق أطفيّش,90

أبو الرّبيع سليمان المزّاتي،165، 141

أبو الطّاهر إسماعيل الجيطالي ,161, 160, 158, 157, 135, 93, 92, 88, 79
69, 50, 24, 23, 22, 21, 20

أبو العباس أحمد بن محمّد بن بكر الفرسطائي،140

أبو العباس الدرجيني,104,64,63,61,60,58,42,40,19,16

أبو العباس الشمّاخي,75,70,69,68,64,48,44,22

أبو القاسم البرادي,134,98,81,8

أبو المؤثر الصّلت بن خميس، 114

أبو المؤرّج السّدوسي،158 ،69 ،54 ،50 ،49 ،48 ، 47

أبو اليقظان,98,76,38,37

أبو أمامة الباهلي,164

أبو حامد الغزالي,24,23,17,7
أبو حنيفة، 147
أبو خزر,141
أبو زكريا الجنّاوني,77
أبو زكريّاء الورجلاني,67,64
أبو ساكن ,76,22
أبو ستّة ,79
أبو سعيد الكدمي,160,159,152,150,149,146
أبو سليمان بن أيوب,16
أبو عبد الله بن أبو عمرو التندميري,91
أبو عبيدة مسلم
أبو عمّار عبد الكافي، 37، ,104 ,119 ,123 ,146 ,150 ,153 ,156 ,159
101, 97,88,67,49
أبو عمرو السّوفي,127,92,91,57,37
أبو محمّد عبد الله بن محمّد اللّوّاتي,104
أبو مهدي,160,98
أبو نبهان ,26
أبو نصر الملوشائي, 37,23
أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي,90
أبو يحيى الفرسطائي,90
أبو يحيى زكريا بن يونس الفرسطائي،89
أبو يحيى سليمان بن ماطوس,90

أبو يعقوب الورجلاني ,139 142, 143, 144, 150, 157, 159,163, 164,
129, 126, 124, 120, 119, 112, 109, 105, 104, 103, 101, 99,
98, 96, 95, 94, 82, 77, 73, 56, 49, 20, 19, 17, 15
أحمد أمين، 122
أحمد بن النّظر,79,76,80
أحمد بن حنبل,74
أحمد بن سليم الجنيبي,31
أحمد بن مكّي,23
آدم عليه السّلام ,141 142, 162, 163, 164, 165, 167, 168, 175,
120, 114,113,103,26
أمحمّد بن يوسف أطفيش ,155 157, 161, 165, 166, 170, 171, 175,
153, 152, 151, 147, 143, 142, 134, 126, 124, 119, 113, 112,
110, 103, 93, 92, 91, 81, 78, 66, 57, 55, 38, 36, 34, 33, 30
أيوب الجيطالي,25
بابا يونس,34
البدر التلاتي,124,123,96
التعاريتي 165 ,166
تيبغورين بن عيسى النفوسي,135,111,97,93,91,37
جابر بن زيد,126,125,83,70,61,45,13,12,10
جبريل عليه السّلام, 169,142,141,84
جنون بن يمريان,64,19
جولد تسيهر,8

الحاج سليمان بن عيسى,33
الحسن البصري، 156
حسن حسني عبد الوهاب,19
حمد بن عبد الله السّالمي,31
حمزة الكوفي,86,46,45
حميد بن سلوم السالمي ,30
الخليل بن شاذان,25
خميس بن راشد العبري ذو الغبراء,26
الدّجال، 116،118 ،120 ،121 ،122
الرّبيع بن الحبيب,128,126,121,75,69,58,54,53,48,47,37,31,18
الزّجاج,109
زيني دحلان,38
سالم بن حمد الحارثي,83
سالم بن حمد الراشدي ,31
سالم بن راشد الخروصي,31,29
سعيد بن حمد بن عامر الرّاشدي,31
سعيد بن خلفان الخليلي,134,119,111,80,26
سعيد بن خميس الشّقصي الرستاقي ,160,153,144,129,95,87,85,80,74
سعيد بن سلطان البوسعيدي,26
سليمان الباروني,62,58,36
سليمان بن أيوب بن نوح ,19
الشّافعي، 147

شعث بن عمير، 146
صالح بن عبد القدّوس,85
صالح بن علي الحارثي,31,29
الصّلت بن مالك,25
ضمام السّائب,112,109
الطّاهر بن عاشور,168,110
الطّرميسي,22
عائشة، 108 126 132
عبادة بن الصّامت ,84
عبد الأعلى المعافري,129
عبد الجبّار,110
عبد الرّحمان بن رستم,142,53,52,51
عبد العزيز التّميني,159,124,94,77,57
عبد الله السّدويكشي,178,94,88
عبد الله بن إباض ,43,13,12,10
عبد الله بن الزبير,11
عبد الله بن حميد السّالمي
173, 172, 167, 166, 161, 159, 158, 154, 152, 147, 145, 136,
129,128,125, 123, 121, 116, 115, 114, 113, 104, 97, 96, 93,
92, 89, 88, 85, 83, 82, 81 ,79 ,49 ,33 ,31 ,30 ,29, 28 27
عبد الله بن عباس، 123 ، 169، 173،134
عبد الله بن عمر،120

عبد الله بن وهب الرّاسبي,56,10
عبد الله بن يزيد الفزاري,74,57,54,51
عزان بن صقر، 143
عضد الدين الإيجي,7
عطيّة ,86,46,45
علي يحيى معمّر,68,67,63,57,50,22
عمر بن الخطاب ,120,33
عمر بن سليمان بن نوح,33
عمرو بن جميع ,164,143,139,120,109
عمرو خليفة النّامي,68,64,52,44,18
عمروس بن فتح,141,68
عيسى عليه السّلام ,172,163,121,120,119
فرحات الجعبيري,99
الفصيل ابن أبي مسور,98,23
الفضل بن الحواري,75
القلهاتي,81
مالك بن أنس، 147
مجاهد,168,110
محمّد الحضرمي,18
محمّد بن خميس السّيفي ,28
محمّد بن عبد الله الخليلي,31
محمّد بن محبوب بن الرّحيل,141,122,75

محمّد بن مسعود بن سعيد البوسعيدي,26
محمد بن هاشم بن غيلان ,76,45
محمّد رشيد رضا، 122
محمّد عبده ,38
مريم عليها السّلام, 163,137,120
المسيح عيسى عليه السّلام,172,163,121,120,119,118,116,103,42
مصطفى المراغي، 122
المهنّا بن جيفر,80,76,75,71
موسى عليه السّلام, 172,171,169,164,163,98,80
ناصر بن أبي نبهان
176, 164, 163, 133, 130, 129, 128, 127, 120, 119, 117, 114,
82 26, 25, 24
نافع بن الأزرق,11
النّواس بن سمعان، 134
النّووي، 147
هود بن محكم، 120
واصل بن عطاء,85
وائل بن أيوب,75
يوسف المصعبي,111,91

فهرس الفرق والمذاهب والأقوام

الإباضيّة، 10،11، 12، 13، 14، 15، 30، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 74، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 84، 85، 86، 87، 88، 92، 93، 94، 95، 99، 100، 101، 104، 105، 107، 108، 109، 110، 112، 113، 116، 118، 120، 121، 122، 125، 126، 129، 132، 134، 135، 139، 141، 145، 146، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 158، 164، 165، 170، 171، 173، 174، 175.

المشارقة (الإباضيّون)، 81، 82، 95، 96، 97، 99، 100، 101، 110، 132، 135، 142، 144، 172.

المغاربة (الإباضيّون)، 87، 91، 92، 96، 99، 101، 110، 111، 144،

إباضيّة المغرب، 49، 58، 78، 95، 97، 100، 122، 123.

النّكار، 48، 50، 53، 54، 55، 56، 57، 105، 122، 126.

الوهبيّة، 53، 57، 155.

الأزارقة، 11، 55.

الأشاعرة، 32، 113، 146، 165.

الخوارج، 40، 43، 51، 88، 151.

المالكيّة، 14، 126.

الشّيعة، 41، 88، 126.

المرجئة، 20، 84، 88.

المتكلمون،8، 82، 44، 146، 176.

المسلمون، 30، 38، 48، 50، 52، 53، 54، 55، 65، 73، 82، 98، 104، 116، 139، 140، 141، 144، 160، 163، 168.

النّصارى، 141.

اليهود، 67، 105.

الماتوريديّة، 32.

المعتزلة، 32، 41، 42، 46، 58، 66، 73، 74، 84، 87، 88، 113، 151.

الأريسيّين، 143.

الجهميّة، 87، 89.

العزّابة، 15، 16.

أهل الدّعوة، 48، 49، 61، 64، 104.

أهل النهروان، 41.

أهل الكتاب، 41.

الرّستميّة، 15، 65، 71.

الصّوفيّة، 33.

النفوسيّون، 101.

السّلف، 55.

المحكّمة، 10، 55.

أهل الحقّ، 10، 11، 129، 149.

الأمويّين،11.

الخلفيّة، 58، 59.

النّكّاث، 54.

الملحدة، 54.

الشّغبيّة، 54.

النّجويّة، 53.

المشركين، 49، 67، 140، 145.

بني أميّة، 43، 45.

الفاطميون، 15، 71.

الفقهاء، 109، 163.

العلماء، 30، 74، 82، 94، 111، 121، 124، 129، 135، 139، 151،
152، 157، 158، 175، 176.

الحفصيّة، 41.

اليزيديّة، 41، 54.

الثّعالبة، 43.

العجاردة، 43.

قائمة المحتويات

الفصل الأوّل

المذهب الإباضي وأهمّ أعلامه

المبحث الأوّل: شرح عنوان البحث.....6

المطلب الأوّل: تعريف المسألة وعلم الكلام.....6

المطلب الثّاني: التعريف بالمذهب الإباضي.....9

المطلب الثّالث: مصادر التّشريع عند الإباضيّة.....13

المبحث الثّاني: التّعريف بأهمّ شخصيّات المذهب الإباضي.....15

المطلب الأوّل: أبو يعقوب الورجلاني.....15

المطلب الثّاني: أبو الطّاهر الجيطالي.....20

المطلب الثّالث: ناصر بن أبي نبهان.....24

المطلب الرّابع: عبد الله بن حميد السّالمي.....27

المطلب الخامس: أمحمّد بن يوسف أطفيّش.....32

الفصل الثّاني

الافتراقات في المذهب الإباضي

تمهيد.....40

المبحث الأوّل: مخالفة غيلان وعطيّة وحمزة الكوفي لأبي عبيدة.....44

المبحث الثّاني: افتراق ابن عبد العزيز وأبو المؤرّج.....46

المبحث الثّالث: افتراق النّكّار.....50

المبحث الرّابع: افتراق خلف بن السّمح.....58

المبحث الخامس: افتراق فرج بن نصر النّفوسي (نفاث).....60
المبحث السّادس: افتراق أبي سليمان يعقوب بن أفلح.....63
المبحث السّابع: افتراق عبد الله السّكّاك.....64
المبحث الثّامن: افتراق أحمد بن الحسين وعيسى بن عمير.....66
المبحث التّاسع: افتراق هارون بن اليمان.....69

الفصل الثّالث

المسائل الخلافيّة في الإلهيّات

المبحث الأوّل: خلق القرآن.....73
المبحث الثّاني: الكسب والجبل.....83
المبحث الثّالث: قدم الصّفات الفعليّة.....94
المبحث الرّابع: الرّضا والسّخط.....99

الفصل الرّابع

المسائل الخلافيّة في السّمعيّات

المبحث الأوّل: أصحاب الأعراف.....107
المبحث الثّاني: خلق الجنّة والنّار.....112
المبحث الثّالث: أشراط السّاعة (المهدي، الدجّال، نزول المسيح).....115
المبحث الرّابع: تعيين الصّغائر.....121
المبحث الخامس: عذاب القبر.....123
المبحث السادس: الصّراط في نصوص الوحي.....130

الفصل الخامس

المسائل الخلافيّة في مبحثي الإنسانيّات والنّبوّات

المبحث الأوّل: ما لا يسع جهله من أمور الدّين.....139
المبحث الثّاني: أقلّ ما يكون به المرء مؤمنا.....145
المبحث الثّالث: إيمان أهل الفترة –انقطاع النّبوّة–.....148
المبحث الرّابع: الإيمان.....152
المطلب الأوّل: تسمية مرتكب الكبيرة.....153
المطلب الثّاني: زيادة الإيمان ونقصانه.....159
المبحث الخامس: نبوّة آدم عليه السّلام.....161
المبحث السّادس: عصمة الأنبياء.....164
المبحث السابع: المفاضلة بين الأنبياء.....169
خاتمة.....173
قائمة المصادر والمراجع.....178
الفهارس..... 183
فهرس الآيات..... 184
فهرس الأحاديث..... 192
فهرس الأعلام..... 194
فهرس الفرق والمذاهب.....201
خلاصة البحث.....208

خلاصة البحث

الحمد لله الّذي يرسل فضله في البدايات، ويُسدل منّته في النّهايات، ويبسط موائد كرمه على مريديه كالرّياح المرسلات، وصّلى الله على ذي النّور الأجلى والمقام الأعلى سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم تسليما كثيرا، وبعد: فهذا مختصر أبثّ فيه صورة من بحثي سائلا من المولى التّوفيق.

إنّ طبيعة استئثار الباري عزّ وجل بالحقيقة المطلقة الّتي لا يعروها شك ولا يتطرّق إليها نقيض والّتي أشار إليها في كتابه العزيز بقوله:{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ }النور25، يومئ وبشكل جليّ إلى ضرورة ابتعاد العالم الحصيف عن ادّعاء القطعيّة فيما أدّى إليه اجتهاده وأنّ تباين الآراء بين البشر وعلمائهم على وجه التّحديد يجيب عن سؤالّ، لمَ حسم الله الأمور في بعض المسائل وترك بعضها ظنّيّا محتملا؟ ولعلّ هذا كان البغية الأولى المنشودَ توضيحها في رسالتنا هذه.

وعلى ما جرت به العادة في أمثال هذه الدّراسات، فقد كان البدء فيها بترجمة كاشفة لعنوان البحث بدءا بمصطلح علم الكلام بنقل أبرز تعاريف المتكلّمين له، ثمّ تبعه عقب ذلك لمحة وجيزة معرّفة بالمذهب الإباضي ومصادر تشريعه وبعدها ترجمة مختصرة لأهمّ أعلام المذهب الإباضيّ وكان اختياري لهم وفق التّرتيب الزّمني لسنة الوفاة، وكذلك لكونهم أبرز من كان له الفضل في تحريك عجلة الخلاف في جلّ المسائل المدروسة فكانوا خمس شخصيّات، وعلى هذا كان مدار الحديث في الفصل الأوّل.

أمّا الفصل الثاني فقد كان محطّ الإجابة عن إشكاليّة وجود فرق إباضيّة، استفتحت فيه بديباجة أمهّد فيها للموضوع من وجهة نظر سنيّة، ثمّ قمت بعدها بالعرض التاريخيّ الّذي تناولت فيها الأحداث المعروفة في تاريخ المذهب الإباضي والّتي امتزج فيها الصّراع الدّيني والسّياسي، وقد استعملت مصطلح الافتراقات جريا على صنيع الإمام أبي العباس الدّرجيني في كتابه الطّبقات، فأتى هذا الفصل على تسعة مباحث، طغى عليها السّرد التّاريخي، مع قليل من التّحليل لبعض الأحداث وأقوال المؤرّخين فيها

أمّا الفصول الثّلاثة الأخيرة فقد كانت أهمّ الفصول لأنّها الترجمة العمليّة لمقصود البحث، رتّبتها على وفق التقسيم الرّباعي لموضوعات العقيدة الّتي هي: الإلهيات والسّمعيّات والإنسانيّات والنّبوات.

وانتهجت أثناء عرضي للقضايا الخلافيّة، في علم الكلام الإباضي، بعد أن أبنت عن شرطي في هذا العرض، وهو اقتباس تلك القضايا من مضانها الموجودة في كتب العقيدة المهمّات في المذهب وهي من وجهة نظري أربعة كتب، ثمّ شرعت في بسط المسائل المذكورة فكانت عدّتها سبع عشرة مسألة رئيسة، كان دأبي المعتاد فيها أن أجلِّيَ مصطلحات المسألة المبحوثة لغويا إن استلزم الأمر، ثمّ أعرض لصورة الخلاف دون أن أغوص فيه، ثمّ بعد ذلك أطرح الإشكال وأسرد أسماء العلماء الّذين اختلفوا حول القضيّة الكلامية، ثمّ أترك العلماء يدلون بآرائهم وحججهم من خلال ما كتبوه في ذلك وأقوم بعرض الآراء المختلفة بشكل جدلي حتى تقترب صورة الخلاف من ذهن القارئ وربّما تكثر التحليلات وتتشعّب الأدلّة فأُبين مناط الخلاف وسببه مع ربط المسائل المختلف فيها بالواقع المعاش وإظهار القيمة الأخلاقيّة والنّفسية للقضيّة المبحوث فيها إن وُجِدت، على أنّني من النادر أن أعرض للآراء السنيّة وخلافاتهم وإعراضي عن ذلك –عدا مسألتي عصمة الأنبياء وإيمان أهل الفترة– بدافع عدم شتيتّ ذهن القارئ ولكي لا يحسب خروجا من الموضوع المدروس.

وترتيبي للأدلة جاء وفق النّمط المعروف، بدءا بالأدلّة القرآنيّة من الكتاب العزيز، ثمّ أنتقل إلى السنّة النّبويّة مخرّجا الحديث من مضانه مكتفيا بتخريجه من الصّحاح فإن لم أجدها هناك انتقلت إلى السنن والمسانيد، على أنّ الحديث إذا وجدت له ذكرا في المسند الجامع للإمام الرّبيع اكتفيت به، لكونه حجّة الأولى في الحديث عند الإباضيّة الّذين عليهم مدار البحث.

وفي الخاتمة ذكرت أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج وإجابات للإشكالات السابق طرحها في مقدّمة هذه الدّراسة، بعد أن تركت إشارات لمفهوم الخلاف الفكري بشكل موجز، وأشرت في ثنايا تلك النّتائج إلى أهم التّوصيات العلميّة الّتي يأمل الباحث في أن تلقى أذنا صاغية عند أهل التّخصص من الأساتذة والطّلبة، على أنّي أحمد الله تعالى في المبدإ والمنتهى، سائلا إيّاه أن يخرجنا من ظلمات الوهم ويكرمنا بنور الفهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

Research Conclusion

Thank God who sends his favor in the starts, lowers his grace in the ends, and lays his generosity on his followers like the sent wind, God pray and greet a lot on the great lighted, whose rank is in a high position our dear prophet Mohamed. This is a sum up where I show an image of my research asking Godspeed.

The nature of God's privilege with the absolute truth which is doubtless and never has a contradiction and that mentioned in his dear book saying: "and they know that God is the stated right" Anour 25, he gestures in an obvious way to the necessity of putting a distance between the straight world and the pretend the segmental in his resulted diligence and that the different point views of human beings including their scientists specifically answers a question, why some matters are deducted by God whereas others are left a guessed doubt? And maybe this is the wished point to be cleared in our message, I mean that one.

Usually, in these kinds of studies, the beginning was a translation of the research title starting with the term of speech science and the famous definitions of its speakers, then continuing by a brief sight defining the Ibadhist doctrine and the sources of its legislation, after that a short translation of the most important names of the doctrine who were chosen according the chronological order of their death he year, besides to fact that they are the ones whose favor of solving the conflicts in most of the studied matters, thus they were five personalities, and on this way was the cycle's speech in the first season.

The second season was the cadence of answering the question of the existence of Ibadhist parts, I began it with a preamble where I introduce the subject from a Sunnite perspective, and then I did the historical show which I used it to deal with what happened in the Ibadhist doctrine's history that was a mixture of the political and religious dispute, in addition, I used the term of separations running on what is in the Imam Abi Al Abas Adajini's book "categories", so this season contained seven dissertations which are almost lorded by the historical narration, with a little bit the analysis of some events and historians sayings in it.

Whereas the three last seasons were the most important ones because they were the practical translation of the research point, I have organized it

according to the quaternary division of the religion subjects which are: the celestials, the acoustiques, the humanities and the prophecies.

Moreover, during my show I talked about the cases of disputes, in the science of the Ibadhist speech, after I have made clear my condition in this show, the latter is brought from those cases from its contents existed in the important religious books and which to my mind four books, after that I started in stating the mentioned matters that was about seventeen principle matter, my usual perseverance is to make obvious the terms of the questioned matter linguistically if it was necessary, then show an image of the conflict without going very deep in it, after that I ask the problematic and list the scientists' names who were different in the point views on the speech's matter, besides I leave the scientists say their opinions and arguments from what they wrote in that, and I show some different views dialectician way until the conflict image comes close to the reader's mind and maybe the analysis will abound and the proofs will differentiate, thus I show how is the dispute and its reason in addition connecting these matters which are the opinions are different in and the lived reality and make clear the psychological and the moral value of the researched case if there was any, but I rarely show the sunniest opinions and their views except my case of casemate the prophets and the faith of those of the period in the reason of avoiding the dispersion of the reader's mind so as not to be counted as an out of the studied subject.

Besides, my order of the proofs came according to the known form, starting with the coranic arguments from the dear book, then moving to the sunniest prophecy getting out the speech satisfied just in making this from the valid, if I haven't find I move to the Sunnites and the sustenance, but if I find it in the Imam Arabie's global backing , it will be enough for me, because of its being the first proof in the speech in the Ibadhists whom we are studying.

To conclude I mentioned the most important results and answers to the problematic that already mentioned in the study's introduction, after I have left some signs to the intellective conflict in a brief way, I have shown in those results the important scientific advices which any researcher hopes to be heard from the specialists and the students, and I thank my dear great God in the fundament and in the uttermost asking him to get us from darkness and gift us with the light , our last wishes is thank you my God, the God of all.

University of Algiers Ben Youssef Ben Khadda

Islamic Sciens College

Dipartment Of Bellefs And Religions

THE ISSUES DISPUTE THEOLOGY IN THE IBADIT SECT

Memorandum Of master's degree

In

Islamic Sciences

Specialization Dogma

Prepare Students

Slimane Ben Kacem Bekouche

2014 – 2015